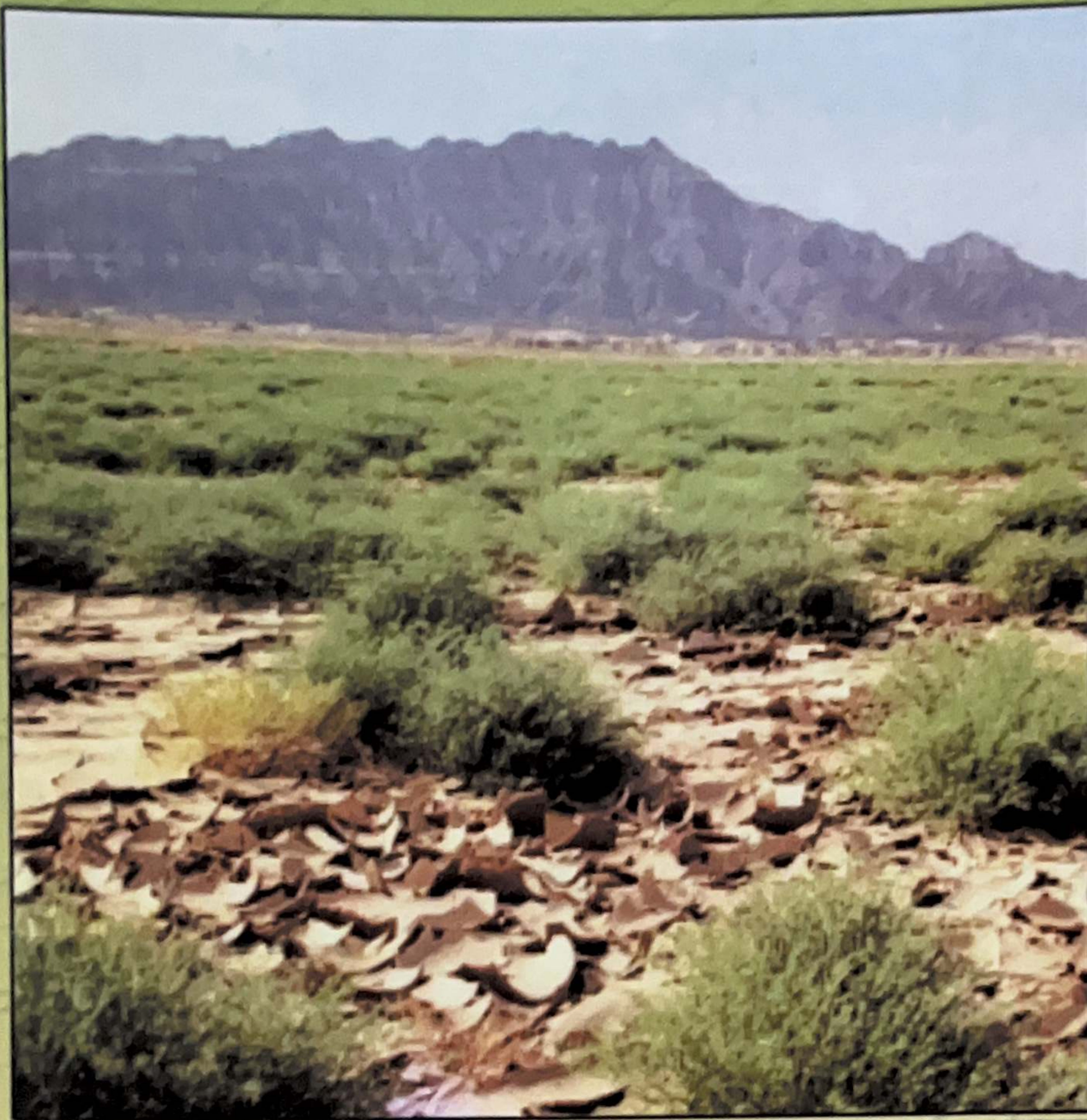
دار الكتب والوثائق القومية

ثروة دولة الكنوز في وادي العلاقي












أ.د. محمد رجائى جودة الطحلاوى

ثروة دولة الكنوز

فى

وادى العلاقى

دار الكتب والوثائق القومية

ثروة دولة الكنوز

فى

وادى العلاقى

إعداد

أ.د. محمد رجائى جودة الطحلاوى

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

(١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية
رئيس مجلس الإدارة
أ.د. محمد صابر عرب

الطحلاوى، محمد رجائى جودة.
ثروة دولة الكنوز فى وادى العلاقى/ إعداد محمد رجائى جودة الطحلاوى. - القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2009-
252 ص ؛ 24 سم.
تدمك 4 - 0625 - 18 - 977
١ - النوبة.
٢ - وادى العلاقى
أ - العنوان.

٩١٦,٢٥

www.darelkotob.gov.eg
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٩/٨٤٨٠
I.S.B.N. 977 - 18 - 0625 - 4

إهداء

إلى أستاذى الفاضل

العالم الجليل الجيولوجى

محمود فوزى الرملى

رئيس هيئة المساحة الجيولوجية الأسبق

اعترافاً بفضله وعلمه وأستاذيته

شكر واجب

أتقدم بالشكر والتقدير إلى الزملاء : أ .د . «**أحمد عصمت بلال**» المؤسس والرئيس الأسبق لوحدة الدراسات البيئية والتنمية بجامعة جنوب الوادي بأسوان (جامعة أسيوط سابقًا) ، والأستاذ الدكتور «**عبد العزيز طنطاوي**» رئيس الوحدة الحالي والدكتورة «**ايرينا شبرينجل**» أستاذ النبات والبيئة بالجامعة الذين تفضلوا بتزويدي بالمراجع القيمة عن وادي العلاقي ، كما تفضلوا بتدقيق المعلومات الواردة بهذا الكتاب وخاصة ما يتعلق بزراعة النباتات الطبية ؛ لقد كانت الزيارات الميدانية التي صحبني فيها البروفيسور بلال والبروفيسور شبرينجل في وادي العلاقي حافزًا قويًا في جمع جزءٍ كبير من المادة العلمية .

كما أشكر الأساتذة المسئولين الذين تفضلوا بالإجابة علي أسئلة تتعلق بموضوع الكتاب ومادته العلمية ، وأخص بالذكر الزملاء أ .د . «**أحمد يحيي عبد المالك**» أستاذ النبات وعميد كلية العلوم بجامعة أسيوط ، والأستاذ الدكتور «**محمد أحمد الشنواني**» أستاذ العقاقير ونائب رئيس جامعة أسيوط لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة والأستاذ البارز في النباتات الطبية . كما بذلت الزميلة الفضلى أ .د . «**ناهد شوقي**» الأستاذ بقسم علم الحيوان بكلية العلوم بجامعة أسيوط جهدًا كبيرًا في مراجعة قوائم الطيور التي تعيش في وادي العلاقي أو تهاجر عبره .

كما أشكر الأخوة الزملاء الذين زودوني ببعض المراجع القيمة وخاصة الدكتور «**حسين حمودة**» رئيس الهيئة المصرية العامة للثروة المعدنية (المساحة الجيولوجية سابقا) ، والدكتور «**خليفة عويس**» بالهيئة والدكتور «**زينهم الألفي**» رئيس شركة حَمَش للذهب ، والدكتور «**عبد العزيز عبد القادر**» الخبير الجيولوجي والدكتور «**أحمد عاطف دردير**» الرئيس الأسبق للمساحة الجيولوجية والدكتور «**محمد منصور**» رئيس الإدارة المركزية للمساحة الجيولوجية ، والمهندس «**حمادة رشوان**» بأسوان ، لقد كانت

ملاحظاتهم وملاحظات غيرهم خير معين لي علي إعداد هذا الكتاب في هذه الصورة التي أرجو أن يرضي عنها القارئ الكريم .

وأشكر كل من كتب عن هذا الموضوع وأثري المكتبة العربية بمعلوماته القيمة ، ولا أنسي أبدا رحلاتي في صفحات الكلمات الرائعة التي حررها رحّال النوبة المبدع **«جمال القرشاوي»** وكتابات البروفسور المرموق **«حسن فضل»** والذي منه تعلمت الكثير عن بلاد النوبة العظيمة . كما لا أنس صاحب الفضل في إعداد هذا الكتاب الدكتور **«محمد رياض»** أستاذ الجغرافيا المرموق بكلية الآداب بجامعة عين شمس ، وكان سيادته قد أشار علي بإعداد الكتاب عقب رسالة حررها لي يدعوني فيها أن أكتب عن وادي العلاقي . لقد كان لدراساته وإصداراته القيمة هو والراحلة العظيمة زوجته عن بلاد النوبة الأثر الكبير في إلقاء الضوء علي منطقة يري كثير من العلماء أنها كانت مهد الحضارة في وادي النيل .

وللصديق العزيز الأستاذ **«فتحي فضل»** مدير البنك الأهلي الأسبق بأسيوط والنوبي الأصل أتقدم بشكري وتقديري العميقين ، لقد تفضل سيادته بالمراجعة الدقيقة لكل ما يتعلق بشعب النوبة : بعاداتهم وتاريخهم وماضيهم وحاضرهم وما يتطلعون إليه في مستقبلهم ؛ إن حبه الشديد لوطنه النوبة لم يقلل من عشقه وحبه وولائه لمصر الوطن الكبير .

كما أتقدم بخالص الامتنان للعالم الجيولوجي الجليل **«محمد سميح عافية»** ، الذي تفضل مشكوراً بمراجعة الكتاب وأبدي ملاحظات قيمة أخذتها بكل التقدير والاعتبار فله مني الاحترام الواجب لأستاذ قدير أعطي من علمه ومن وقته الكثير للتدقيق في محتويات الكتاب ، جزاه الله كل خير وأدام الله حب تلامذته ومعجبيه .

وأتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الدكتور **«محمد صابر عرب»** رئيس مجلس إدارة دار الكتب والوثائق القومية والصديق الفاضل اللواء **«حسن خلاف»** وكيل وزارة الثقافة بالهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية اللذان يسرا لي الاطلاع علي المراجع المحفوظة بدار الكتب المصرية .

وفي النهاية أشكر كل من زوّدني بمعلومة جديدة أو مرجع عن وادي العلاقي ، وقد تمت الإشارة إلي هذه المراجع في متن الكتاب والتي بدونها ما كان للكتاب أن يري النور .

الحمد لله من قبل ومن بعد ، والله من وراء القصد .

رمضان ١٤٢٩ هجرية — د . محمد رجائي جودة الطحلاوي

الموافق سبتمبر ٢٠٠٨ ميلادية — أسيوط ، مصر



أ . د . أحمد عصمت بلال (على اليمين) ، مؤسس وحدة الدراسات البيئية والتنمية بجامعة جنوب الوادي في أسوان ، و أ . د . محمد عبد الفتاح القصاص (على اليسار) أستاذ البيئة والنبات العالمي .

(تصوير ايرينا شبرينجل)



أ . د . أحمد عصمت بلال وأ . د . ايرينا شبرينجل ، كلية العلوم ، جامعة جنوب الوادي بأسوان .

ملخص عن وادي العلاقى

جنوب الصحراء الشرقية المصرية

وادي العلاقى هو وادي نهر جاف ينبع من جبال البحر الأحمر ناحية جبال علبة ، ويصب في نهر النيل (بحيرة ناصر) مخترقاً الصحراء (الشرقية) النوبية لمسافة حوالي ٢٧٥ كم . وتنتشر في الوادي أشجار السيال والسنط والطلح كما تنمو فيه أعداد كبيرة من النباتات الفصلية والحولية .

يبلغ متوسط درجة الحرارة السنوي +٢٥,١° ، وأدني درجة +٨,١° في شهر يناير (سجلت الأرصاد -٢° في يناير ١٩٩٢) ، ويبلغ متوسط أعلي درجة ٤١.٨° في يوليو (سجلت الأرصاد ٤٥° في أغسطس ١٩٩٧) ، وأعلي رطوبة نسبية تكون في ديسمبر حيث تبلغ ٣٧٪ ، وأدني نسبة في شهري مايو ويونيو حيث تهبط إلي ١٣ ٪ ، وقد سجلت محطة الأرصاد القريبة من بحيرة ناصر رطوبة نسبية تتراوح بين ٣٦ - ٩٢٪ . والوادي شديد القحولة ، فلا يتجاوز معدل هبوط الأمطار السنوي ٥مم ، والجو متقلب وكثيراً ما تهب الرياح وخاصة في فصلي الشتاء والخريف .

سكان وادي العلاقي من البدو الرحل ينتشرون في أنحاء مختلفة من الوادي ويتركز وجودهم في الجزء السفلي عند بحيرة ناصر والجزء العلوي من الوادي ، وينقسم بدو العلاقي إلى قبيلتين تبعا لأصولهم : فالعبابدة لهم أصول عربية أما القبائل البشارية فلهم غالبًا أصول أفريقية ويظهر ذلك واضحًا في لغتهم .

يتركز وجود العبابدة في الجزء السفلي من الوادي حول شواطئ بحيرة ناصر للاستفادة منها كمصدر للمياه ، وينقسم العبابدة إلي عدة عشائر فالحميداب يقيمون في منطقة أم عشيرة والسديناب في منطقة أبو همبول والفشيجاب في وادي قوليب (قليب) ، أما العموراب وهي العشيرة البشارية الوحيدة التي توجد في أسفل الوادي فتعيش في منطقة السديناب ، أما بقية البشارية فيتركز وجودهم في الجزء العلوي من الوادي حتى حدود السودان وهم أيضًا ينقسمون إلي عدة عشائر ، فالحلفاو أو كما يطلق عليهم (القاو) يقطنون في منطقة الدقين ، وعشيرة الهدلاب الذين ينتشرون في مناطق عدة من الوادي كخشم منتكوان وخشم العجايب وخشم الكاموتيت ، أما منطقة خشم قرادة فتسكنه عشيرة كربلاب .

يمارس حق استخدام الأرض الزراعية والموارد الأرضية عامة عبر توسط الانتما الاجتماعي للبدنة أو القبيلة مالكة الأرض ، ويوجد نمطان من حقوق استخدام الأرض والموارد : حق الاستخدام من خلال امتلاك الحق الأصلي (أسل) ، وحق الاستخدام من خلال الحصول على حق الانتفاع (إعارة) عبر تفويض إحدى البدنات لحقها الأصلي لأعضاء بدنة أخرى . ويتم الأخير بعد دفع هبة لمالك الحق الأصلي .

يعتمد بدو وادي العلاقي في حياتهم علي الموارد الطبيعية الموجودة في الوادي ، والتي تلعب دوراً هاماً في الحياة اليومية ، فرغم قلتها إلا أنهم يتفننون في تطويع هذه الموارد بما يتناسب مع احتياجاتهم ، فالأشجار الجافة علي سبيل المثال يقومون بحرقها ودفنها تحت الرمال لفترة وذلك لعمل الفحم الذي له شهرة كبيرة في أسوان لما يتميز به من سرعة وقوة الاشتعال ، والحشائش الطويلة لصنع السجاجيد والأسوار ، والنباتات والحشائش للأدوية العشبية ، والصمغ العربي للتصدير . وبالطبع فإن إمكانات المنتجات الطبيعية تنكمش تدريجياً نتيجة لتراجع البيئة .

ولكن يبقي الرعي هو النشاط الذي يعتمد عليه المجتمع البدوي بشكل أساسي في حياتهم ، فهم يستغلون النباتات الخضراء الحولية منها (تنمو لفترات قصيرة بعد سقوط الأمطار) والدائمة في رعي الأغنام والماعز والإبل ، ويقوم النظام الاقتصادي في المجتمع البدوي علي عدة أنشطة مثل رعي الأغنام والماعز والإبل وتجارة الفحم وتجميع النباتات الطبية والتجارة بها .

ومنطقة وادي العلاقي فريدة من نوعها وتتميز بالتنوع الكبير في الحياة البرية ، سواء كانت نباتية أو حيوانية ، وهي ملتقي لآلاف الطيور المهاجرة من الجنوب إلي الشمال وبالعكس ، ومأوي لبعض الأجناس الحيوانية التي توشك علي الانقراض . وبالرغم من القحولة الشديدة ودرجة الحرارة العالية جداً فالمنطقة يسعي لها العلماء من كل حدب وصوب والمشروعات التنموية علي قدم وساق .

وترجع أهمية محمية وادي العلاقي إلي أنها مثل نموذج للبيئات المرتفعة والمنخفضة *High and low Altitude Eco-system* ، ويتميز بحياة برية نباتية وحيوانية غاية في التنوع .

تتميز الحياة البرية بمحمية وادي العلاقي بوجود حوالي ١٥ نوعًا من الثدييات ، مثل الجمال ، والأغنام ، والغزال ، وابن آوي ، والضبع ، والحمار الجبلي وبعض الزواحف الخطيرة مثل الحية القرعاء والتي تشبه العقرب . كما تتميز المنطقة أيضًا بعدد كبير من اللافقاريات التي يعيش معظمها تحت الشجيرات مثل النمل والخنافس حيث لها دور هام في التوازن البيئي وخصوبة التربة بالوسائل التي تستخدم في تحليل المواد العضوية .

ويعيش في المحمية وفي الوادي حوالي ١٦ نوعًا من الطيور المقيمة مثل النعام والأبلق والقنبرة المتوجة والعقاب النسارية والصقر والقطا والحجل والرخمة والحباري ، والصقور ، والعقبان ، والحدأة السوداء ، والبومة ، والبط الشرشار .

يتميز وادي العلاقي بالتنوع الشديد في الحياة النباتية حيث يبلغ عدد الأنواع حوالي ١٢١٧ نوعًا من النباتات العليا ، وتم تسجيل ٩٢ نوعًا من النباتات دائمة الخضرة والحولية والنباتات الطبية مثل الكلخ ، الحنظل ، السنا مكي ، والسواك والطرفة (الأثل) والهجليج (الإهليج) وبلح اللالوب والسيال وغيرها .

ومن الناحية الجيولوجية فإن وادي العلاقي يحتوى على مناطق لأقدم صخور في جمهورية مصر العربية يتراوح عمرها بين ٦٠٠ و١٣٠٠ مليون سنة ، وتشكل التكوينات والتراكيب الجيولوجية مناظر طبيعية خلابة في غاية من الروعة .

بعد بناء السد العالي وامتلاء بحيرة ناصر بالمياه عام ١٩٦٧ م دخلت المياه وادي العلاقي وأصبح جزءاً من البحيرة ، ونتيجة انخفاض منسوب المياه في السنوات الأخيرة بالبحيرة انحسرت المياه عن جزء كبير من هذا الوادي حيث تتوافر الخضرة وترعى الحيوانات فيه صيفًا وعلى تلال البحر الأحمر شتاءً ، وهناك نموذج ملائم من التنمية يتمثل في تشجير المنطقة بأشجار السنط وكذلك استخدام المياه (الأرضية) الجوفية في الري .

ومن الناحية الثقافية والاجتماعية يوجد عدد كبير من المواقع الأثرية يرجع تاريخها إلي عصور مختلفة ، وتعيش حاليًا علي أرض وادي ومحمية العلاقي حوالي (٧) عشائر بدوية من العبابدة والبشارية تتميز بثقافة خاصة ولهم حرفهم اليدوية المميزة . ووادي

العلاقي له نشاط سكاني قديم جداً ومن قبل العصر الفرعوني حيث إن المنطقة كانت وما زالت مصدراً هاماً لاستخراج الذهب والنحاس والنيكل والكروم والتلك .

والحق يقال إن وادي العلاقي يسعى حثيثاً ليتبوأ مكانة مرموقة على خريطة مصر العربية .

١-المقدمة

وفي عصر الفاطميين ، تمكنت ربيعة وأحلافها أن يؤسسوا أول إمارة عربية في أرض المعدن بالعلاقي ، وكانت أسوان مقراً لها ، وامتد سلطانها جنوباً في أرض «مريس» ، وكان زعيمهم حينئذ هو الذي أشار إليه المسعودي ووصفه بصاحب المعدن .

(كتاب البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب للمقريزي)

يقع وادي العلاقي[١] على بعد ١٨٠ كم جنوب أسوان في الجهة الشرقية من بحيرة ناصر[٢] ويمتد الوادي حوالى ٢٧٥ كم في اتجاه جنوب شرق/شمال غرب ومتوسط عرضه حوالي ١٠كم . والوادي عبارة عن نهر جاف كبير كان ينبع من تلال البحر الأحمر وخاصة من جبل علبة ويصب في الجزء الجنوبي من وادي النيل في مصر (شكل ١-١) .



شكل (١-١) : خريطة جمهورية مصر العربية ، ويظهر في أقصى الجنوب الشرقي وادي العلاقي الذي يمتد إلى حدود السودان الشقيق .

(١) العلاقي : الألقاب (والإنسان يحب الألقاب والتفاخر بالحسب والنسب والمال) ، أو خصيم شديد الخصومة يتعلق بالحجج ويستدركها ، أو محب للجدل (لسان العرب لابن منظور الإفريقي - الجزء العاشر) ، وهناك من يقول إنها شجرة العلقى .

(٢) بحيرة ناصر : يطلق على الجزء الواقع من البحيرة داخل الأراضي السودانية اسم بحيرة النوبة .

ومن أهم الأدوار التاريخية التي لعبها وادي العلاقي أنه كان يمثل طريق قوافل الجمال القادمة من شرق السودان لبيعها في الأسواق المصرية ، وهذه القوافل التي تدعي دابوكا (**Dabouka**) كانت تتكون الواحدة منها من ١٠٠٠ إلي ١٥٠٠جمل ، ولا تزال تشاهد بقايا عدد كبير من الجمال التي نفقت في الطريق بسبب العطش والإجهاد والتي أصبحت غذاءً للنسور المصرية ، وكان عرب العبابدة يقدمُون العون لهذه القوافل وإرشادهم للطريق وإمدادهم بالماء والزاد .

وقد أعلن وادي العلاقى محمية طبيعية بموجب قرار السيد رئيس مجلس الوزراء رقم ٩٤٥ لسنة ١٩٨٩ م والمعدل بالقرار رقم ٢٣٧٨ لسنة ١٩٩٦ م بمساحة إجمالية حوالي ٣٠ ألف كم٢ .

وينبع نهر النيل الذي تدور حوله حضارة قدماء المصريين من فوق هضاب الحبشة بشرق إفريقيا ومنابع النيل بجنوب السودان متجهًا من السودان شمالاً لمصر ليأتي الفيضان كل عام ليغذي التربة بالطمي الذي جعل اقتصاد مصر في نمو متجدد معتمدًا أساسًا علي الزراعة . ومما ساعد علي ظهور الحضارة أيضًا سطوع الشمس المشرقة تقريبًا طوال العام لتمد المصريين القدماء بالدفء والضوء . ومصر كانت محمية دائمًا من الجيران بالصحراء في الغرب والبحر في الشمال والشرق ووجود الشلالات (الجنادل) جنوبًا بالنوبة علي النيل مما جعلها أرضًا شبه مهجورة . وهذا الاستقرار جعل قدماء المصريين يبدعون حضاراتهم ومدنيتهم فوق أرضهم ، فأوجدوا العلوم والآداب والتقاليد والعادات والكتابات . . . .الخ ، وتركوا تسجيلات منقوشة علي الصخور ومخطوطات علي أوراق البردي لتأصيل هذه الحضارة ، فشيدوا البنايات الضخمة كالأهرامات والمعابد والمقابر التي تحدّت الزمن ، علاوة علي المخطوطات والرسومات والنقوش والصور الملونة والتي ظلّت حتى اليوم . وكانوا يعالجون نبات البردي ليصنعوا منه أوراقًا رقيقة كتبوا عليها تاريخهم وعلومهم وعاداتهم وتقاليدهم . وكانوا يكتبون عليها باللغة الهيروغليفية ، وهي اللغة المصرية القديمة بالكتابة الهيروغليفية . وابتدعوا مفاهيم في الحساب والهندسة ودرسوا الطب وطب الأسنان وابتدعوا التقويم الزمني حسب ملاحظاتهم للشمس والنجوم والكواكب .

لقد أعطت الأرض المصريين المعادن والجواهر النفيسة كالذهب والفضة والنحاس والزمرد (البريل) ، ومعظم هذه المعادن كانوا يجلبونها من جنوب شرق الصحراء الشرقية ومن بلاد النوبة ، وكانت هذه المناطق تسمي أرض المعدن ، وانتشر هذا الاسم في فترة الفتح الإسلامي . وكانوا يتبادلون السلع مع دول الجوار .

وتاريخ مصر يبدأ منذ ٨٠٠٠ سنة ق .م في منطقة جنوب شرق مصر عند الحدود السودانية الشمالية الشرقية ، عندما جاءها قوم رعاة ، وكانت هذه المنطقة منطقة جذب حيث كان بها سهول تنمو بها الحشائش للرعي ومناخها معتدل معظم فصول السنة ، وكان بها بحيرات من مياه الأمطار الموسمية . والآثار تدل علي أن الرعاة كانوا مستوطنين يرعون الماشية . وخلفوا من بعدهم بنايات ضخمة في سنة ٦٠٠٠ ق .م . وسلالة هؤلاء القوم بعد ٢٠٠٠ سنة نزحوا لوادي النيل وأقاموا الحضارة المصرية القديمة . ولاسيما بعدما أن أقفرت هذه المنطقة الرعوية وتغير مناخها ، واستقروا سنة ٤٠٠٠ ق .م . بمصر العليا وخاصة في نيخن[٣] القديمة ونجادة[٤] وأبيدوس .

قد بدأت الزراعة في بلدة البداري (جنوب محافظة أسيوط) منذ ٥٠٠٠ سنة ق .م ، وكان سكان الفيوم مستوطنين يزرعون قبل البداري بألف سنة . وفي مدينة بوتو[٥] ظهرت صناعة الفخار المزخرف والذي يختلف عن طراز الفخار في مصر العليا .

كان هناك اختلاف بين المصريين القدماء ما بين مصر العليا ومصر السفلي في العقيدة وطريقة دفن الموتى والعمارة ، وجاء الملك مينا عام ٣١٠٠ ق .م . ووحّد القطرين (مصر العليا ومصر السفلي) . وكان يضع علي رأسه التاجين : الأبيض ويرمز للوجه

---

(٣) **نيخن القديمة** : عاصمة مملكة الوجه القبلى قبل مصر الموحدة ، والثانية فى الوجه البحرى وعاصمتها (بوتو) وقد احتفظ هذان المركزان القديمان للحكم فى مصر بأهميتها وشهرتهما طوال العصور التاريخية .

(٤) **نجادة (نقادة)** : مدينة ومركز بمحافظة قنا ، تقع علي الشاطىء الغربى للنيل وتطل على النهر ، وتبعد نقادة عن مدينة قنا ٣١كم جنوباً وعن الأقصر ٢٥ كم شمالاً ، وعلى الجهة المقابلة لها من الضفة الشرقية للنيل إلى الشمال منها تقع مدينة قوص ، وتبعد عن االقاهرة ٦٤٠كم جنوباً . وتشتهر نقادة بصناعة الفركا وهى من المنسوجات اليدوية التى كانت تصدر إلى السودان وتستخدم فى بعض العادات المتوارثة لديهم فى الولادة والزواج .

(٥) **بوتو** : كانت مدينة (بوتو) عاصمة للوجه البحرى فى عصر ما قبل التاريخ قبل عصر مصر الموحدة اختصتها مصر القديمة بحضانة الطفل (حورس) الذى وضعته أمه (إيزيس) بتلك الجزيرة المجاورة لها (أخبيت) ، ، مركز دسوق فى أحراش الدلتا ، ومن أهم القطع الأثرية المكتشفة تماثيل لأبى الهول وحورس وتحتمس الثالث ، وتقوم فى موقعها الآن قرية تل الفراعين أو إبطو غرب دسوق بمحافظة كفر الشيخ .

وجعل الملك مينا «منف» *Memphis* العاصمة، والأحمر ويرمز للوجه البحري. وجعل الملك مينا «منف» *Memphis* العاصمة

القبلي، والأحمر ويرمز للوجه البحري. وكانت تقع غرب النيل عند الجيزة وأبيدوس المقبرة الملكية والتي انتقلت لسقارة الموحدة، وكانت تقع غرب النيل عند الجيزة وأبيدوس المقبرة الملكية والتي انتقلت لسقارة إبّان عصر المملكة القديمة.

وكان عدد سكان مصر قبل عصر الأسرات (٥٠٠٠ ق.م. -٣٠٠٠ ق.م.) لايتعدي مئات الآلاف، وأثناء المملكة القديمة (٢٥٧٥ ق.م. -٢١٣٤ ق.م.) بلغ عددهم ٢ مليون نسمة، وإبّان المملكة الوسطي (٢٠٤٠ ق.م. - ١٦٤٠ ق.م.) زاد العدد أثناء المملكة الحديثة (١٥٥٠ ق.م. - ١٠٧٠ ق.م.) وتراوح من ٣ إلي ٤ مليون نسمة. وفي العصر الهيليني (٣٣٢ ق.م. - ٣٠ ق.م.) بلغ العدد ٧ مليون نسمة، وبعدها دخلت مصر العصر الروماني.

كان المصريون يكونون مجتمعًا زراعيًا لأنهم يجاورون نهر النيل، وكانت منف وطيبة مركزين هامين عندما كانت كل منهما العاصمة، وكان لقدماء المصريين تقويمهم الزمني منذ مرحلة مبكرة وكان يعتمد علي ملاحظاتهم للشمس والنجوم بالسماء ومواعيد فيضان النيل في كل عام. وكانوا يستعملون تقويمهم في تسجيل الأحداث التاريخية وجدولة أعيادهم وتأريخ القرارات الملكية. وكان أول محاولة لعمل تقويم عام ٨٠٠٠ق.م. عندما صنعت الدوائر الحجرية في ركن بأقصى جنوب غربي مصر حاليًا، وكانت تستخدم لمراقبة النجوم وحركاتها، وقسّموا اليوم ٢٤ ساعة (١٢ نهارًا و١٢ ليلاً) والأسبوع ١٠ أيام، والشهر ٣ أسابيع أو ٣٠ يومًا، والسنة ١٢ شهرًا. وكانت تقسّم لثلاثة فصول كل فصل ٤ شهور. وكانت السنة تعادل ٣٦٠ يومًا. وكان قدماء المصريين يضيفون بعدها ٥ أيام، كل يوم من هذه الأيام الخمسة تشير لعيد ميلاد إله، وبهذا تكون السنة الفرعونية كاملة ٣٦٥ يومًا، وهي تقريبًا تقارب السنة الشمسية حاليًا ماعدا ربع يوم الفرق في كل سنة شمسية، ولم يكن يعرفون إضافة يوم كل ٤ سنوات.

قام قدماء المصريين بالعديد من الأعمال الإبداعية المبتكرة والمذهلة للعالم سواء في التحنيط والموسيقي والنحت والأدب والرسم والعمارة والدراما، وكشف التنقيب عن آثار عصر ما قبل التاريخ بمصر منذ ٦٠٠٠ سنة ق.م. وجود مواقع أثرية علي حدود مصر الجنوبية مع السودان في بلاد النوبة، حيث عثر بها علي أماكن دفن وإقامة الأعياد والاحتفالات ومقابر للماشية مما يدل علي تقديسها، وعُثر بالمقابر البشرية علي مشغولات

مشغولات يدوية وأسلحة وأوانٍ ترجع لهذه الحقبة مما يدل علي وجود عقيدة ما بعد الموت. وكانت عقيدة قدماء المصريين تقوم علي الشمس ممثلة في عقيدة رع وحورس وأتون وخبري[٦]، والقمر ممثلا في عقيدة توت وخونسو، والأرض ممثلة في عقيدة جيب[٧]. وكانت نوت ربة السماء وشو تفنوت إلها للريح والرطوبة، وأوزوريس وإيزيس حكام العالم السفلي. وأصبح رع وأمون بعد اندماجهما يمثلان عقيدة أمون - رع كملك الآلهة.

---

(٦) **خبرى**: الإله خبرى يأخذ شكل جعل وقد صوره قدماء المصريين على شكل خنفس، والخنفساء بالهيروغليفية تعنى خبر لذا فخبرى تعنى الخنفسائى، كما أنها تعنى أيضًا الكائن، وخبر تعنى الكيان، وكان يعتقد أنه يمكن أن يعطى الكيان الروح للآخرين. وخبرى كالخنفساء يدفع كرة الشمس إلى العالم الآخر فى المساء وينتظر فى العالم الآخر ليحيى الشمس حين تتحد روحه مع روح الإله رع ثم يدفع كرة الشمس فوق أفق الأرض، وتتحد روح رع مع الإله خبرى فى شكل جعل فيؤدى ذلك إلى عودة روح رع إلى الحياة فيتقدم فى السير حيًا إلى الشروق وتتكرر هذه الرحلة كل يوم. كان الجعل جزءاً من الميثولوجيا المصرية القديمة ويرتبط بفكرة الخلق التلقائى، واستخدمت أختام تحمل شكل الجعل كما استخدمت كتمائم.

(٧) **عقيدة جيب**: كانت العقيدة المصرية قائمة على تقديس ثالوث مكون من أوزوريس الأب وحورس الابن وإيزيس الأم والجميع يرجع إلى واحد، ولم تستمر هذه العقيدة وانتقلت إلى تقديس تاسوع بدلاً من ثالوث، وذلك التاسوع يرجع إلى قوى الطبيعة المؤثرة فى تحولات الأشياء ظاهراً فقد فرضوا اسم العنصر الأول الذى تكونت منه الأشياء وهو الماء وأول ما ظهر من الماء هو رع (الشمس) ومنه ظهر الهواء (سرا) والفراغ (تيفينه) ومن اجتماعاتهما كانت الأرض (جيب) والسماء (نوت)، ومن اجتماع الأخيرين نشأ النيل (أوزوريس) والأرض الخصبة (إيزيس) والصحراء (سيف) والأرض القاحلة (نيفتيس).

٢- تاريخ النوبة، حاضنة وادي العلاقي

كانت النـوبة بالأمس منارة جميـلة　　عاش أهـلها علي الكـرم والطيـبة

بين شواطئ النيل والسهول والطبيعة　　عاشقة والعشق في كل قرية ومدينة

(جمال القرشاوي ، شاعر نوبي)

ملامح الدولة النوبية قبل الإسلام

تقع بلاد النوبة إلي الجنوب من مصر ، وكانت تضم المناطق الممتدة علي طول جانبي النيل بين الشلال الأول عند أسوان شمالاً إلي ملتقي النيلين الأبيض والأزرق أي إلي الخرطوم الحالية جنوبًا (المقريزي ، الخطط)[٨] .

تبدأ المنطقة النوبية من أسوان وكانت تسمى (إثيوبيا) نسبة إلى لون البشرة السمراء ، والعرب سموُهم الكوشيين نسبة إلى كوشاييم ، فالنبي نوح عليه السلام كان له ثلاثة أولاد هم حام وسام ويافث ، وأولاد حام هم كوش ومصر وسام ولذا سميت النوبة ببلاد كوش . وبلاد النوبة تقع في مصر والسودان وحتى لفظ السودان يعتبر حديثًا وقد أطلقه العرب على كل البلاد التي تقع جنوب مصر وكل إفريقيا ، ومنذ القرن السادس قبل الميلاد تكونت المملكة المروية[٩] في المناطق النوبية واستمرت حتى القرن الرابع بعد الميلاد عندما سقطت إثر هجمات من ممالك مسيحية من منطقة الحبشة وبدأت معها حضارة المجموعة

---

(٨) المقريزي : شيخ المؤرخين المصريين «أحمد بن على المقريزي» المعروف باسم «تقى الدين المقريزى» ، ولد وتوفى فى القاهرة (١٣٦٤م-١٤٤٢م) . . كان من اهتموا بالتأريخ بكل نواحيه . وشغل المقريزى العديد من وظائف الدولة فى عصره ، حيث ولى فيها الحسبة والخطابة والإمامة عدة مرات ، ثم عمل مع الملك الظاهر برقوق ، ودخل دمشق مع ولده الناصر سنة ٨١٠ هجرية ، وعُرض على المقريزى قضاؤها فأبى ، ثم عاد فيما بعد إلى مصر . وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الأعمال للمقريزى قد تمت ترجمتها ونقلها إلى لغات غير العربية ، فقد قام المستشرق (كواتر مير *Qwatere Mere*) بترجمة قسم كبير من كتاب السلوك للمقريزى وبخاصة ما يتعلق بمرحلة حكم المماليك لمصر .

(٩) مروي : تعد مروى من الحضارات العريقة التى ترتكز عليها الحضارة القديمة فى السودان ، ففى نهايات القرن الخامس قبل الميلاد انتقلت عاصمة النوبة من نبتة إلى مروى التى تقع جنوب الشلال الخامس ، وتمتاز بخصائص كثيرة أهّلتها لأن تكون العاصمة الجديدة للمملكة النوبية ، أهمها الموقع الجغرافى المتميز فى مفترق طرق القوافل التى تربط مصر بأثيوبيا وكافة بلاد أفريقيا . وتميزت حضارة مروى بطابعها الأفريقى التى تفردت خلافاً لبقية الثقافات التى ازدهرت فى وادى النيل . وتدل الآثار المتبقية من هذا العصر على تأثر مروى بالثقافات المختلفة التى عاصرتها ، ويبدو ذلك جلياً فى معابدها ذات الطابع الرومانى والمصرى والإغريقى .

حضارة المجموعة المجهولة . وعندما دخل الإسلام مصر حدث اتحاد في بلاد النوبة بين الممالك النوبية وهي مملكة نوباتيا وعاصمتها «فرس» في النوبة السفلى بين الشلال الأول والثاني ومملكة «مقرة» وعاصمتها «دنقلا» في النوبة الوسطى بين وادي حلفا وأبو حمد ومملكة «علوة» وعاصمتها «سوبا» في النوبة العليا ، وسنوباتياس قامت عام ٥٤٠م على يد الملك «سليكون» . وفي البداية كانت العاصمة في كلابشة ثم انتقلت إلى بلاد فرس على حدود السودان ، وأما النوبة العليا فقد سقطت عام ١٤٠٤ م مملكة علوة على يد الفونج(١٠) وانتقلت العاصمة إلى سنار .

والنوبة طائفة من طوائف السودان ينسبها المؤرخون إلي نوبي بن فقط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح (الحموي ، البلدان) ، ويقول ياقوت الحموي(١١) إنهم ولد نوبة بن كوش بن كنعان بن حام ، ويزعم أنهم من نسل حُمير . والتاريخ يثبت أن بلاد النوبة قد تأثرت دائمًا بما يحدث في مصر من تطورات سياسية ، إذ تعتبر النوبة امتدادًا طبيعيًا لمصر ، ولذلك فكل ما يحدث في مصر كان له صداه في بلاد النوبة .

تضم بلاد النوبة ثلاثة أقاليم رئيسية ، وهي من الشمال إلي الجنوب (شكل ٢-١) :

- **إقليم النوبة السفلي (الشمالية)** : ويشمل المنطقة الواقعة بين الشلال الأول شمالاً إلي وادي حلفا جنوبًا ، وفي هذا الإقليم يقع وادي العلاقي .
- **إقليم النوبة الوسطي** : ويحتل منطقة الوسط بين وادي حلفا شمالاً إلي دنقلة جنوبًا .
- **إقليم النوبة العليا (الجنوبية)** : ويقع في أقصي الجنوب ويمتد فيما وراء دنقلة حتى التقاء النيلين الأبيض والأزرق جنوبًا .

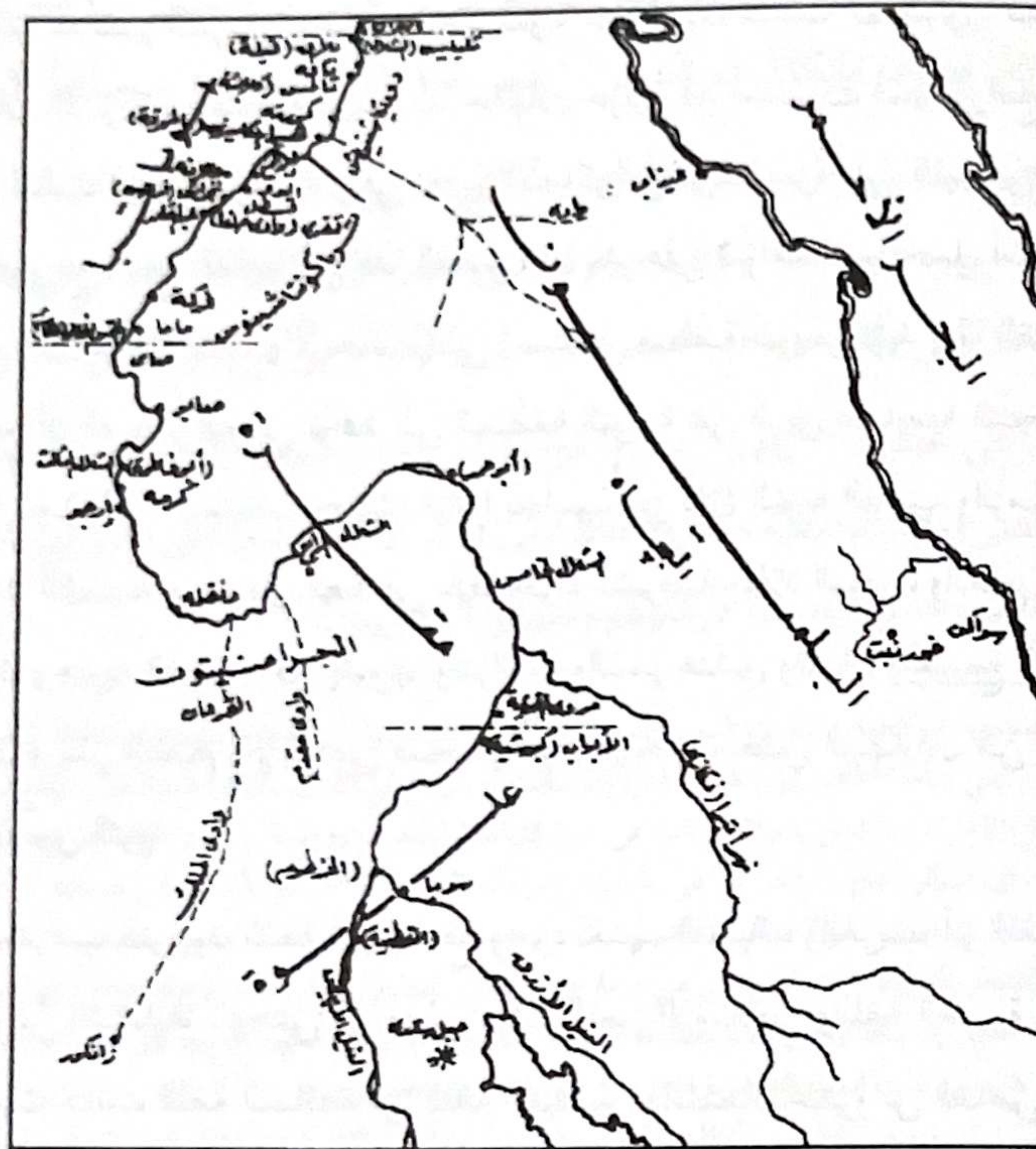
(١٠) الفونج : اختلف المؤرخون كثيراً فى تحديد أصل الفونج ، ففريق منهم ذهب إلى أن أصل الفونج ينحدر من المجموعة النيلية بالسودان وأنهم تحديداً ينتمون إلى الأصول القديمة لقبيلة الشلك الذين كانوا من أوائل اللذين اتصلوا بالعرب منذ دخولهم السودان كما اختلطوا بالنوبيين ، ثم دخلوا إقليم أعالى النيل وأقاموا فيه وتزاوجوا مع القبائل العربية والمسلمين فى الشمال فاعتنقوا الإسلام ؛ وهناك رأى ثان تؤيده وثائق يقول إن أصل الفونج ينتهى إلى العرب العاربة وإنهم حميريون ، وإنهم ينتمون إلى القوم الذين أقاموا إمبراطورية البرنو الإسلامية وينتهى نسبهم إلى أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أميه .

(١١) ياقوت الحموى : (١١٧٨-١٢٢٨م) : أديب ومؤلف موسوعات ، ولد فى مدينة حماة السورية . اشتهر بكتابه "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب" ، الذى جمع فيه أخبار الأدباء إلى أيامه ، ورتبهم فيه حسب حروف المعجم ، ويعتبر الكتاب موسوعة ضخمة للأدباء . كان ياقوت علماً من أعلام مؤلفى الموسوعات فى التاريخ ، كما يدل على ذلك أيضًا تأليفه كتاب «معجم البلدان» ، وهو موسوعة جغرافية ضخمة تستغرق عدة مجلدات ، رتبت هى الأخرى على حروف المعجم .

وقد انقسمت بلاد النوبة قبل فتح مصر إلي مملكتين (باز ، ٢٠٠٦) :

- **مملكة النوبة السفلي** : أو مملكة مقرة في الشمال وعاصمتها دنقلة .
- **مملكة النوبة العليا** : أو مملكة علوة في الجنوب وعاصمتها سوبا .

وتتألف كل من هاتين المملكتين من عدة ممالك صغيرة علي رأس كل منها حاكم أو ملك صغير يسمي بنائب الملك الكبير ، ويعتبر حاكم إقليم مريس(١٢) – المتاخم لحدود مصر– والذي يمتد من الشلال الأول إلي الشلال الثاني من أهم ولاة الإقليم ، وكان يُعرف بصاحب الجبل .



شكل (٢-١) : ممالك النوبة وأهم مدنها في العصور الوسطي (عن ابن سليم الأسواني) في مصطفى مسعد ، (١٩٦٠) .

(١٢) بلاد مريس النوبية : كانت تمتد جنوب أسوان بخمسة أميال حتى شمال دنقلة عاصمة مملكة المقرة النوبية المسيحية بحوالى ٥٠ كم .

تم فتح مصر عام ٦٤٠م بقيادة عمرو بن العاص بأربعة آلاف جندي في غزو خمسة أشهر فقط في حين أنه حاول فتح بلاد النوبة لمدة عشر سنوات من عام ٦٤٠ إلى ٦٥٠م فلم يستطع لشهرة النوبيين برماة الحدق[١٣] أي رمي السهام من الأقواس من على الجياد والسيوف في حدقة العين، ومن الثابت تاريخيًا أن هناك حوالي ١٥٠ قائدًا عربيًا فقدوا عيونهم في هذه المعارك، أما الذي سهّل فتح مصر كان وقوف المصريين إلى جانب القائد عمرو بن العاص لكرههم حكم الرومان الذين كانوا يعذبونهم عكس بلاد النوبة التي كانت تشهد استقرارًا في حكمهم.

بدأ العنصر العربي الوافد في بلاد النوبة منذ القرن الثالث الهجري، فقد أثبتت الأبحاث الأثرية في منطقة مريس أن جاليات عربية قد استقرت فيها ووضح أثرها في القرن الثالث الهجري وقد عثر في بعض الأماكن بأرض مريس على كثير من الكتابات العربية يرجع تاريخ أقدمها إلى هذا العصر كما عثر على شواهد قبور تحمل أسماء عربية بتاريخ ٢٢١هـ/٨٣٦م، والأبحاث التي تمت في منطقة مريس تؤيد هذا القول. ومن المرجح أن العنصر العربي توافد إلى المنطقة النوبية عن طريق ممارسة التجار العرب نشاطًا تجاريًا في المنطقة حيث كانوا يجلبون من بلاد النوبة الذهب والزمرد وبعض المعادن الثمينة من وادي العلاقي بالصحراء الشرقية وبلاد البجا، والعاج من غرب السودان وخشب الأبنوس من إثيوبيا وسرانديب، والتمر هندي والبان والصمغ العربي من كردفان وريش النعام والإبل من البجا وأعواد البخور وبعض البهارات من الصومال والمسك من النوبة.

استوعب النوبيون اللغة العربية مع وجود لغتهم النوبية، والغريب أن اللغة العربية تأخرت في انتشارها، وحتى في مصر انتشر الدين الإسلامي واللغة العربية بعد ٥٠٠ سنة حيث كانت اللغة السائدة هي اللغة القبطية، واستعان عمرو بن العاص بمترجم عند دخوله مصر.

(١٣) الحدق: جمع حدقة العين أي سواد العين.

النوبة تاريخ مسالم وحافل بالهجرات العربية

الهجرة العربية قبل الإسلام

قبيلة بلي العربية

درج كثير من المؤرخين على القول بأن البجة (البجا) من عنصر سامي نزح منذ قديم الزمان إلى الساحل الغربي من البحر الأحمر، واستمرت بعض القبائل العربية في هجرتها إلى (السودان) قبل الإسلام وكانت أشهر تلك القبائل التي نزحت قبيلة بلي، ويقول القلقشندي[١٤] بأن هذه القبيلة هم بنو بلي بن عمرو بن الحافي بن قضاعة بن حمير، وكان قضاعة مالكا لبلاد الشحر[١٥] ولهم بقايا بالديار المصرية بصعيدها الأعلى.

وتعد قبيلة بلي أقدم القبائل العربية التي هاجرت إلى هذه الديار البجاوية بعد الشاسو[١٦] وثمود وغيرهما، وكانت هجرتها قبل ظهور الإسلام بألف عام، وهي بطن من بطون قضاعة التي يقال عنها في كتب المؤرخين بأنها أول من نزح من قبائل معد.

وقال ابن خلدون[١٧] إنهم (اجتازوا العدوة الغربية من البحر الأحمر وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكثروا هناك على سائر الأمم وغلبوا على بلاد النوبة وفرقوا وأزالوا ملكهم وحاربوا الحبشة فأرهقوهم وضايقوا المصريين).

(١٤) القلقشندي: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد، ولد في قرية قلقشندة بمحافظة القليوبية سنة ٧٥٦هـ وتوفي عام ٨٢١هـ. درس في القاهرة والإسكندرية، وبرع في الأدب والفقه الشافعي، وذاع صيته في البلاغة والإنشاء، والتحق بديوان الإنشاء في عهد السلطان الظاهر برقوق سنة ٧٩١هـ، واستمر فيه حتى نهاية عهده، أي حوالي عام ٨٠١هـ. بدأ في تأليف موسوعته الضخمة "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" سنة ٨٠٥هـ، وفرغ منها في شوال سنة ٨١٤هـ.

(١٥) بلاد الشحر القديم: ذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب إنها في ظفار باليمن، وإنه يتواجد بها شجر اللبان وهو غلة أهلها وإن سكانها من كندة وقضاعة وأن بها جبال واسعة وأودية فسيحة، وبها قبر النبي هود عليه السلام وتمتاز بتواجد عدد من عيون المياه المعدنية الحارة عن جميع مناطق حضرموت.

(١٦) الشاسو: كلمة مصرية قديمة أطلقها المصريون قريباً من القرن الثامن عشر قبل الميلاد على البدو الغرباء القادمين من جهة الشرق لغزو بلادهم، كما أطلقوا تسمية الهكسوس على أمرائهم ورؤساء قبائلهم، وقد تمكن هؤلاء الشاسو في فترة ازدهارهم من اقتطاع جزء من البلاد ما بين دمياط والشرقية في أفاريس وأقاموا فيه قرابة ثلاثمائة سنة حتى أجلاهم الملك أحمس مع بداية حكم الرعامسة من الأسرة الثامنة عشرة في القرن السادس عشر قبل الميلاد.

(١٧) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (٧٣٢-٨٠٨هـ/١٣٣٢-١٤٠٦م) مؤسس علم الاجتماع ومؤرخ عربي مسلم ترك تراثاً مازال تأثيره ممتداً حتى اليوم. ولد في تونس عام ١٣٣٢م/٧٣٢هـ. يعتبر ابن خلدون أحد العلماء=

وقبائل (بلي) هي أول من نقل اللغة العربية إلى إفريقيا فجاوروا قبائل البجا ولكنهم لم يختلطوا بها ، فأطلقت البجا كلمة (بلويت) على اللسان الذي تتكلمه (بلي) أي اللغة العربية ، وهي ما لم تكن مفهومة لديهم ، ولذلك نسبوها لأول من تكلمها في ديارهم كما أن (البلي) كانوا عنصرًا عربيًا يترفع عمن سواه من أمم إفريقيا واعتبروه سيدًا عليهم ، لما أورد معه من الفضائل كما أطلق على كل سيد من (بلي) (بلويون) وتعريبها رئيسنا أو سيدنا أو بلويب ، وبالبني عامرية (بلوابي) أو (بلواي) وكلها تؤدي معنى السيادة والزعامة ، كما أن البجة والبجاوية تؤدي لمعني عكس ذلك . وكان البلويون يأنفون من مصاهرتهم أو مخالطتهم حتى إذا ضاعت عروبتهم اللغوية اتخذوا البجاوية لسانًا لهم واضطرتهم سُنّة الحياة الاجتماعية كي يتزوجوا ببنات رؤساء البجة ، ونشأ أبناؤهم وهم يتكلمون لغة أمهاتهم .

الهجرات العربية وانتشار الإسلام

يقول المقريزي في كتاب «البيان والإعراب عمّا بأرض مصر من الأعراب» : (وكان بصعيد مصر أولاد الكنز أصلهم من ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان ، وكانوا ينزلون اليمامة[18] وقدموا مصر في خلافة المتوكل على الله أعوام بضع وأربعين ومائتين في عدد كثير وانتشروا في النواحي ، ونزلت طائفة منهم بأعالي الصعيد وسكنوا بيوت الشعر في براريها الجنوبية وأوديتها . وكانت البجة تشن الغارات على القرى الشرقية في كل وقت حتى خربوها ، فقامت ربيعة في منعهم من ذلك حتى هزموهم وكفوا المسلمين والعرب شرورهم ، ثم تزوجوا منهم واستولوا على معدن الذهب بالعلاقى فكثرت أموالهم واتسعوا في أحوالهم وصارت لهم مرافق ببلاد البجة . وكانت عيذاب لبني يونس من ربيعة

=الذين تفاخر بهم الحضارة العربية الإسلامية ، فهو أول من وضع علم الاجتماع على أسسه الحديثة ، وقد توصل إلى نظريات باهرة فى هذا العلم حول قوانين العمران ونظرية العصبية ، وبناء الدولة وأطوار عمارها وسقوطها ، وقد سبقت آراؤه ونظرياته ما توصل إليه لاحقًا بعدة قرون عدد من مشاهير العلماء كالعالم الفرنسى أوجست كانت .

عدّد المؤرخون لابن خلدون عددًا كبيرًا من المصنفات فى التاريخ والحساب والمنطق غير أن من أشهر كتبه (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر) ، وهو يقع فى سبعة مجلدات وأولها المقدمة وهى المشهورة أيضًا بمقدمة ابن خلدون ، وتشغل من هذا الكتاب ثلثه ، وهى عبارة عن مدخل موسع لهذا الكتاب ، وفيها يتحدث ابن خلدون ويؤصل لآرائه فى الجغرافيا والعمران والفلك وأحوال البشر وطبائعهم والمؤثرات التى تميز بعضهم عن الآخر .

(18) اليمامة : اسم قديم لإقليم من الجزيرة العربية يشمل تقريبًا الثلث الجنوبى الشرقى مما يعرف بنجد حاليًا (سافلة نجد) ، ويقال إن الإقليم سمّى بهذا الاسم على قرية من قراها تسمى جو اليمامة تقع آثارها حاليًا ضمن محافظة الخرج .

ملوكها عند قدومهم من اليمامة فجرى بينهم وبين بني بشر قتال داخلي انهزموا فيها ومضوا من عيذاب إلى الحجاز ثم وقعت حروب بين بني بشر قتل فيها إسحاق فأحضروا إليهم من بلبيس الشيخ أبا عبد الله محمد بن علي بن محمد بن يوسف المعروف بأبي يزيد بن إسحاق بن إبراهيم بن مسروق وهو ابن عم إسحاق بن بشر المقتول ، وإلى مسروق هذا ينسب كنز الدولة حامي أسوان وأنشأ مكانه المعروف بساقية شعبان ولم يزل رئيسًا على ربيعة حتى مات . فقام برياستهم بعده ولده أبو المكارم هبة الله بن الشيخ أبى عبد الله محمد بن علي ويعرف بالأهوج المطاع ، وهو الذي ظفر بأبي ركوة الخارج على الحاكم بأمر الله وقبض عليه فأكرمه الحاكم إكرامًا عظيمًا ولقبه كنز الدولة وهو أول من لُقب بذلك منهم . ولم تزل الإمارة فيهم وكلهم يعرفون بكنز الدولة ، حتى كان آخرهم كنز الدولة فقتله الملك العادل أبو بكر بن أيوب في سابع صفر سنة ٥٧٠ سبعين وخمسمائة عندما خالف على السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجمع لحربه وقتل أخا أبي الهيجاء السمين ودعا للأمير داود بن العاضد ، وكان قتله على مدينة طود بعد حروب كثيرة) .

ويضيف المقريزي : (وكان صاحب المعدن في زمن المسعودي المؤرخ ٣٣٢هـ أبا مروان بشر بن إسحاق ، وهو من ربيعة ، يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مضر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من البجة بالحجف البجاوية ، وهم الحداربة ، وهم المسلمون من بين سائر البجة ، وباقي البجة كفار يعبدون صنمًا لهم) .

ومن المعروف أن طائفة من الحداربة ، وهم حضارمة أصلاً ، والحضارمة يلحقون بنسب حمير بن سبأ ، ولا يبعد أن يكون الحداربة عناصر شتى من أعقاب سبأ ، كان منها قبيلة بلى ، نزحوا إلى بلاد البجة قبل مجيء ربيعة بزمن طويل يربو على ثلاثة قرون ، وعندما صار لربيعة نفوذ في بلاد البجة ، كان الحداربة قد توطنوها ، وصاروا من أهلها ، فعدوا طائفة من البجة .

قيام أول إمارة عربية في أرض العلاقي

وفي عصر الفاطميين ، تمكنت ربيعة وأحلافها أن يؤسسوا أول إمارة عربية في أرض المعدن بالعلاقي ، وكانت أسوان مقرًا لها ، وامتد سلطانها جنوبًا في أرض «مريس» ، وكان زعيمهم حينئذ هو الذي أشار إليه المسعودي[19] ووصفه بصاحب

المعدن ، (أبا مروان بشر بن إسحاق) . وقد أقر الفاطميون هذه الإمارة الناشئة ، واستعان الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، بزعيم ربيعة في ذلك الحين في القبض على الثائر الأموي الأندلسي «أبي ركوة» ، وكان قد لجأ إلى الصعيد وهمّ بالفرار إلى بلاد النوبة . وسر الحاكم بأمر الله ، وكافأ زعيم ربيعة بلقب «كنز الدولة» وتوارث أبناؤه هذا اللقب . ولم تزل الإمارة فيهم ، وكلهم يُعرفون بكنز الدولة . ويبدو أن الأيوبيين حين قدموا مصر ، وتعقبوا الفاطميين للقضاء عليهم ، كانوا يتوجسون خيفة من إمارة كنز الدولة ، ظنًا منهم أنها تتشيع للفاطميين . فهاجم الأيوبيون بني الكنز ، وهزموهم ، وانسحب أكثرهم من أسوان إلى الجنوب ، واتخذوا بلاد مريس مركزًا لنشاطهم ، ثم عاودوا الهجوم على أسوان مرات عديدة حتى استولوا عليها بعد سنة ٧٩٠هـ ، «وكانت لهم مع ولاة أسوان عدة مشاحنات إلى أن كانت المحن منذ سنة ٨٠٦هـ وخرّب إقليم الصعيد ، فارتفعت يد السلطنة عن ثغر أسوان ولم يبق للسلطان في مدينة أسوان والٍ» . والجدير بالذكر أن من بني الكنز هؤلاء النواة الأولى التي تألف منها جماعة الكنوز اللذين يعيشون في بلاد النوبة في سودان وادي النيل إلى اليوم .

جذور دولة بني الكنوز

هاجرت بعض البطون العربية مثل قبيلة بني ربيعة وبني يونس وبني ضيفة إلي وادي العلاقي وعيذاب في القرن الثالث الهجري وفي عهد المتوكل العباسي بالذات ، وامتد نفوذ عرب ربيعة إلي سائر أنحاء البجة وخاصة بعض قيام زعيمها (أشهب) بقتل (عبدا لله البقمي) والي هذه المنطقة الذي تولي الولاية بعد هزيمة ملك البجة (علي بابا!) عام ٢٤١هـ/ ٨٥٥م في العصر العباسي . قُتل (أشهب) وجُرِّد من سلطة العلاقي وحبس زمنًا ، واستطاع (أشهب) قتل الوالي (عبد الله البقمي) عام ٢٤٥هـ ، وبسط نفوذه في منطقة البجـة ، وظل زعيم بني ربيعة حتى ظفر به القائد العربي (عبد الرحمن

(١٩) المسعودى (؟ -٩٥٧م) : على بن الحسين بن على المسعودى ، وكنيته أبو الحسن ، ولقبه قطب الدين ، وهو من ذرية عبد الله بن مسعود . رائد نظرية الانحراف الوراثى ومن أشهر العلماء العرب ، عالم فلك وجغرافيا . ولد ببغداد وتعلم بها ، وكان كثير الأسفار وقد زار بلاد فارس والهند وسيلان وأصقاع بحر قزوين والسودان وجنوب شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام والروم ، وانتهى به المطاف إلى فسطاط مصر ، وتوفى بها . وقد وصف المسعودى الزلزال فى كتابه "مروج الذهب" ووصف أيضاً البحر الميت ، والطواحين الريح الأولى وربما كانت هذه الطواحين من مبتكرات الشعوب الإسلامية ، وقد عد العالم (كرامز) ما كتبه المسعودى فى كتابه هذا عن الكائنات الحية أصلاً لنظرية التطور . وقد أشار المسعودى فى هذا الكتاب إلى الانحراف الوراثى فى الحمضيات .

العُمري) وقتله بعد أن نزح إلي منطقة وادي العلاقي لاستغلال الذهب وكبح جماع البجة علي المسلمين في صعيد مصر عام ٢٥٥هـ / ٨٦٩م .

استقر العرب بعد ذلك في بلاد البجة وزاد العمران والناس نظرًا لنزوح الكثير من القبائل العربية حتى صارت الإبل تحمل الميرة[٢٠] إليها من أسوان (٦٠ ألف راحلة)[٢١] بخلاف السفن التي تحمل الميرة من السويس إلي عيذاب[٢٢] مما أدي إلي استقرار عرب ربيعة وجُهينة وغيرهم في هذه المنطقة وأخذوا في مصاهرة ملوك البجة وزعمائهم ، فانتقل الحكم إليهم في بداية القرن الرابع الهجري نتيجة التقاليد التي كانت معروفة في ذلك الوقت بانتقال الحكم إلي ابن الأخ أو ابن الأخت ، ومن هنا فرض بني ربيعة نفوذهم علي البجة وصاروا رعية لهم وصار زعيم بني ربيعة ملكًا أو أميرًا علي العرب والبجة . كان أمير بني ربيعة عام ٣٣٢ هـ/ ٩٤٣م (أبو مروان بشر بن إسحاق) الأمير العربي وصاحب بلاد البجة في وادي العلاقي وكان في رعايته ثلاثة آلاف من بني ربيعة وثلاثين ألف من البجة وخاصة الحداربة (الحدارب) -الذين كانوا كلهم مسلمين- مما ساعد علي قيام الإمارة العربية في منطقة وادي العلاقي وانتشار الإسلام بين البجة وعودة الهدوء إلي المنطقة الحدودية وكف ضرر البجة علي مسلمي الصعيد وإنهاء الهجمات علي كل بلاد الصعيد . وعيّن من بعده ابن عمه (أبي عبد الله محمد علي بن يوسف) المعروف (بأبي يزيد بن إسحاق) ، الذي قام بنقل الحكم من وادي العلاقي إلي أسوان ذات الأهمية الكبيرة في التجارة والتحكم في طرق التجارة بين شطري مصر والسودان بالإضافة إلي طي النزاعات داخل الأمارة بين قبائل البجة القوية وقبائل العرب التي أدت إلي قتل ابن عمه (أبو مروان بن بشر) مع بقاء أفراد وبطون تشرف علي مناجم الذهب في وادي العلاقي تنوب عنه في حكم البجة وحماية التجارة في عيذاب ، وقام بهذا الأمر فرع من بني ربيعة هم (بنو يونس) الذين استقروا في عيذاب في بداية الأمر وتمكنوا من

(٢٠) الميرة : الطعام والتموين الذى يباع .
(٢١) راحلة : (جمعها رواحل) الإبل .
(٢٢) عيذاب : ثغرٌ على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) قبال جدة ، تابع لمصر ، وكانت مرساةً شهيرة للسفن الآتية من الشرق ، والشرق الأقصى ، خصوصًا خزف البورسلين والسلادون ، ولاتزال توجد حتى الآن متكسرات من هذه البضائع مبعثرة فى رمال الميناء . كانت عيذاب طريق الحجّ المصرى فى القرون الوسطى (الدولة الفاطمية) ومنها يجتازون البحر الأحمر إلى جدّة ، وكانت تُعرف عند قبائل عرب الصحراء باسم «سواكن القديمة» ، وهى تقع فى أملاك الدولة المصريّة (غير سواكن السودانيّة) .

السيطرة في وادي العلاقي وعلى البجة بصفة عامة بعد رحيل أبناء عمومتهم من بني حنيفة حكام بني ربيعة في مدينة أسوان حيث سيطروا عليها وامتد نفوذهم إلى بلاد مريس النوبية التي كانت تمتد من جنوب أسوان بخمسة أميال حتى شمال دنقلة عاصمة مملكة المقرة النوبية المسيحية بحوالي ٥٠٠كم . وقد أدى تطور الأحوال والأحداث إلى اتحاد هاتين الإمارتين في إمارة واحدة واتخاذ أسوان لتكون مركز الرئاسة على يد الأمير أبي يزيد بن إسحاق الذي عظّم مركز التجارة وزيادة الثروة والسيطرة على المناطق الممتدة من عيذاب إلى أسوان في منتصف القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي ، وظل الأمير يحكم الإمارة الواسعة الأرجاء حتى وافته المنية وترك منصب الحاكم إلى ابنه (أبي المكارم هبة الله) الذي يُعرف بالأمير المطاع والمؤسس الحقيقي لإمارة ربيعة الكبرى ، واتسعت حدود الإمارة في عهده حتى أصبحت تضم صعيد مصر الجنوبي من قوص إلى أسوان كما ضمت جزءاً كبيراً من بلاد النوبة الشمالية منطقة مريس جنوب مدينة أسوان بالإضافة إلى عيذاب ووادي العلاقي في الصحراء الشرقية .

ومع اتساع الإمارة إلى القوة والرخاء والدور الأساسي والسياسي في العهد الفاطمي (الحاكم بأمر الله الفاطمي) الذي منح لقب كنز الدولة لزعيم بني ربيعة ، وصار هذا اللقب مستخدماً حتى انتهاء دولة ربيعة في أوائل القرن السادس عشر الميلادي . وقد حصل حكام بني ربيعة على نفوذ كبير وصارت لهم قوة في المناطق الحدودية لمصر والسودان وصاروا يتقلبون بين التبعية لحكام مصر من الفاطميين فالأيوبيين فالمماليك وبين النوبة عليهم رغبة في الاستقلال التام حتى تحقق لهم هذا الاستقلال فعلاً في عام ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣م عندما استطاعوا إسقاط مملكة مقرة النوبية المسيحية والاستيلاء على العاصمة دنقلا بعد أن ضعفت مملكة المقرة نتيجة لحملات سلاطين المماليك المتوالية عليها ونتيجة مصاهرة أمراء بني ربيعة لملوكها وانتقال الحكم إليها مما اضطر سلاطين المماليك في مصر إلى الاعتراف بهم ملوكاً شرعيين مستقلين .

لم يعد يربط كنز الدولة بمصر إلا رابطة الولاء الروحي . فقد كانت إمارة بني ربيعة في وادي العلاقي وعيذاب هي العمود الفقري ومركز الانطلاق إلى إمارة بني ربيعة الكبرى وتوسيع حدودها إلى أسوان ثم إلى مريس النوبية ثم إلى دنقلا والاستيلاء على مملكة المقرة التي صارت فيما بعد دولة الكنوز الإسلامية ، وقد ساهم أمراء إمارة بني ربيعة في التطير السياسي ونشر العروبة والإسلام والثقافة العربية الإسلامية سواء

للنوبيين أو للبجاويين ، من هنا تأتي أهمية وادي العلاقي في ربط تاريخ مصر والسودان بكل مقوماته الطبيعة والتراثية والحضارية وازدهار التجارة من وادي العلاقي وعيذاب ذلك الميناء الذي ازدهر في العصر الفاطمي وأصبح به قاعدة أسطول بحري مكون من خمس سفن بوابط في مياهه لاستقبال وحراسة سفن (أبو المكارم) القادمة من عدن وتأمين البحر الأحمر من القراصنة ، ومع مرور الأيام اتسعت شهرة ميناء عيذاب في العصر الأيوبي وتم من خلاله تحويل التجارة من أوروبا إلي شمال إفريقيا وكذلك الحجاج القادمين من مصر وشمال وغرب إفريقيا والأندلس منذ أن هدد الصليبيون في بلاد الشام الطريق البري في سيناء والطريق البحري الذي يبدأ من القُلزم (السويس) ويتجه إلي مواني الحجاز وعدن مما أعطي الميناء أهمية كبري ، وزادت أكثر بعد انهيار ميناء (باضع مصوع) الإريتري في أواخر القرن الخامس الهجري نتيجة صراع القبائل البجاوية التي تسكن في ظهيرة .

استطاع بني ربيعة فرض سيطرة تامة ومطلقة من الشمال في قوص إلي حدود دنقلة في الجنوب مروراً بإقليم أسوان بعد ثورتهم الشهيرة عام ٥٧١ هـ/ ١١٧٥م بقيادة كنز الدولة (أبو المكارم) ودعوا الأمير (داود بن العاضد الفاطمي) فحاربهم القائد (صلاح الدين) وقتل فيها أمير إمارة الكنوز بني ربيعة عند مدينة الطود (مركز الأقصر) قرب قوص بعد حرب شديدة وعنيفة استمرت لعدة شهور . وظل بني ربيعة من القرن الثالث عشر إلي القرن الخامس عشر الميلادي متحدين مع فرع من بطون (قيس عيلان) الذي ينتمي إليه (بنو هلال) ، وكانت مهمتهم حماية التجارة من الشاطئ إلي الوادي غرب البحر الأحمر مما أشعل الحروب بينهم وبين حكام القاهرة في تلك الوقت حتى جاء عام ٧٦٨هـ / ١٣٦٦ م الذي أرسل فيه وفد يضم أحد عشر من أمراء أسوان إلي حكام القاهرة ، فقامت حرب بينهم وبين حكومة القاهرة عام ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨م ، وبرغم هزيمة بني ربيعة وبني هلال إلا أنهم ظلوا قوة كبيرة في إقليم أسوان وما وراءها في الجنوب حتى جاءت سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢م وسقطت مدينة أسوان في أيدي الهوّارة الذين حاربوا الكنوز حرباً أسفرت عن نزوح بني الكنوز إلي داخل النوبة الجنوبية والسودان حتى عادوا مرة أخري وبسطوا حكمهم من حدود أسوان إلي وادي حلفا ، واستمر الوضع هكذا حتى سقطت مصر في أيدي الأتراك عام ٩٢٢ هـ/١٥١٧ م واستمرت خلال الفترة السابقة حروب طاحنة مع الهوارة .

كان قد أطلق على المنطقة اسم أرض الكنوز (وادي الكنوز) نسبة إلي مؤسس إمارة الكنوز كنز الدولة (أبو المكارم هبة الله) أمير بني ربيعة وحاكم إمارة بني ربيعة . وهناك إشارة أخري ذكرها «ماك مايكل» في الجزء الأول من كتابه أن كنزي (مفرد كنوز) ، وهي غير كنز[٢٣] .

ميناء عيذاب : سفن التعريب وانتشار الإسلام

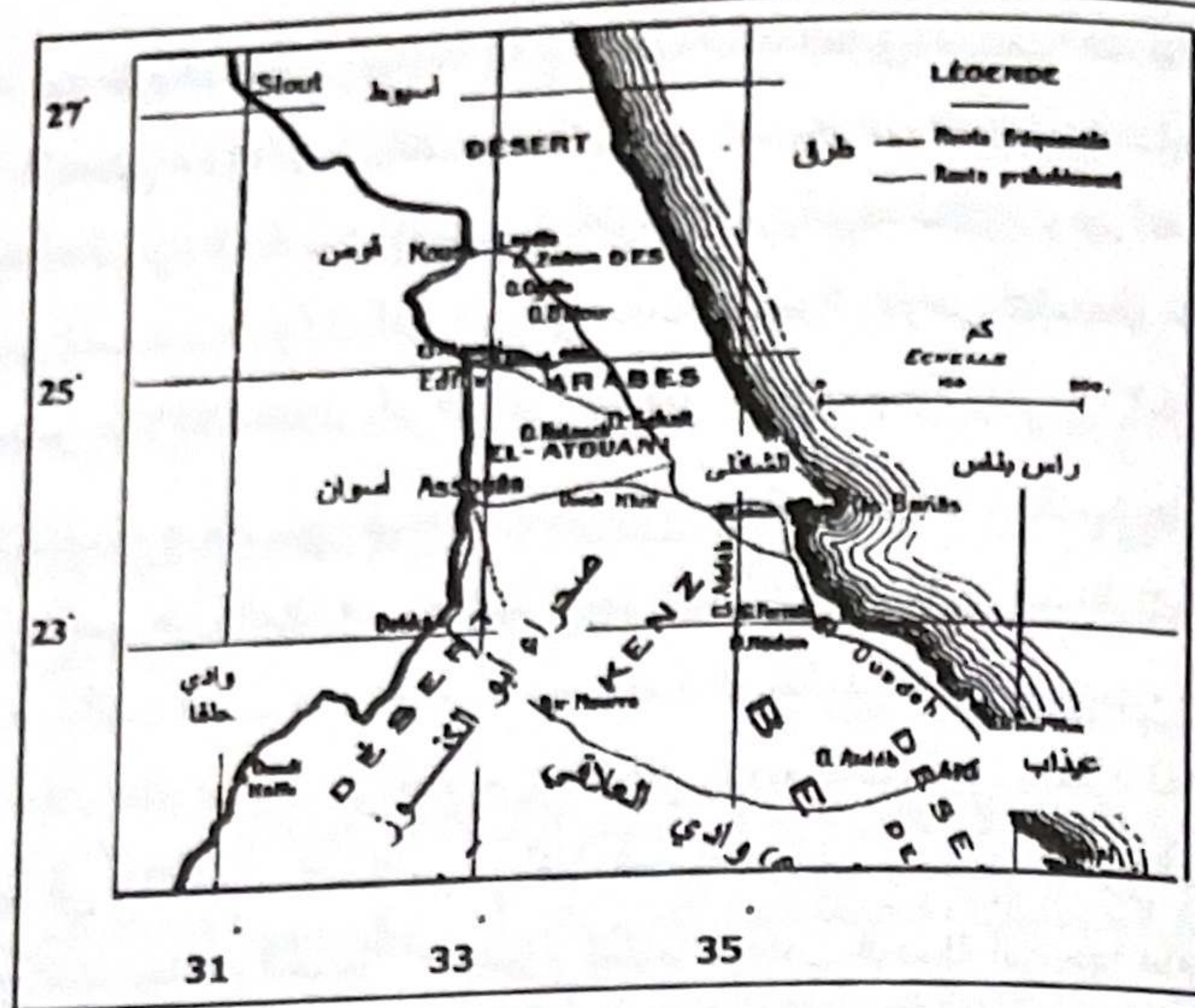
دخل التعريب والإسلام عن طريق التجارة العالمية التي ارتبط بها السودان من خلال موانئه على البحر الأحمر ، وكانت التجارة حرة يديرها التجار ولا تتدخل الدولة المصرية المسلمة فيها إلا حين اقتضى الأمر كسر شوكة القراصنة الأحباش اللذين كانوا يقطعون طريق السفن . وقد ارتبطت هذه الموانئ بطبقة تجارية عربية وأجنبية أخرى بأكثر من ارتباطها بقبائل البجا . وكان لقادتهم الحدارية[٢٤] نصيب من مكوس الميناء بالشراكة مع سلطان المماليك . أما دور العرب في التجارة فقد تجلّي في أن الميناء كانت تحت «قبيلة ربيعة» في طور من أطوارها ، كما أن أصحاب الجمال التي تؤجر للقوافل من أهل اليمن من قبيلة «بلي» وهم الذين كانوا يضمنون التجار والبضاعة .

نشأت ميناء عيذاب كمرسى لخدمة أغراض أرض المعدن وبلغت شأوًا كبيرًا ، وأصبحت ملتقي لسفن الهند وشرق إفريقيا وجنوب الجزيرة العربية ، وربطت مصر بهذه التجارة الرائجة ، وأصحت ميناءً عالميًا لا محليًا (شكل ٢-٢) . وكانت تحت سيطرة الفاطميين وعليها مندوب منهم يفرض مكوسًا على البضاعة التي ترد من اليمن والحبشة وزنزبار . وكان على عيذاب والٍ من مصر يقتسم ريعها مع زعيم البجا (الحدربي) . وقد تزايد نصيب زعيم البجا من نصف الدخل إلى معظمه ثم كان نصيب الحدربي ، الذي كان عليه تأمين التجارة من شرور قومه الثلثين (رحلة ابن بطّوطة)[٢٥] .

(٢٣) كنز : اسم هيروغليفى لجزيرة عند الشلال الأول اسمها (وطا كنز) أى أرض القرمس وهو الاسم القديم لمصر (جمال القرشاوى ، الإنترنت بتصرف) .

(٢٤) الحدارية : يقول الجغرافيون العرب القدماء إن عشائر من (حضرموت) فى اليمن قد اختلطت بقبائل البجا فى شرق السودان قبل ظهور الإسلام مكونة ما عرف بـ (الحدارية) ومفردها حدربى ، ولعلها تصحيف لكلمة حضرمى وقد احتفظوا بلغتهم البجاوية .

(٢٥) ابن بطوطة (١٣٠٤-١٣٧٧م) : محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتى الطنجى ، وولد بمراكش ، عرف بابن بطوطة ، كان رحّالة ومؤرخًا وقاضيًا وفقيهًا ، وعرف بلقب أمير الرحالين المسلمين ، وقد فاق كل رحالة عصره وقطع حوالى ١٢٠ ألف كيلومترًا تقريبًا فى أسفاره .



شكل (٢-٢) : الطرق في صحراء عيذاب ، جنوب شرق الصحراء الشرقية

(عن Couyat, 1911)

لم يعد الحجاج من المغرب ومصر يأمنون لطريق سيناء لتردّي الطريق نفسه وقيام الحروب الصليبية . فصارت قبلتهم عيذاب بين (١٠٦٧ - ١٢٦٨ م) . وقد ازدهرت عيذاب حتى قال أحد المؤرخين إنه لم يستطع إحصاء القوافل الخارجة والداخلة إلى دنقاش[٢٦] لكثرتها . وكان بالميناء صناعة سفن مخصوصة لتناسب ماء البحر الأحمر . وملك الأغنياء هذه السفن . وكانت بضاعة الصين والهند تفرغ في عدن ثم تحملها سفن الداو[٢٧] إلى عيذاب ثم صعيد مصر .

كان تجار عيذاب يدفعون لبضاعة الهند بالذهب أو ببضاعة مصر والمغرب من الحرير والرصاص والنحاس والكيمائيات . وتناقصت قيمة عيذاب للحج بعد تأمين طريق

(٢٦) **دنقاش** : منطقة فى الصحراء الشرقية (صحراء عيذاب) تقع فى الطريق بين قوص وميناء عيذاب وهى أقرب إلى وادى النيل) .

(٢٧) **الداو** : مركب إبحار تقليدى عربى ، كان يستخدم أساسًا على بعض السواحل العربية والهند وشرق إفريقيا ، وعادة ما يتكون طاقم المركب بين اثنى عشر إلى ثلاثين بحارًا . ويستخدم الداو فى الرحلات التجارية بين السواحل العربية والهند لاستيراد وتصدير مختلف البضائع المصنعة محليًا ، وكان يعتبر من أهم الوسائل التجارية لعدم توفر ووسائل النقل الحديثة فى ذلك الوقت .

سيناء بعد طرد الصليبيين في ١٢٦٧ م إلا أنها ظلت الطريق المفضل لحجاج المغرب والسودان حتى ١٣٤٨ م . ثم أفلت عيذاب ، فقد تضررت من الحروب الصليبية فخر مرساها أحد أمراء الصليبيين (البرنس ارناط)[٢٨] الذي أغرته الميناء برغم أنه كان يقص الأراضي المقدسة . وكان أهل المواني عامة ينتهزون فرص انشغال حكام مص بالصليبين مثلاً للاستقلال بأمر المواني كما فعل صاحب سواكن في ١٢٦٧– ١٢٦٨م .

كان ميناء عيذاب بؤرة لنزاعات سودانية وعربية ومملوكية ، فالنوبة هاجمتها في ١٢٧١ م لكسر طوق العزلة التي ضربها عليهم المماليك فرد عليها المماليك بحملة في ١٢٦٧ م . وأثرت ثورات عرب صعيد مصر ضد المماليك على عيذاب ، فلجأ بعض العرب خلال تلك الثورات إلى قطع طريق القوافل وترويع المسافرين ، فجرّد قلاوون حملة انتقامية في ١٣١٦ م لملاحقتهم ، وبلغت الحملة عيذاب وسواكن حتى التاكا وجبل كسلا والتقت بجماعة الحلنقا[٢٩] . وانهزم الحلنقا ، وعادت الحملة أدراجها عام ١٣١٧م .

من الجهة الأخرى كانت «جدة» في ذلك الأثناء تنتعش كميناء شديد المنافسة لعيذاب ، وكان حكام مكة المكرمة أصلاً يحسدون عيذاب على ازدهارها . ونمت ميناء جدة بعد أن أثقل ولاة عدن على تجار الهند ففروا من عيذاب إلى جدة . ولما تمكن المماليك من الحجاز لم يعد يكترثون لعيذاب بل عملوا على تخريبها وذلك بأمر التجار بالابتعاد عنها ثم هاجموها في ١٤٢٦ م ولم تقم لها قائمة بعد ذلك .

---

(٢٨) البرنس "رينو دي شاتيون" (المعروف عند العرب باسم البرنس أرناط) : كان أميرًا على قلعة الكرك الصليبية (شرقي البحر الميّت بالشام) ؛ قامت قواته الصليبية بنهب وحرق عدد كبير من السفن التجارية القادمة من جدة واليمن ، كما استولت على طعام كثير ككان معدًا لنقله إلى الحرمين الشريفين بمكّة والمدينة ، ونهبوا القوافل التي ككانت تجوب الصحراء بين قوص وميناء عيذاب ، وقتلوا العديد من أفرادها . وقد تصدّى لهم «الناصر صلاح الدين الأيوبي» الذي جهّز الأسطول المصري بقيادة «حسام لؤلؤ» مُتولى الأسطول بديار مصر ، كما كان يسمّى آنذاك ، والذي قام بمطاردة الصليبيّن إلى عيذاب ثم إلى شواطئ الحجاز عند «رابغ» وساحل «الحوراء» بالقرب من «ينبُع» ، وتعقّبهم حيث كانوا على مسيرة يوم واحد من «المدينة المنوّرة» وهدفهم هدم قبر الرسول ﷺ ، وأوقع بهم هزيمة نكراء ، وقضى على جنودهم وأسر الباقين منه حيث أعدمهم «صلاح الدين الأيوبي» في شهر ذي الحجة عام ٥٧٨هـ الموافق إبريل ١١٨٣م .

(٢٩) الحلنقا : إحدى قبائل البجة الكبرى وعاصمتها كسلا (اسم نوع من النباتات ، وبالبجاوى أيضًا المنطقة المعتلة الطقس) وهم أهل خيل ، ومن عادة أهل الخيل حمل السياط ، فأطلق عليهم الأحباش اسم (الحلنقا) ، ومعناها حملة السياط (ألقا بلغة الأمهرا تعني السوط) أو أصحاب السوط ، فعرفوا بالحلنقا منذ ذلك الوقت .

إن نهاية عيذاب كانت خاتمة فصل كبير في التغلغل الاقتصادي العربي عجّل بهجرة العرب إلى السودان ، فقد انتشرت البطالة بين كثير من العرب من جراء كساد النشاط التجاري مثل التعدين في وادي العلاقي ، والحج والتجارة الشرقية ، ولم يكن هناك مفر أن يتجهوا إلى داخل السودان .

الإسلام بين النوبة والبجة

اتسم التوغل العربي الإسلامي بالسلمية ، فانتشار الإسلام بين النوبة والبجا كان في رأي الكثير من المؤرخين ثمرة تداخل سلمي مع التجار وتوغُّل العرب الذين استقروا بين أهل السودان وتزاوجوا معهم .

لم تكن الدولة الإسلامية قد قررت نشر الإسلام في النوبة جنوبي مصر من النوبة حتى عهد المماليك ، فحملة عبد الله بن أبي السرح المشهورة في ٣١ هجرية مثلاً كانت لرد تعديات النوبة على صعيد مصر لا لإخضاعهم . ولا يوجد دليل على أن حكام مصر قد أظهروا روحًا تبشيرية حيال السودان بل الثابت أن الإسلام انتشر عن طريق توغل التجار العرب داخل السودان (حسن ، ١٩٧٩ و١٩٨٩ م) .

اختلف علماء المسلمين في ذلك الوقت تجاه كل من بلاد النوبة والبجا . فقد نظر العرب للنوبة كدار صلح أو دار أمان بينما عدّوا البجا دار حرب . فقد كان رأي مالك ابن أنس ، عالم المدينة المنورة ، أن النوبة دار صلح حتى حدود علوة ، بينما كان رأي فقهاء مصر في القرن الثامن ، حتى من هم على مذهبه ، أن الذي بين النوبة والعرب المسلمين هدنة أمان . وقال الليث بن سعد[٣٠] إنهم أدرى بمسألة النوبة من مالك ؛ وقد مال الرأي الفقهي بأنه لا يجوز أسر النوبة أو خطفهم بواسطة المسلمين .

ولم يدم فقه دار الصلح أو الأمان مع النوبة طويلاً ، فقد جاء المماليك وخيّروا النوبة بين أن يكونوا مسلمين أو دفع الجزية . وهكذا أصبحت النوبة في عداد دار الحرب ، واختار أهلها طريق دفع الجزية . وربما صحب ترتيب الجزية وملحقاته بعض مواد اتفاق

---

(٣٠) الليث بن سعد : الإمام الفقيه الحافظ الحجة ، شيخ الإسلام في مصر ، ولد في قرية قلقشندة من أعمال محافظة القليوبية بلدنا مصر سنة ٩٤هـ . كان الليث فقيه مصر ومحدثها ومحتشمها ورئيسها ومن يفتخر بوجوده الإقليم ، بحيث كان متولي مصر وقاضيها وناظرها يرجعون إلى رأيه ومشورته .

البقط القديم (٣١) . فقد رجعت وثيقة الاتفاق الأخيرة هذه مع المماليك إلى ما أسمته «ترتيبات سابقة» . وألحقت الوثيقة المملوكية دار المريس ، الفاصلة بين مصر والمقرة(٣٢) - وهي تعادل ربع وطن النوبة - ، بمصر نهائيًا وصار لمصر خراجها (حسن ، ١٩٨٩ م) .

أما البجا فقد كانت دار حرب ، فالمصادر تتحدث عن هزائم أوقعها حكام مصر بهم ودفع بها البجا جزية للمسلمين ، وأخضعت مصر البجا على عهد عظيمها «كنون بن عبدالعزيز» في ٨٣١م تأديبًا لهم على غاراتهم على صعيد مصر . وحملوهم على توقيع اتفاق للسلم جددوا فيه اتفاق قديم مع عبيد الله بن الحباب على عهد عبد الملك بن

---

(٣١) معاهدة البقط : عهد الصلح الذي عقده الصحابي عبد الله بن سعد بن أبي السرح ، عامل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) على مصر مع «قيلدروث» ملك النوبة «المقرة» في عام ٣١هـ الموافق لسنة ٦٥١/٦٥٢م . وقد عُرف هذا الصلح في الروايات التاريخية وكتب الفقه باسم «عهد النوبة» ، أو «معاهدة البقط» كما هو شائع في الأدبيات المعاصرة ، وكان ذلك الصلح عبارة عن «هدنة أمان» أو معاهدة عدم اعتداء التزم الطرفان بمقتضاها ألا يعتدي أحدهما على الآخر . وتنص شروط البقط ، وفق ما أورده المقريزي على الآتي :

«عهد من الأمير عبد الله بن سعد أبى السرح لعظيم النوبة وجميع أهل مملكته ، عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أرض أسوان إلى حد أرض علوة . إن عبد الله بن سعد جعل لهم أماناً وهدنة ، جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة . إنكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله ﷺ ، أن لا نحاربكم ، ولا نغزونكم ما دمتم على الشرائط بيننا وبينكم ، على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه . وعليكم حفظ من دخل بلدكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم . وأن عليكم رد كل آبق خرج إليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه إلى أرض الإسلام ولا تستولوا عليه ولا تردوا عنه . ولا تتعرضوا لمسلم قصده أو جاوره إلى أن ينصرف عنه . وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم فتمنعوا منه مصليًا وعليكم كنسه . وعليكم في كل سنة ثلاثمائة وستون رأسًا تدفعونها إلى إمام المسلمين من أواسط رقيق بلادكم غير المعيب ، يكون فيها ذكران وإناث ، ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم . تدفعون ذلك إلى والي أسوان . وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم من حد علوة إلى أرض أسوان . فإذا أنتم آويتم عبدًا لمسلم أو قتلتم معاهدًا ، أو تعرضتم للمسجد الذي ابتناه المسلمون أو امتنعتم عن الثلاثمائة وستين رأسًا ، فقد برئت منكم هذه الهدنة والأموال وعدنا نحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد ﷺ . ولنا عليكم بذلك أعظم ما تدينون به من ذمة المسيح وذمة الحواريين وذمة من تعظمونهم من أهل دينكم وملتكم ، والله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك» .

(٣٢) المقرة : (أو المكرّة) مملكة كانت توجد في جنوب مصر وشمال السودان ، وكانت واحدة من الممالك النوبية التي ظهرت بعد سقوط مملكة مروي التي تواجدت بالمنطقة من ٨٠٠ ق.م . حتى ٣٥٠م . امتدت مملكة المقرة علي امتداد نهر النيل من الشلال الثالث حتى الشلال الخامس أو السادس ، وسيطرت على طرق التجارة والمناجم وبعض الواحات غربًا وشرقًا ، وكانت دنقلا عاصمتها . اعتنقت المقرة المسيحية في القرن السادس الميلادي . ومع دخول مصر الإسلام في القرن السابع الميلادي وصلت الجيوش العربية إلى المقرة في عام ٦٥١م ولكنها صُدّت ، وتم توقيع «اتفاق بقط» بين الطرفين يضمن للمسيحيين حقوقهم واستمر هذا الاتفاق ساريًا حتى القرن الثالث عشر .

مروان (٧٢٤-٧٤٣م) . والاتفاق الأخير جعل البجا يدفعون الخراج ويأذنون للعرب بالإقامة بينهم . وهذا على خلاف البقط الذي حرّج على العرب الاستقرار في المقرة . وقد توغل العرب بين البجا وملكوا أرض معدنها . وربما كان مرد هذه الوضعية الفقهية للبجا هو أن المناجم كانت في أرض البجا وبلغت المكوس عليها خُمس موارد الدولة الإسلامية في مصر .

قادت سياسة الفاطميين والأيوبيين والمماليك مع العرب أو عربان صعيد مصر وتجاه النوبة بالتدريج إلى تهافت دولة النوبة ، فسياسة المماليك في صورتها الخاتمة قصدت إلى تحويل النوبة إلى دولة تابعة . وقد أدى هذا المخطط إلى سرعة دخول النوبة في الإسلام . فالعرب الذين جاءوا في أعداد كبيرة في إطار حملات المماليك تزاوجوا بالأسرة المالكة وتمكنوا من الحكم . وبدأت مملكة النوبة تضمحل في منتصف القرن الخامس عشر بعد إسلام الأسرة الحاكمة وقسم كبير من رعيتها . أما سقوط علوة فقد حدث بصورة رئيسية لغلبة أمر القبائل العربية والذي دفعهم للهجرة إلى داخل السودان نضوب المعدن وتردي طرق القوافل التجارية بعد خراب عيذاب وسقوط المقرة التي وقفت سدًا في وجه توغل العرب إلى جنوبها لقرون .

لقد أتي العرب إلى السودان بين القرنين التاسع والسادس عشر الميلادي بأعداد هائلة ، ووُصف العرب بأنهم قد جاءوا موجة بعد موجة وامتصوا معظم السكان الأصليين .ولم يكن بأرض البجا العدد الكافي من العرب لتعريبهم وإكسابهم اللسان العربي . وخلافًا لذلك نجح البجا دائمًا في امتصاص جماعات عربية ممن أقاموا وسطهم وتبنوا لغة البجا وعاداتها . كما لم يكن العرب شمالي دنقلا أيضًا بأعداد كبيرة ليعرّبوا نوبة تلك المنطقة ، فمن أقام بين النوبة منهم تنَوَّب بالتدريج .

إن حملات الممالك الإسلامية المتتابعة على النوبة لسبعة قرون ، فتت في عضد النوبة البشري وأضعفت مناعتها للاستمرار . وقد وُصف توغل العرب في أرض النوبة ووجودهم بأعداد كبيرة بأنه زعزع سلطان دولة النوبة التي كانت في حالة تردي ومكّن للعرب في مطلبهم للسيادة على النوبة . وتحول ملك النوبة إلى الإسلام وجعل كنيستها جامعًا في ١٣١٧م . ويقال إن هذا التحول الثقافي الدرامي لم يلق مقاومة مما قد يدل على أن عدد المسلمين قد نمى بصورة هيأت لحدوث هذه التحولات ودعمها .

يقول نعوم شقير[٣٣] في تاريخه إذا أردت أن تسأل البجاوي عن معرفته بالعربية فيجب أن تنسبها إلى (بلي) فتقول له (بلويت تكتينا) (هل تعرف لغة بلي أي العربية) فيرد عليك بإحدى الكلمتين (كاكن) أي لا أعرف وكذلك في البجاوية (بداويت) والبني عامرية التي يقال أن أول من تكلمها أهل اليمن وساحل إريتريا وقبيلة ثمود ويهود اليمن ، وقد وقفت قبائل بلي حائلا دون انتشار المسيحية في شرق (السودان) حتى جاء الإسلام مع العرب فاعتنقوه واشتهر البلويون بالشجاعة والعزم حتى هابهم كل من حولهم من الأمم خصوصا الحدارب فهم شوكة القوم ووجوههم .

أخذ صلاح الدين الأيوبي ولاية مصر من الفاطميين وحكم ٨٨ سنة هو وخلفاؤه الذين حاربوا النوبيين خاصة توران شاه فوصلت جيوشه إلى منطقة ابريم ، وقد عارض النوبيون حكم صلاح الدين لحبهم الشديد للفاطميين خاصة بني الكنز الذين قاموا بنشر الدين الإسلامي بين النوبيين ، وفي أبريم تحصن النوبيون وقبلها دارت حرب كبيرة بين الطرفين ، وفي النهاية سلمت جيوش صلاح الدين أبريم إلى إقطاعي كبير يدعى إبراهيم الكردي ، ولانشغال الأيوبيين بالحروب الصليبية انقطعوا عن النوبة ثم جاء المماليك وتم تجديد معاهدة البقط وأرسلوا حملة عام ١٣١٧ إلى دنقلا لضرب الملك المسيحي النوبي ووضعوا بدلاً عنه ملك كتري من البجاة يدعى نصر الدين بن شجاع .

ومن الهجرات العربية التي اندفعت إلى النوبة في العصر المملوكي هجرة جُهينة ، وهي واحدة من خليط من القبائل العدنانية والقحطانية وبطونها المختلفة ، وهكذا انتشر الإسلام في بلاد النوبة دون قتال كما حدث في بلاد أخرى كثيرة ، ولعدم استطاعة العرب فتح بلاد النوبة اتجهوا غربًا حتى المحيط الأطلسي . ولا شك أن الهجرات العربية هي صاحبة الفضل الأول في انتشار الإسلام في بلاد النوبة وإن كان الانتشار تم بشكل بطيء واستغرق وقتًا طويلاً منذ حملات عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد بداية القرن الرابع عشر الميلادي واكتملت ظاهرة انتشار الإسلام في القرن الخامس عشر الميلادي .

(٣٣) نعوم شقير : لبناني الأصل عمل في المخابرات المصرية تحت إمرة الانجليز وتبوء مناصب رفيعة في إدارة المخابرات . ألف كتابًا قيمًا عن جغرافيا وتاريخ السودان وكتابًا آخر عن تاريخ سيناء . كتب كثيرًا عن أنساب القبائل ولكنه يعتبر مؤرخًا وليس نسابًا .

مصر والنوبة في رباط منذ فجر التاريخ

يبدأ التاريخ الموثق عن السودان من حوالي خمسة آلاف سنة ، ومصادر هذا التاريخ :

- النقوش الفرعونية في مصر وبعض جهات السودان .
- الهياكل العظمية في المقابر الفرعونية والمصرية والتي تعود للأصل الزنجي والحامي .
- المعدات النحاسية كالأزميل ، وحبات الخرز في السودان بالإضافة إلى العاج وريش النعام في مصر مما يدل على وجود تبادل تجاري بين البلدين .

في سنة ٢٧٥٠ ق .م هاجم الملك (سنفرو)[٣٤] السودانيين وحاربهم وهزمهم رغم استماتتهم في الدفاع ، وبلغ عدد أسراه ٧٠٠٠ من الرجال والنساء وكذلك حصل على ٢٠٠,٠٠٠ رأسًا من البقر والضأن . ومنذ ذلك التاريخ ارتبط التاريخ السوداني بالتاريخ المصري . ومن أشهر الحكام المصريين في السودان الملك (يونا) ٢٤٢٣ ق .م . الذي اشتهر بالعدل وحسن الإدارة بالإضافة إلى فتوحاته في السودان كما اهتم بتيسير التجارة والتبادل حتى كثر تصدير العاج ، وريش النعام ، والعطور ، واللبان والخشب لصناعة السفن .

ومن الجدير بالذكر أن العلاقات المصرية السودانية ازدهرت وكثر التزاوج بينهم ، وتفيد المخطوطات التاريخية أن عائلة الأمير (أمنمحات) كانت مخلطة ، وأن الوزير (أمنحوتب) كانت تجري في عروقه الدماء النوبية ، أما في الطبقات الأخرى فمن المحتمل أن يكون التزاوج وصل حدًا أبعد من ذلك . وفي غضون الحقبة التاريخية من ٣٠٠٠ ق .م وحتى ٩٠٠ ق .م . توثقت العلاقات الاجتماعية والسياسية ، وحتى من النواحي الإدارية فقد كان النظام المصري هو النظام السائد في تقسيم المناطق ، وكان هناك موظفون معظمهم من المصريين وقليل منهم من السودانيين ، كما تركت القبائل السودانية تحت زعامة ملوك العشائر ولكن محاولاتهم للانفصال عن مصر كانت تقاوم

(٣٤) سنفرو : *Sneferu* ملك فرعوني ، وهو والد الملك خوفو وأول من بني هرمًا حقيقيًا بتقنية جديدة في بلدة دهشور مابين سنتي ٢٤٦٥ ق .م . و٢٣٢٣ ق .م .

بشدة . ولجأ المصريون إلى حمل أبناء الزعماء السودانيين إلى مصر كرهائن حيث وجدوا مكانة عالية ونشأة كأمراء المصريين بالإضافة إلى تعليمهم تعليمًا متميزًا .

وفي القرن العاشر قبل الميلاد بدأت مصر في الاضمحلال فانتهز النوبيون الفرصة واستقلوا عنها ، وأصبحوا ملوك النوبة وازدادت سلطتهم تدريجيًا وتولوا رعاية الإله المصري آمون ، ثم اعتبروا أنفسهم مسئولين عن البلاد بين البحر المتوسط وأواسط السودان .

وكان من أهم ملوك النوبة في عهد استقلاله الملك (بعانخي) الذي حكم مملكة النوبة سنة ٧٥١ ق .م ، وكان متأثرًا بالحضارة المصرية كما كان يدين بديانة آمون ، وقد سعى إلى ضم مصر إلى مملكته في السودان فأرسل حملة قوية حوالي سنة ٧٣٠ ق .م على إثر أنباء الفوضى التي دبت في مصر . كان الحكم النوبي عهد رخاء وسلام للبلدين عاش فيها ملوك النوبة كالملوك والفراعنة المصريين حتى أن دفنهم كان يجري على الطريقة الفرعونية داخل أهرام ولكن هذه الأهرام كانت أصغر حجمًا من تلك الموجودة في مصر ، ولا تزال بعض هذه الأهرام موجودة حتى يومنا الحالي .

استمر الحكم النوبي في مصر مدة ٨٠ عامًا ، وانتهى على أيدي الآشوريين الذين استولوا على مصر بعد عدة معارك كان النصر فيها سجالاً . عقب تلك الفترة انتقلت العاصمة إلى مروي نسبة إلى قربها من السهول والحاصلات الزراعية . ازدهرت مروي في القرن الثالث ق .م ازدهارًا شديدًا حتى أن اليونان اعتبروها من مصادر الحضارة المصرية . واتسعت مروي وكثرت مبانيها . وقد حافظ السودانيون دائما على استقلالهم السياسي ، وفي أواسط القرن السادس الميلادي تنصّر ملوك النوبة عقب الحملات التبشيرية المرسلة من مصر .

دخول اللسان العربي

استجد اللسان العربي علي القبائل النوبية بعد دخول العرب ، واللغة العربية الآن ممتدة في شريط على الحدود بين مصر والسودان تجمع بينها قواسم مشتركة تتمثل في لسانها الأعجمي ولغتها المكتوبة والمقروءة البالغة القدم . واحتضان ضفاف النيل لقراهم الوادعة . وفي منتصف الطريق بين منبع النيل ومصبه تسكن القبائل النوبية ، ويقول

المؤرخون إن كلمة »نوبة« مشتقة من (نوب) وهي في اللغة المصرية القديمة تعني أرض الذهب . ويرجح أن القبائل النوبية امتلكت وسكنت عبر التاريخ أراض امتدت من (الخرطوم) حتى جنوب الدلتا ، وعلى الرغم من تقسيمها القبلي إلا أنها مستقلة نوعا ما ثقافيًا وسياسيًا واقتصاديًا لإقليمية المنطقة وبعدها شبه المنعزل عن السلطة المركزية في الخرطوم والقاهرة وتتزاوج فيما بينها عبر شريان الحياة النيل محترفين للزراعة متكاتفين اجتماعيًا ويجمعهم لغة وتاريخ مشترك .

يفضل علماء الأنثروبولوجيا التقسيم الديموجرافي الذي يقسم شعب النوبة على حسب الملامح وتقارب لهجة عن أخرى ، ففي السودان توجد قبائل الدناقلة والمحس والسكوت والحلفاويين بينما في مصر نجد قبائل الفديجا والمتوكا ، وفي الحدود تمامًا نجد الكنوز (منطقة وادي العلاقي) .

والشعب النوبي فنان بالفطرة ، فطبيعة المنطقة والحياة على ضفاف النيل جعلته يرسم ويكتب الشعر وينحت بصورة جيدة ويظهر ذلك جليًا في الطريقة الهندسية التي وجدت عليها أهراماتهم التي تعد الأكثر غموضًا في إفريقيا ، على غرار فكرة الحياة بعد الموت . وتحتوي الأهرام على موميات الملك أو الملكة مع مقتنياتهم الثمينة من جواهر وخيول ومتاع ولكن ليس في تابوت كما عند الفراعنة المصريين ولكن على أسرّة غاية في الزخرفة تصنع من خشب الصندل المدهون بالعطور التي مازالت من الأسرار المتوارثة عند نساء النوبة ، كما تشمل سيرة ذاتية منحوتة بالصور الزاهية التلوين تبين حياة الحاكم ومنجزاته وأحيانًا تأتي على هيئة كلام منظوم أو منثور في صور شعرية متميزة .

مناجم الذهب ودورها في الهجرة العربية

اكتشف العرب مناجم جديدة للذهب والزمرد في أرض البجا فتدفقوا نحوها زرافاتٍ ووحدانًا ، وانتابت العرب في مصر حمي **«هرولة الذهب»** المعروفة ، متوافقة مع ضيقهم من سياسات الخليفة «المعتصم» ، وتدفقوا نحو أرض البجا . ولم تكتف اتفاقية موقعة بين مصر والبجا في ٨٣١م بتأمين استقرارهم في مناجمهم تلك بل حظرت في مادتها الخامسة البجا من ارتياد مواقع المعدن في مناجم وادي العلاقي . وكان المنجم العربي في أرض البجا منشأة استثمر فيها رجال المال العرب أموالهم ، وكانت المناجم متصلة بأسوان وميناء عيذاب ، وكان تجار أسوان يمولون التعدين ، وكانت بعض المناجم

مملوكة للدولة ودخلها من بعض دخل الدولة . ثم تدهورت المناجم في نحو ١٠٩٤م وتعطلت بسبب هجمات البدو والنوبة والبجا عليها ، وهناك دلائل أنها لم تعد مجدية اقتصاديًا .

تزايدت هجرات العرب إلى أرض المنجم بعد إخضاع البجا بواسطة القمي[٣٥] والعباسيين في ٨٤٦-٨٤٧ م . وقد جاء بعضهم للمنجم من نجد بعد أن كرهوا حكم «محمد الأخيضر»[٣٦] عليهم في ٨٥٢-٨٥٣ م . فجاءت مضر وربيعة بنسائها ورجالها وأطفالها في ألوف عديدة إلى صعيد مصر وأرض المعدن . ومع أن دار البجا ربما كانت طاردة للعرب بخاصة بعد توقف اقتصاد التعدين إلا أن من العرب من أقام بين البجا لمدة طويلة قبل هجرتهم عنها بل منهم من تزاوج بهم واختلط فيهم .

ولم يقتصر العربي على التعدين بل اكتسبت وظيفة الدولة في إخضاع البجا ممن كرهوا استنزاف العرب لمواردهم ، فقد قام «القمي» متطوعًا في ثلاثة ألف من قومه العرب المبعدين من أرض المنجم فأخضع البجا الثائرة .

وقد كتب اليعقوبي[٣٧] عن نشاط العرب في المناجم وأنهم قد تدافعوا لأرض المعدن . وقد عُرفت المناجم باسم القبائل التي عملت فيها فتجد أسماء الكلبي والشكري والعجلي . وقال اليعقوبي إنه من فرط الحضور العربي «كان وادي العلاقي مثل مدينة كبيرة بخلق كثير فيهم من العرب وغير العرب النفر الغزير» .

---

(٣٥)القمي : عبد الله القمى أرسله الخليفة المأمون لقتال البجا من أجل الذهب الموجود فى أرضهم . وكان ملك البجا أولباب (على بابا كما أورد المؤرخ ضرار صالح ضرار) هو الذي قاد الدفاع ضدهم ، وكاد البجا أن يوقعوا الهزيمة بالجيش العربي ، لكن القمى ألبس الخيل التي يمتطي صهوتها الجنود أطواقًا بها أجراس ، ففزعت الإبل من صوت رنين الأجراس ولم تعد طيعة للفرسان على ظهورها ، وقد أخذ أولباب إلى بغداد حاضرة الخلافة العباسية وهناك أكرم .

(٣٦) الدولة الأخيضرية : دولة إسلامية تأسست في إقليم اليمامة في شرق نجد عام ٢٥٢هـ / ٨٦٦م على يد محمد بن يوسف الأخيضر ، وبنو الأخيضر كما ذكرهم القلقشندى : بنو الأخيضر تصغير أخضر ، بطن من بني الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي ، كرم الله وجهه بن أبي طالب بن هاشم .

(٣٧) اليعقوبي : أبو العباس ، ولد في بغداد وتوفي في مصر سنة ٨٩٧ م . كاتب ومؤرخ وجغرافي في دولة بني العباس ، وقد قامت شهرته على كتابين هما : كتاب التاريخ أو تاريخ اليعقوبي ؛ وفيه تحدث عن تاريخ الشعوب ما قبل الإسلام وتاريخ الإسلام حتى سنة ٢٥٠ هـ/٨٧٢ م .

مدينة العلاقي (درهيب بانت)

تقع مدينة العلاقي - وهي من مدن تعدين الذهب التي أقامها العرب وسط جبال البني عامر غرب مدينة حلايب بالقرب من الحدود السودانية المصرية الشمالية الشرقية وتُعرف المدينة عند البجة المحليين باسم (درهيب بانت) أي المباني العالية .

والموقع عبارة عن قلعة ضخمة لها أبراج وتتكون من عدة طوابق وقد بنيت من الحجر ذي القطع غير المنتظمة ، علي نظام التكبيس ، مع وجود ملاط من الطين كرابط علي نظام القلاع الإسلامية الصحراوية مثل قلعة الأخيضر في اليمامة بجبال نجد ، وتحيط بالقلعة قرية مبنية من الأحجار علي نفس نظام القلعة ، وقد وجد حول الموقع كثير من حجارة الرحى مصنوعة من صخر الديوريت[٣٨] وهو الصخر الذي استخدم لطحن صخر الكوارتزيت المحتوي علي الذهب كما وجدت في الطاولات (الترابيز) الصخرية المستخدمة لغسل الذهب وعمل قطع ذهبية مشكلة .

كان للتعدين أثر كبير على التعريب وانتشار الإسلام فأصبحت آل قبيلة ربيعة تعرف بـ «بني الكنز» ثم الكنوز . وعجّل امتزاج العرب على أرض المعدن بعمليتي التعريب وانتشار الإسلام ، فقد تحالفت ربيعة مع البجا . وكانت البجا تريد أن تستقوي بهم على النوبة خصمهم اللدود . وتزاوجت ربيعة في البجا واغتنمت نظام توريث ابن الأخت السائد بينهم لتتولي حكم البجا . ومكّن هذا لربيعة في وجه خصومها من قحطان ومضر . وسادت ربيعة في أرض المعدن من وادي العلاقي إلى عيذاب . وكان تحت أميرهم «بشر ابن مروان بن إسحاق» ٣٠٠٠ محارب من ربيعة ومضر واليمن و٣٠ ألف من الحداربة من مسلمي البجا ممن أسلموا نتيجة لتداخلهم مع ربيعة ، كما نجحت ربيعة في إقامة إمارة بني الكنز بجهة أسوان .

---

(٣٨) الديوريت : Diorite صخر ناري جوفي متوسط ، تتراوح نسبة السيليكا فيه من ٦٦ إلي ٥٢ ٪ ، ويتكون من معدنين أساسيين هما البلاجيوكلاز والهورنبلند .

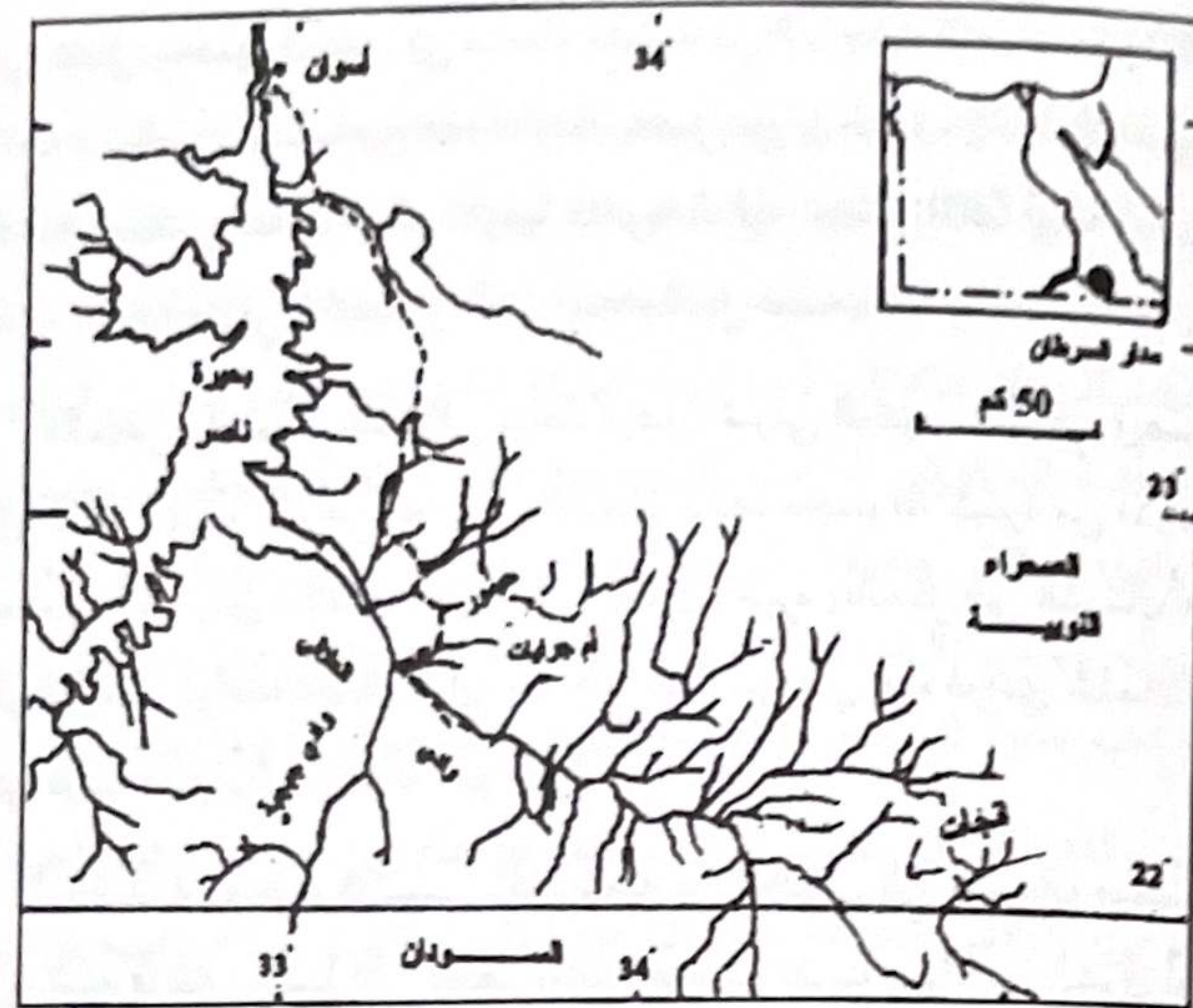
٣- وادي العلاقي، أرض الذهب

(السلام عليك يا وادي العلاقي، الحمد لله جيناك بالسلامة)

(قول بدوي مأثور)

جغرافية وادي العلاقي

يعتبر وادي العلاقي أكبر وادٍ في الجزء الجنوبي الشرقي من الصحراء الشرقية، ويمتد لمسافة حوالي ٢٥٠ كم في الاتجاه الشمالي الغربي إلي الجنوب الشرقي، وينبع من التلال المتاخمة للبحر الأحمر ويصب في وادي النيل علي مسافة ١٣٠ كم جنوب مدينة أسوان (شكل ٣-١).



شكل (٣-١): وادي العلاقي، الصحراء الشرقية، مصر.

ومنابع الثنائي العلاقي - قبقبة (جبجبة) تكاد تكون سودانية بقدر ما هي مصرية (حمدان، ١٩٨٠)[٣٩]. فالعلاقي يبدأ من خط تقسيم النيل- البحر الأحمر في الشرق

---

(٣٩) جمال حمدان: (٤ فبراير ١٩٢٨ م - ١٧ أبريل ١٩٩٣ م): أحد أعلام الجغرافيا المصريين. ولد في قرية ناي بمحافظة القليوبية، ترك ٢٩ كتابًا و٧٩ بحثًا ومقالة، أشهرها كتاب (شخصية مصر. دراسة في عبقرية المكان).

ابتداءً من جبل سيجه أم الطيور الفوقاني وابجات (ايقات) ، كما تبدأ بعض روافده من الجنوب عبر الحدود في السودان ابتداءً من الدراهيب وحسمة أم عمر . أما قبقبة فينبع من منطقة جبال بارتازوجا وحسمة أم عمر بالسودان ويتجه شمالاً حتى يلتقي بالعلاقي ليشتركا في المجري الأدنى وفي المصب النيلي عند العلاقي ، أو قد يعد قبقبة رافداً للعلاقي . المهم أن شبكة الوادي ضخمة ، طول المجري بضع مئات من الكيلومترات ، ومساحة الحوض تناهز مجموع كل أراضي مصر الزراعية الحالية والقابلة للزراعة معًا . ولذا فإن هذا الوادي بشطريه علي جانبي الحدود السياسية هو أهم أودية جنوب الصحراء الشرقية .

وما يميز العلاقي – قبقبة بالدقة ، مع ذلك ، إنما هو نظام الأودية الثانوية العديدة التي تتصل ببعضها البعض في سلسلة متوالية من الدرجات التصاعدية وذلك بزوايا شبه قائمة ، فرغم أن بعضًا من هذه الأودية يتصل بزوايا حادة ، إلا أن الأغلبية تتبع تلك القاعدة . ومعني هذا أن معظم الأودية الثانوية التالية تصبح تلقائيًا أودية عكسية تسير إما عكس اتجاه العلاقي– قبقبة أو عكس اتجاه النيل نفسه .

فالمجري الرئيسي للعلاقي يتخذ محورًا شرقي الجنوب الشرقي ويصب في النيل بزوايا قائمة تقريبًا ، ثم من الجنوب والشمال ترفده مجموعة كبيرة من الأودية الصغرى ومعظمها يكاد بدوره يتعامد عليه مثل انجات وغيره وبالمثل من الشمال ، حيث يأتي وادي سيجه بروافده الصغرى أبو حد وأم علقة ثم وادي مرّة فوادي شلمان وحيمور ثم وادي قليب (قوليب) فأم عركة فأبو مرّة .

أما قبقبة فمجراه الرئيسي يكاد يتجه من الجنوب إلي الشمال متصلاً بالعلاقي بزاوية شبه قائمة ، بينما تأتي معظم روافده عرضية تقريبًا سواء من الشرق أو من الغرب فتتعامد من ثم عليه بدرجة أو بأخري ، مثال ذلك وادي حسمة عمر من الشرق والخطيب وغيرهما من الغرب (جمال حمدان ، شخصية مصر ، ١٩٨٠) .

تتميز المنطقة التي تتجمع فيها مياه وادي العلاقي جيولوجيا بصخور حقب ما قبل الكمبري ، والتي تتكون من صخور نارية جوفية وبركانية وصخور متحولة وتعرف بصخور الركيزة المعقدة Basement Complex بالإضافة إلي بعض الصخور الرسوبية . ومناخ وادي العلاقي شديد القارية ونادرًا جدًا ما تسقط فيه الأمطار والتي لا تتجاوز ٥ مم سنويا

طبقا لبيانات الأرصاد الموثقة ، بالرغم من أن سقوط الأمطار علي تلال البحر الأحمر أعلي من ذلك بكثير . وعندما تسقط الأمطار فإنها تكون غالبًا مصحوبة بعواصف رعدية ، وتحدث في أوقات غير متوقعة ، وتكون كميات الأمطار متغيرة تغيرًا كبيرًا وتجعل وادي العلاقي أو أجزاء منه تفيض بشدة متجهة إلي وادي النيل . وتشير تسجيلات الأرصاد الجوية أن هطولاً شديدًا للأمطار حدث في نوفمبر ١٩٩٤ م واستمر لمدة عشرة أيام متصلة مع سيول شديدة جرف في طريقها الأحجار متجهة إلي الشمال الغربي لتصب في بحيرة ناصر . وتدل سجلات الأرصاد الجوية الموجودة في أسوان أن المتوسط السنوي لدرجات الحرارة في وادي العلاقي حوالي ٢٧,١ درجة مئوية ، وتصل الحرارة في الصيف في الوادي إلي أعلي من ٤٥ درجة مئوية وتنخفض في فصل الشتاء في بعض الليالي إلي ما دون الصفر .

يُغطي جزء كبير من الوادي بمياه بحيرة ناصر وتبلغ مساحته حوالي ٦٥٠٠ كم٢ -هذا الخزان المائي الهائل الذي تكوّن بعد بناء السد العالي ويمتد لمسافة تبلغ ٥٠٠ كم - وقد بلغ أقصي ارتفاع منسوب لمياه البحيرة ١٧٨ م عام ١٩٧٨ م فوق منسوب سطح البحر واستمر في الارتفاع إلي ١٨٢ م عام ١٩٨٨ م ، وعندما ارتفع منسوب البحيرة إلي هذا الحد تدفقت المياه إلي الأراضي الصحراوية القاحلة للصحراء الشرقية وغمرت جزءاً كبيرًا من وادي العلاقي ووصلت إلي مسافة بلغت ٥٠ كم من منابع الوادي ، وقد قدرت الحسابات أنه بسبب الانحدار البسيط لقاع الوادي فإن ارتفاع متر واحد في منسوب البحيرة يصاحبه دخول للمياه في وادي العلاقي لمسافة حوالي كيلومتر واحد .

ويسبب التذبذب في منسوب بحيرة ناصر من عام إلي آخر في كشف أجزاء تصل إلي ٤٠ كم من الأراضي القاحلة مما ينشأ عنه فترات تتفاوت بيئيًا من صحراوية شديدة الجفاف أعلي الوادي إلي مناطق عالية الرطوبة أسفله .

يقع وادي العلاقي في منطقة من أشد المناطق قارية علي سطح الكرة الأرضية ويكاد لا يستقبل مياه الأمطار إلا في النادر وعلي فترات متباعدة ، وتصل درجة الحرارة إلي حوالي ٥٠ درجة مئوية جاعلة هذه المنطقة واحدة من أشد المناطق حرارة علي سطح الأرض ، ويبلغ متوسط درجات الحرارة في الشتاء حوالي ٣٠° وقد تنخفض إلي درجة الصفر ، ويبلغ المتوسط الشهري ٧° ، وتتراوح الرطوبة النسبية بين ١٠ و٦٠ ٪ . كما

توجد الكثير من الآثار والتي تمتد إلي ما قبل التاريخ مرورًا بعهود الفراعنة ، وتدل الرسومات علي أن المنطقة لم تكن فقط ممرًا للقوافل ولكنها كانت مناطق تحجير هامة تمد مصر بالأحجار اللازمة لبناء المعابد والتماثيل والتوابيت .

في عهد المملكة القديمة (*Old Kingdom*) والتي امتدت قرابة ٥٠٠ عام كان وادي العلاقي مكان التقاء للمصريين والقبائل القادمة من الصحراء النوبية والتي لعبت دورًا اقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا هامًا في ذلك الوقت ، ويقال أن بعض قوافل الإبل كانت تتكون من حوالي ٤٠٠٠٠ جمل في عهد «أحمد ابن طولون» . وتدل النقوش القديمة أن سكان الوادي القدامى من المصريين تمكنوا من استئناس الحمار والقط ، واللذان يعتبران الحيوانات الوحيدة التي تم استئناسها في إفريقيا .

وفي منطقة العلاقي تلال عالية تقوم بعيدًا عن السهل ، وكانت تسمي جبل العلاقى ، وكان لمنطقة العلاقى أهمية خاصة في بلاد النوبة لكونها تقع علي مصب وادي العلاقى الذي كان يعتبر الطريق الإقليمي في الصحراء الشرقية ، ويشكل طريقًا لمنحدرات جبال منطقة حلايب والبحر الأحمر وبلاد بونت (الصومال-عُمان-حضرموت) ويقود إلي مناجم الذهب في العصرين الروماني والعربي وإلي ميناء عيذاب قرب حلايب وهو ميناء الحجيج في العصور الوسطي ، أما حديثًا فيُعتبر طريق العلاقي أحد الطرق الهامة لتجارة الإبل لدي قبائل العبابدة والبشارية وغيرها من إبل شرق السودان إلي سوق الإبل الكبير في مدينة دراو شمال أسوان .

يمتد وادي العلاقي من الجنوب الشرقي إلي الشمال الغربي وينتهي أحد طرفيه قرب البحر الأحمر والطرف الثاني قرب النيل ، وفي موسم الأمطار تتجمع فيه السيول الغزيرة وتصب المياه في النيل لكون الوادي عامرًا بالأشجار الكثيرة والكثيفة وهذه المزايا لها منزلة كبيرة لدي البدو ، وكان يُقال عند الوصول إلي الوادي (**السلام عليك يا وادي العلاقي ، الحمد لله جيناك بالسلامة**) ثم يقوم كل العابرين إليها بنثر حبوب الذرة علي الأرض قربانًا للروح الطيب الذي يحفظ الوادي حسب اعتقادهم ، وكان عرض الوادي ١٣٥ مترًا تقريبًا وبالمنطقة تلال عالية وتقوم بعيدًا عن السهل .

كان وادي العلاقى ذا أهمية خاصة وكبيرة في بلاد النوبة ، وكان لعُمُدية العلاقي علاقات تاريخية ووثيقة شديدة الخصوصية بأهل الصحراء الشرقية من عبابدة وبشارية . وقد أقام في منطقة العلاقي ٢٠٠ شخص من العبابدة في النجوع الشمالية من الوادي .

تأتي أهمية العلاقي لعدة عوامل منها العوامل الجغرافية الطبيعية المتمثلة في التقاء الوادي بالنيل وهناك العلاقات المكانية التي تربط العلاقي بالسودان والبحر الأحمر وسكان البادية وأيضا المشروع الزراعي ثم دور الأولياء في تجميع مكان موسمي لسكان النوبة تكتظ به دروب العلاقي بنشاط مكثف واقتصادي من الموالد وموائد الطعام والذبائح والنذور مما يجعل الطعام كثيرًا جدًا ، ويوزع علي الحاضرين مع العطايا المادية ، وينتعش بيع الخضروات الطازجة من مشروع الري والتي تجد رواجًا كبيرًا فيشتريها الناس قبل العودة إلي بلادهم بالإضافة إلي عروض العبابدة والبشارية من صناعات يدوية تتمثل في البرش المصنوع من الخوص وغالبًا ما تصنع في فصل الشتاء من جدائل ونباتات صحراوية في الجبال .

تحتل منطقة النوبة حيزًا كبيرًا من اهتمامات الباحثين والمفكرين والكتاب ، وتوجد العديد من الكتابات التي تناولت مختلف جوانب الحياة بها ومن أبرزها كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ، والإسلام والنوبة للدكتور مصطفى مسعد ، والبيان والإعراب للمقريزي ، وتاريخ السودان منذ أقدم العصور لأركل .وغيرها من الكتابات التي سجلها المؤرخون السودانيون والمصريون والأجانب .

لم يكن اسم السودان معروفًا أو مستخدمًا من قبل دخول العرب فقد أطلق الرحالة والجغرافيون العرب في العصور الوسطي علي الأراضي التي تقع جنوب مصر ، بلاد السودان أي أرض السود ، وهو اسم مبني علي لون سحنة العنصر البشري الذي يقطن المنطقة في تلك الفترة وأصبح له مدلول سياسي لكيان محدد فيما بعد .

وقد قام الدكتور رياض(٤٠) والدكتورة كوثر بإعداد دراستين رائدتين عن منطقتي السيالة والعلاقي بالنوبة السفلي تحتويان علي مجموعة من الصور ، كلها نتاج ثلاث رحلات ميدانية للنوبة المصرية القديمة قبل التهجير كنوع من حفظ التراث النوبي في مكانه الأصلي قبل أن يندثر تحت مياه بحيرة ناصر . والدراسة الأولى كانت في قريتي سيالة والعلاقى لمدة أسبوعين في يناير ١٩٦٢ م ، وكان الاهتمام موجها إلى الكنوز والعبابدة في سياله وكذلك في العلاقي الجديدة . أما الدراسة الثانية فكانت في شهر

---

(٤٠) محمد رياض : أستاذ جغرافيا مرموق في كلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة .

سبتمبر ١٩٦٢ م ، في شمال بلاد الكنوز إلى قرشة وسياله ثم المالكي والسنجاري من بلاد العليقات ، وأخيرا الدر وتوشكى من بلاد الفديجة في جنوب النوبة المصرية .

ظلت الازدواجية الاجتماعية بين المجموعات المستقرة والبدوية وشبه البدوية في مصر ، والنوبة ، والصحارى في حالة توازن حتى نهاية الألفية الرابعة ق .م . ، وبعد ذلك ، ومع ظهور الدولة الفرعونية ، تغيّر الوضع وهو ما يمكن أن يكون سببًا في انهيار الاقتصاد النوبي والزوال التام للمجتمع القائم .

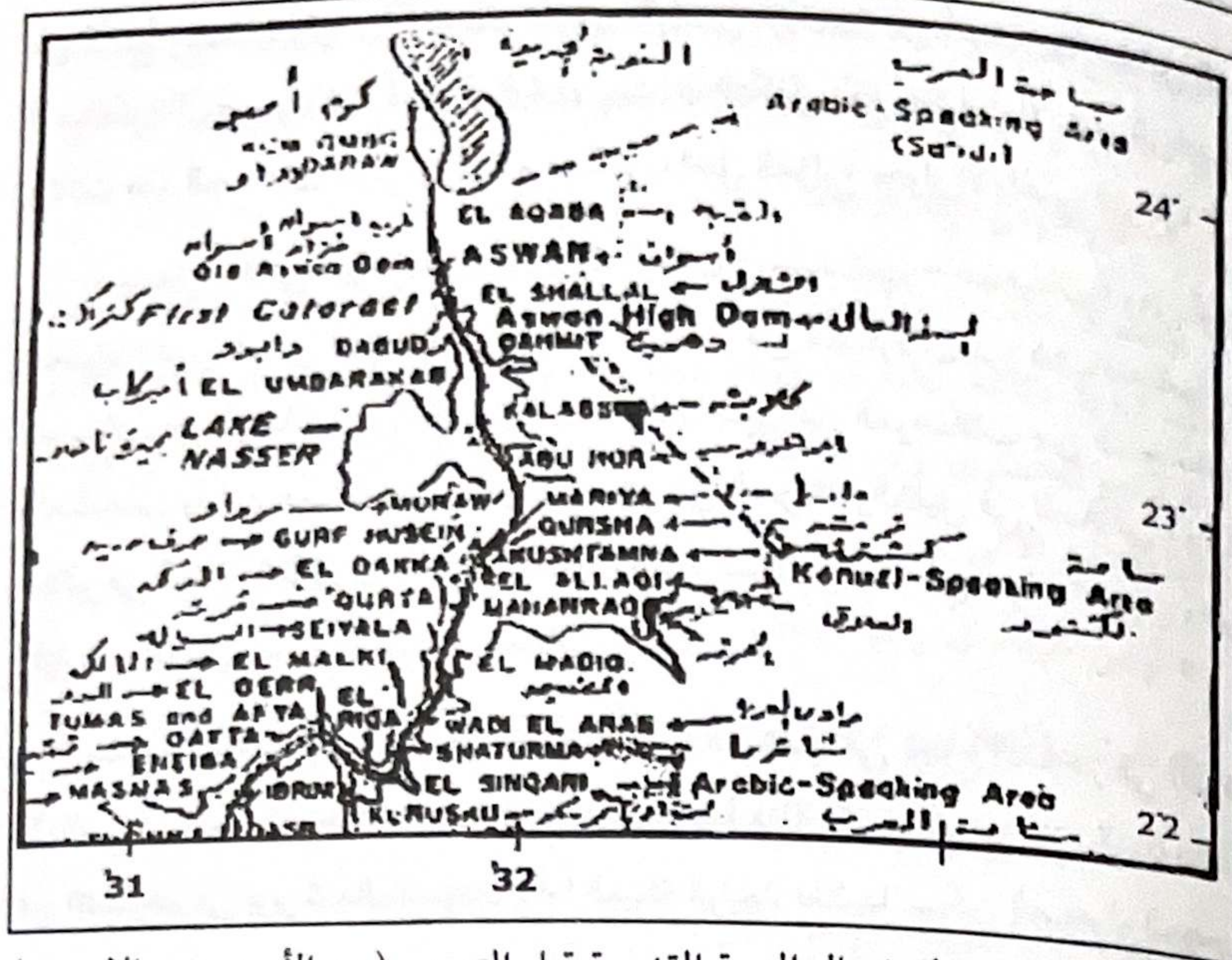
رحلة نوبية إلي وادي العلاقي [٤١]

تمر الرحلة إلي أرض المعدن (الذهب) من الشلال إلي دابود – دهميت – أمبركاب – كلابشة – خور رحمة – أبوهور – مرواو – ماريا – قرشة وجرف حسين – الدكة – ثم إلي العلاقي عبر مسافة ١١٠ كم جنوب السد العالي والشلال (شكل ٣-٢) . والعلاقي اسم يطلق علي سلسلة من الجبال تبدأ من شرقي القرقة ويخترق التلال العالية في الصحراء الشرقية في اتجاه شواطئ البحر الأحمر وتحتوي الجبال كما جاء ذكرها في كتب التاريخ علي مناجم من الذهب .

يمتد وادي العلاقي من الشرق إلي الغرب وينتهي أحد طرفيه قرب البحر الأحمر والطرف الثاني قرب النيل ؛ في موسم الأمطار تتجمع فيه السيول الغزيرة وتصب المياه في النيل لكون الوادي عامر بالأشجار الكثيرة والكثيفة وعادة يقوم كل العابرين بنثر حبوب الذرة علي الأرض قرباناً للروح الطيب الذي يظل الوادي حسب اعتقادهم ، وكان عرض الوادي ١٣٧ متر تقريبًا وبالمنطقة تلال عالية تقوم بعيدًا عن السهل وكان اسمها جبل العلاقي .

---

(٤١) منقول بنصرف من رحالة النوبة جمال القرشاوي



شكل (٣-٢) : خريطة شمال النوبة القديمة قبل التهجير (عن الأبوهوري ، الانترنت)

كانت قرية العلاقي [٤٢] ذات أهمية خاصة وكبيرة في بلاد النوبة لكونها تقع علي مصب وادي العلاقي الطريق الإقليمي في الصحراء الشرقية ، ويصب وادي العلاقي في النيل علي هيئة خور واسع تدخل فيه مياه النيل طوال العام لمسافة عدد قليل من الكيلومترات تزيد أثناء موسم التخزين ، ومن هنا أقامت مصر عام ١٩٣٤ م مشروع الري الشتوي بالطلمبات وفي عام ١٩٥٢ م أضافت الدولة طلمبات الري النيلي لتمتد أرض المشروع نحو ٨ كم بحذاء ضفة الوادي مع عرض يسير وبمساحة إجمالية حوالي ٩٥٠ فدانًا ليست كلها مزروعة لوجود أحواض عالية لم تصلها مياه الطلمبات ، وقد قسمت أرض المشروع إلي أحواض للراغبين من كنوز العلاقي وحصلت السيالة علي ١٤٨ فدانًا ومحرقة ١٣١ فدانًا و٥٠٠ فدان للعلاقي . وكان يقوم بالزراعة فيها جماعات صغيرة قادمة

---

(٤٢) قرية العلاقي : هي من القرى القديمة ، وردت في كتاب البلدان لليعقوبي بأنها جنوبي أسوان واستوطنها قوم من ربيعة من بني حنيفة من أهل اليمامة ، انتقلوا إليها بالعائلات والذرية . وردت في معجم البلدان أنها حصن في بلاد البجة ، كانت قرية العلاقي من الوجهة المالية من توابع ناحية أبريم ، وفي عام ١٢٧٢هـ فصلت عنها وأصبحت قائمة بذاتها (رمزي ، ١٩٩٤) .

من الكِلْح وحِجازة وقوص [٤٣] بنظام تأجير الأراضي الزراعية من أصحابها مقابل الربع لأصحاب الأرض والثلاثة أرباع الباقية لهم بشرط التكفل بكل طلبات الأرض الزراعية. وكانت هذه الجماعات تقيم في أكواخ وعشش داخل المزارع بجوار الأراضي الزراعية.

عبابدة العلاقي هم من العشاباب (شافعاب – سيداناب – عبديناب) ومن أولاد عمران الذين هم من العمراناب من العبديناب من الجارلاب من الشافعاب من الديداناب من الرجلاب من القشيجاب من الفواجاب من العوضلاب من المحمداب والعشاباب وأولاد عمران هم : شكيت وذريته في السودان والقليل في العلاقي، وكان الكثير في قرشة والقليل في العلاقي وماريا، وعبد السلام وذريته في جرف حسين وماريا وقرشة، وادريس وذريته متركزة في العلاقي.

ينقسم العبابدة إلي أربعة أقسام ثلاثة منها مستقرة في نجوع الحاجز في أطراف الأراضي الزراعية والصحراء بين مدينة قِفط (محافظة قنا) وكروسكو في بلاد النوبة فضلاً عن انتشارهم في بربر شمال السودان، أما القبيلة الرابعة فغالبها تسكن الصحراء المصرية الجنوبية الشرقية جنوب خط يمتد من قنا إلي القصير؛ والقبائل المستقرة هي (الجميلية – العبودين والشناطير والفقر والمليكاب) أما القبيلة البدوية هي العشاباب وبعضهم مستقرون نصف استقرار وبعضهم بدو كعشائر المحمداب في الصحراء والجريحاب بالقرب من ساحل البحر الأحمر.

وأغلب العبابدة والبشارية يسكنون النجوع الشمالية في عمدية العلاقي مثل نجع حياتي ونجع كوبان وهم يمتلكون أعداداً كبيرة من الإبل ويرتحلون في فصل الشتاء إلي المراعي الداخلية من أودية وأبار القليب وحيمور والمرّة وإلي داخل السودان.

خواص تربة وادي العلاقي بعد غمرها بالماء

من المعروف أن التغيير في مستوى الماء في بحيرة ناصر ينتج عنه حركة أفقية كبيرة في منطقة وادي العلاقي وعند هبوط مستوى الماء بالبحيرة تتكشف مساحات كبيرة من الأرض المغمورة حديثًا، والدورات المتعاقبة من الغمر والتكشف لها تأثير

(٤٣) الكلح : مدينة شمال كوم أمبو (محافظة أسوان)، وحجازة وقوص مدينتان في محافظة قنا.

معنوي على التربة وعليه فقد قام باحثون من جامعة جنوب الوادي بأسوان وجامعة أسيوط بدراسة خواص التربة على ثلاثة محاور تمتد من شاطئ البحيرة إلى الداخل.

١- تورجومى *Turgoumi*

وهذه المنطقة عبارة عن مدخل صغير من شاطئ البحيرة حيث انحدار وتدرج السطح شديد مقارنة ببقية الوادي، ونتيجة لهذا فإنه يمكن مشاهدة سلسلة التغيرات في درجة النمو الخضري بوضوح خلال مسافة بسيطة، وبالتحرك من البحيرة إلى الداخل يلاحظ التتابع الآتي :

- أرض جرداء ليس بها نباتات
- بادرات (شتلات) صغيرة من نبات الأثل *Tamarix* لا يتجاوز ارتفاعها ١ - ٢سم
- شجيرات أثل متفرقة ومتباعدة
- كثافة عالية في شجيرات الأثل
- نباتات صحراوية

وهذه المنطقة ترى بوضوح كنطاقات نمو نباتي مركزية متوازية مع الشاطئ تقريبًا، وقد تم حفر قطاعات أرضية على محورين بالبعد من حافة المياه بالبحيرة، وتم الحفر إلى عمق الماء الأرضي كلما أمكن، وتم قياس عمق القطاع ووصفه وأخذت العينات للفحص المعملي من كل طبقة.

٢- الصخر الفرعوني *Pharaonic Rock*

وفى هذه المنطقة تمتد البحيرة مسافة أكبر جهة الغرب من الوادي أكثر من الناحية الشرقية، وتم عمل خمس حفر على هذا المحور تمر خلال الوادي. والجزء الغربي من المحور كان مغمورًا بماء البحيرة بينما الجزء الشرقي كان مكشوفًا، وتم حفر القطاعات الأرضية في الجزء المكشوف وتبدأ القطاعات من حافة المياه بالبحيرة وتمتد إلى المنطقة الرملية الجافة عند منسوب ١٨٠م.

النتائج والمناقشة

لوحظ تشابه كبير في قطاعات التربة ، ففي المنطقة التي جف فيها سطح التربة تكونت قشرة رقيقة (٠-١ سم) لونها برتقالي أو برتقالي بني ، وتقع تحتها طبقة رمادية سوداء سمكها يتراوح بين ٥ سم و١٠سم ، ويدل وجود الطبقتين على أن غمر التربة بواسطة البحيرة نتج عنه اختزال شديدة في الطبقات السطحية (الاختزال غالبًا ما يعطى اللون الأسود) . ويستدل على ذلك بتكوين غاز كبريتيد الهيدروجين عند إضافة حمض علي العينة الرمادية السوداء . يرجع اللون الأسود في هذا الأفق إلى وجود الكبريتيد والذي يكون في الغالب كبريتيد حديدوز .

إن اللون البرتقالي على سطح التربة يدل على ظروف الأكسدة ، ويرجع هذا اللون الأحمر على السطح إلى وجود أكاسيد الحديديك التي تنتج من أكسدة الكبريتيدات من كبريتيدات الحديدوز إلى كبريتات وأكاسيد حديديك الذي يعطى اللون البرتقالي .

إن هذه التغيرات بين الأكسدة والاختزال تؤثر على مستوى العناصر النادرة مثل الحديد والمنجنيز والنحاس والزنك ودرجة صلاحيتها للنبات . والحديد والمنجنيز يتواجدان في مركبات عديدة التكافؤ ولذا يتأثران بتغير ظروف الأكسدة تأثيرًا مباشرًا ، أما النحاس والزنك فإنهما يتأثران بطريقة غير مباشرة . فنجد أن ظروف الاختزال أو بمعنى آخر الغمر بالماء تؤدى إلى إنتاج كبريتيدات النحاس والزنك حيث يترسبان ، أما عند التكشف وانخفاض الماء تتأكسد الكبريتيدات وتذوب هذه العناصر في المحلول . وعند ذوبانها فإنها تدخل في ، أو تدمص على أسطح حبيبات أكاسيد الحديد .

تؤثر التغيرات بين الأكسدة والاختزال على حالة العناصر النادرة ، وهذا يحتاج إلي دراسة دقيقة للتربة ، أما التربة الأكثر بعدًا من البحيرة والتي كُشفت وتعرضت للهواء مدة أطول فقد لوحظ تكون طبقة بسمك ٣-١٢سم لونها رمادي فاتح إلى رمادي بني على السطح ، وهذا اللون ينشأ من التعرض لمدة أطول لعوامل التجوية تحت ظروف الأكسدة أو بمعنى آخر انحسار الماء . وهناك احتمال آخر بأن هذه الطبقة نشأت من الرواسب البحيرية ، والأرجح أن التربة غمرت بالماء في وقت معين ولكن ليس حديثًا . ويؤكد هذا بعد طبقة الماء الأرضي والذي يبلغ مترًا فأكثر .

تبين الدراسة أن طبقة تحت سطح التربة (*Subsoil*) في هذه العينات تبدو متجانسة حيث يظهر لون أحمر إلى بني محمر . وتظهر بعض الاختلافات في منطقة الصخر الفرعوني حيث إن طبقة تحت سطح التربة على بعد أكثر من ١٠٠م من البحيرة يكون لها لون ذو خلفية متجانسة من البني المحمر إلى البني البرتقالي مع ظهور عدد كبير من حبيبات الرمل ذات اللون الداكن منتشرة خلال هذه الطبقة مقارنة بالتغيرات الكبيرة في الطبقة السطحية مما يؤكد أن المؤثر الرئيسي هو الغمر الذي يحدث على الطبقة السطحية من القطاع .

يوضح الجدول (٣-١) نتائج تحليل عينات قطاعات التربة في منطقة تورجومي حيث تم تقدير الأس الهيدروجيني pH[٤٤] ، والتوصيل الكهربائي ، والفقد بالاحتراق ، والكلسيوم والمغنسيوم ، ويلاحظ من الجدول انخفاض الأس الهيدروجيني pH ودرجة الحموضة بوحدة pH تقريبًا من ٩ إلى ٨ في الطبقة السطحية(لاحظ أنها علاقة أسّية) بينما الأس الهيدروجيني pH للطبقة تحت السطح تظل ثابتة عند حدود ٨,٨ وهذا يؤكد مرة أخرى أن التغيرات الكيميائية الحادثة في الطبقة السطحية أساسًا هي تفاعلات الأكسدة التي تنتج أحماضًا تسبب خفض الحموضة من ٩ إلى ٨ والـ EC (التوصيل الكهربي) ويظهر أن الأملاح الذائبة تركزت على السطح خصوصًا في القطاعات السطحية وترسبت بعد تبخر للماء .

إن أعلى درجة ملحية في الطبقة السطحية كانت حيث كثافة نمو نبات العبل أو الأثل *Tamarix* الناضج كبيرة ، والمعروف أن أوراق العبل تعمل على تجميع الأملاح بها ثم تسقط على السطح مع الورقة (والملح يتم تجميعه داخليًا في الغدد الملحية داخل الورق وفى النهاية يموت الورق ويسقط على السطح وتزداد الملحية) .

(٤٤) الأس الهيدروجيني : أو درجة الحموضة ويرمز لها بالرمز pH ، وهي القياس الذي يحدد ما إذا كان السائل حمضًا أم قاعدة أم متعادلاً . حيث تعتبر السوائل ذات درجة حموضة أقل من ٧ أحماضًا وتعتبر السوائل ذات درجة حموضة أعلى من ٧ قواعد . أما درجة الحموضة ٧ فهي تعتبر متعادلة وهي تساوي حموضة الماء النقي على درجة حرارة ٢٥ مئوية .

جدول (٣-١) : نتائج تحليل التربة في قطاع توجومي .

الحفرة	المسافة من البحيرة بالمتر	عمق الأفق بالسنتيمتر	الأس الهيدروجينى	التوصيل الكهربى ميكرو سيمنس/متر	الفاقد عند الاحتراق%	الكلسيوم	المغنسيوم
2	28	0.5-0	8.8	777	0.4	0.34	0
		6-0.5	-	-	-	-	-
		55-6	8.88	139	0.9	0.0	0.06
3	58	02-0	9.2	934	2.1	0.050	0.06
		13-0.2	8.2	183	0.4	0.39	0.03
		75-13	8.9	124	0.2	0.38	0.006
4	78	4-0	8.8	530	2.1	0.40	0.012
		95-4	8.6	136	3.9	0.05	0.036
5	98	6-0	8.8	444	0.6	0.32	0.006
		6+	8.6	180	0.5	0.44	0.006
6	138	7-0	8.7	1664	1.2	0.43	0.006
		7+	8	246	0.5	0.29	0
7	158	0	7.9	1817	2.0	0.36	0.003
		7+	-	-	-	-	-

الخلاصة

إن المتابعة الدقيقة لتربة وادي العلاقي كلما ابتعدنا من البحيرة في خلال القطاعات المدروسة تؤكد أن تذبذب سطح المياه في البحيرة ينتج عنه تفاعلات كيميائية وتغيرات في التربة ، وتأثير هذه التغيرات على خواص التربة وقابليتها للزراعة يحتاج إلى دراسة مستفيضة . وقد وجد في التربة البعيدة عن الشاطئ ، والتي تعرضت للهواء مدة طويلة طبقة رمادية فاتحة علي عمق يتراوح من ٣ سم إلي ١٢ سم ، ويبدو أن هذا اللون تكوّن نتيجة ظروف طويلة من التجوية المؤكسدة .

٤- الحياة البريــة

تغازل النيـل وتـروي الرمـال   تعطر الكـون من الجنـوب للشـمال

يا أحلي عيون يا أحلي غـزال   فيهــا السحـر وفيهـا الـدلال

(الشاعر جمال الشرقاوي)

الصحراء الشرقية

تمتد الصحراء الشرقية بين وادي النيل والبحر الأحمر ، وهي مختلفة تمامًا عن الصحراء الغربية ، إنها صحراء ، ككل الصحراوات ، تتكون من رمال ، غير أن الغالب فيها هو سلسلة من الجبال الوعرة ، تتخللها الوديان ، التي يعيش بها واحد من أكبر وأغنى التجمعات النباتية والحيوانية في الأراضي المصرية . من هذه الجبال ، (شايب البنات) ، الذي يبلغ ارتفاعه ٢١٨٧ مترًا ، وهو الأعلى في تلك السلسلة ، التي تتمتع قممها بمعدلات معقولة من الأمطار ، تتكون من الطبيعة الجبلية لهذه القمم ، بالإضافة إلى معدل هطول طبيعي سنوي يسود المنطقة ، ويقل عن ٥٠ ملليمترًا . وتستقبل الوديان مياه الأمطار المتدفقة ، بالرغم من عدم وجود مسارات ثابتة للمياه ، التي تتجمع فيما يشبه الينابيع ، وقد تتسرب المياه المتجمعة لتكون أحواضًا جوفية ، ذات قاع صخري .

ويتميز الحد الشرقي للجبال بوديان عديدة ، قصيرة نسبيًا ، وشديدة الانحدار ، بينما وديان الجانب الغربي طويلة وأقل انحدارًا . ونظرًا للجفاف الشديد الذي يسود الصحراء الشرقية ، بصفة عامة ، فإن مظاهر الحياة النباتية والحيوانية تقتصر على الوديان ، وبصفة خاصة ، على جوانب هذه الوديان ؛ فمياه الأمطار المنهمرة على الجبال تتخذ هيئة السيول ، التي تتدفق إلى الوديان ، حاملة معها الصخور ، وفي بعض الأحيان تنقل كتلاً ضخمة منها ، كما تجرف كل ما تجده في طريقها ، لذلك ، فإن مسارات هذه السيول في الوديان تخلو من الحياة النباتية ، التي تنتقل إلى ضفاف الأودية ، التي تعلو مستوى مياه السيل . إن هذا الحال لا يمتد إلى منطقة نهايات الأودية ، حيث يزيد اتساع الوادي وتقل درجة انحداره ، فإذا وصلته مياه السيل المندفعة ، فقدت قوتها ، فلا تنتزع وتجرف النباتات النامية في نهايات الأودية ، بل إن جزءاً من المياه يركد ، ويبقى في التربة ، فتتوفر مياه تكفي لأن تنمو عليها النباتات لعدة سنوات قادمة .

يعيش في الوادي عدة أنواع من الحيوانات والطيور والتي يتعرض بعضها للانقراض والتي تنتشر على المنطقة الحدودية بين مصر والسودان ومنها : قط الرمال(*Felix margarita*) ، الوعل النوبي(*Nubian Ibex*) ، تمساح النيل (*Crocodilus niloticus*) ، البومة (*Bubo bubo*) والعقاب الأرقط (*Aquila clango*).

خصائص الحياة البرية بوادي العلاقي

تتميز الحياة البرية بوادي العلاقي بما يلي :

- يوجد بالوادي حوالي ١٥ نوعًا من الثدييات ، مثل الجمال ، والأغنام ، والغزال ، وابن آوي ، والضبع ، والحمار الجبلي .
- هناك بعض الزواحف الخطيرة مثل الحية القرعاء والتي تشبه العقرب .
- تتميز المنطقة أيضًا بعدد كبير من اللافقاريات التي يعيش معظمها تحت الشجيرات مثل النمل والخنافس حيث لها دور هام في التوازن البيئي وخصوبة التربة بالوسائل التي تستخدم في تحليل المواد العضوية .
- **يعيش في الوادي حوالي ١٦ نوعًا من الطيور المقيمة مثل النعام والأبلق والقنبرة المتوجة والعقاب النسارية[٤٥] والصقر والقطا والحجل [٤٦] والرخمة[٤٧] والحباري[٤٨] ، والصقور ، والعقبان ، والحدأة السوداء ، والبومة ، والبط الشرشار .**

---

(٤٥) العقاب النسارية : من الطيور التي تعيش بالقرب من المياه على سواحل البحار أو مستنقعات المياه العذبة حيث يمثل السمك غذاءه الرئيسي ، ويرفرف عاليًا فوق الماء ثم يهبط بسرعة ليغوص في الماء مقدمًا رجليه أولاً ويستخرج السمكة من الماء ماسكًا بها بمخالب رجليه .

(٤٦) الحجل (*Ammoperdix Heyi*): طائر بحجم قبضة اليد الكبرى ، ريشه بين الأسود والرمادي والبني ، يضع نحو من عشرين بيضة ، ويبني عشه على الأرض ، تفقس جميعًا ، يمشي سريعا قبل أن يطير وعندما يطير يصدر بأجنحته صوتًا كالصفير ويتغذى على الحشرات والبذور . يصل طول الحجل إلى حوالي ٢٤سم ، ويقيم في مصر في الوديان والمناطق الصخرية النائية وأيضًا في الواحات المهجورة بالصحراء الشرقية وسيناء في جماعات صغيرة .

(٤٧) الرخمة أو الأنوق :*Neophron percnoptera* طائر ضخم يشبه النسر كثيرًا ، يتميز بلونه الأبقع بالبياض والسواد ، ومنقاره الأصفر ، وبجناحين كبيرين وعريضين يجعلانه أقوي الطيور في التحكم بطيرانه ، ولارتفاع حتى ٣٥٠٠ م ، يتميز الرخمة بقوة نظر حادة جدًا تسمح له بالتحليق في الجو على ارتفاع كبير ، ورؤية الجيف على بعد عدة كيلومترات .

(٤٨) الحباري (*Houbara Bustard*): طائر من بين أكثر الطيور التي تعلق بها وأحبها الإنسان في الجزيرة العربية ، والعلاقة بين هذا الطائر البديع والإنسان قديمة جدًا ، والحبارى أصبح اليوم مهددًا بالانقراض وهو ضمن قائمة الأنواع التي يُمنع الاتجار بها ، ويعتبر من الطيور المحمية في معظم الدول التي تتواجد فيها . والحبارى طيور برية يتراوح حجمها بين المتوسط إلى الضخم ، وتستوطن في السهول المفتوحة والمناطق شبه الصحراوية في العالم .

- تم تسجيل ٩٢ نوعًا من النباتات دائمة الخضرة والحولية ونباتات طبية مثل الكلخ[٤٩] ، الحنظل ، السنا مكي ، والسواك والطرفة (الأثل) والهجليج (الإهليج) وبلح اللالوب والسيال وغيرها .
- يوجد نشاط سكاني من العصر الفرعوني حيث إن المنطقة مصدر هام لاستخراج الذهب وخامات النحاس والنيكل والكروم والتلك .

وتهدف محمية وادي العلاقي إلى الحفاظ على المصادر الوراثية للنبات والحيوانات والطيور والتأكيد على التنمية المتواصلة المبنية على أسس بيئية ، وقد قُسمت المحمية إلى ثلاثة أقسام :

١- منطقة للبحوث العلمية الأساسية وتشمل منطقتي قليب وإيجات وتبلغ مساحتهما حوالي ٣٥٠كم٢ ولا يسمح فيها بالرعي أو التحجير أو أية أنشطة أخرى .

٢- منطقة إدارة بيئية وتجرى بها المشروعات البحثية التي تهدف إلى التوصل لطرق استخدامات الأرض بمتطلبات بيئية تجعل منها تنمية مستدامة .

٣- منطقة انتقالية والتي يسمح فيها بالزراعات التقليدية والرعي وجميع أشكال استخدامات الأرض التقليدية .

بعد بناء السد العالي وامتلاء بحيرة ناصر بالمياه عام ١٩٦٧م دخلت المياه وادي العلاقي وأصبح جزءاً من البحيرة ، ونتيجة انخفاض منسوب المياه في السنوات الأخيرة بالبحيرة انحسرت المياه عن جزء كبير من هذا الوادي حيث تتوافر الخضرة وترعى الحيوانات فيه صيفًا وعلى تلال البحر الأحمر شتاءً ، وهناك نموذج ملائم من التنمية يتمثل في تشجير المنطقة بأشجار السنط وكذلك استخدام المياه (الأرضية) الجوفية في الري .

---

(٤٩) الكلخ : نبات ذو ساق مجوفة خالية ، كان يسمي في الأندلس قنّة ، وعند أهل مصر هو الأشق ، ويسمي أيضًا لزاق الذهب .

الحياة النباتية

وأبرز ما يمثل الحياة النباتية في المنطقة الجبلية من الصحراء الشرقية ، **المورينجا**[٥٠] *Moringa peregrina* ؛ **والأصف ، أو الكَبَر البري** ، وهو نبات يسترعي الانتباه ، على وجه خاص ، إذ ينمو على الجُرُف الصخرية ، في هيئة تجمعات زاهية الخضرة ، تتناثر بينها زهور بيضاء كبيرة ؛ والعجيب من أمر هذه الزهور ، أنها تنمو في المساء ، ولا تلبث أن تذبل بسرعة مع ارتفاع شمس اليوم التالي ، وعلى ذلك ، فإن الفرصة الوحيدة المتاحة لرؤية هذه الأزهار تكون في الصباح الباكر . ومن الأشجار الشائعة في الوديان ، السنط ، أما شجيرات **السواك** *Salvadora persica* ، فهي نادرة الوجود بالنواحي الجبلية ، بالرغم من أنها نموذج نمطي شائع بالوديان ، وقد أخذت اسمها من استخدام أغصانها اللينة وجذورها على نطاق واسع ، كأداة لتنظيف الأسنان . ومن الأشجار التي يجود نموها في هذه البيئة ، **الأثل** ، وشجرة **هجليج** ، أو (أهليجليج) ، وثمارها عبارة عن توت قرمزي صغير الحجم ، عصيري ، مقبول كطعام بنكهته الحريفة اللطيفة .

وتربة وادي العلاقي خصبة يتم فيها رعي الحيوانات صيفاً وعلي تلال البحر الأحمر شتاءً . وتوجد بعض النباتات مثل الرجلة ، والعاقول (انظر الفصل التاسع) ، والسيال ، والنتش [٥١] والسنا مكي ، والداتورة[٥٢] والحنظل ، والحلفا ، والنجيل ، وأبو ركبة[٥٣] وغيرها .

(٥٠) المورينجا بيريجرينا : شجرة البان ، شجرة اليسر ، شجرة الحياة ، وشجرة الفقراء كلها أسماء لشجرة المورينجا ، وهي أشجار سريعة النمو يصل ارتفاعها إلي أكثر من ١٠ أمتار ، وتنمو في البيئات الحارة ونصف الجافة والدافئة . تحتوي أوراق الشجرة علي ٣٠ مجم من الكلسيوم ، وقيمتها الغذائية عالية ؛ تساعد علي علاج أنيميا الدم وأمراض القلب والمخ والأعصاب والسرطان والروماتيزم .

(٥١) النتش : نبات بري شوكي يكثر في الأراضي الجبلية الوعرة والبور- غير المزروعة – وهو شديد الاشتعال وذو حرارة عالية جداً ، وتستخدم بذوره لعلاج العقم .

(٥٢) الداتورة : *Datura stramunium* نبات عشبي ثانوي ، طوله من ٨٠-١٢٠سم ، الأوراق متباينة ذات ذنب قصير ، نصلها دقيق بيضاوي ويقسم إلى فصوص بلون أخضر . الثمرة محاطة بأشواك قاسية تتشقق مصراعيًا بواسطة صدوع ، وتحوي الثمرة بداخلها على البذور . تأثير النبات الفيسيولوجي : موسع للحدقة ، مثبط للجهاز العصبي المركزي ، مضاد للتشنج . يستخدم في معالجة مرض الشلل الرعاش (صلابة عضلية – رجفة في الأطراف) ، ويعتبر من النباتات السامة حيث يسبب توسع شديد في الحدقة ثم هلوسة ثم هذيان .

(٥٣) أبو ركبة :Barassica Oleracea نبات عشبي حولي (يزرع سنويًا) ، وهو نوعان : الأحمر والأبيض ، أوراقه تميل إلى اللون الرمادي (الأبيض) تقريبًا ، وأزهاره تميل إلى الصفرة ، والأجزاء المستخدمة هي الأوراق . له استخدامات طبية كثيرة .

وبالرغم من أن النباتات الطبيعية تشغل مساحة محدودة للغاية من وادي العلاقي وتقع في مضيق صغير من الوادي حيث تنعدم الحياة النباتية أعلي التلال فإن وادي العلاقي يتميز بالتنوع الشديد في الحياة النباتية حيث يبلغ عدد الأنواع حوالي ١٢١٧ نوعًا من النباتات العليا والتي تم رصدها خلال الثلاثين سنة الماضية (*Springuel, 1993*). وبالرغم من وجود أنواع متوطنة من النبات فإن النباتات نادرة للغاية في الفلورا المصرية ومنها *Cymbopogon schoenanthis* (**الحلف بر**) والمعروف بمفعوله الطبي العلاجي لأمراض الكُلي والذي يتناوله البدو كشراب منعش .

عندما يكون الوادي مغمورًا بمياه بحيرة ناصر تنمو نباتات الأثل (العبل) *Tamarix* بكثافة في حين يتميز مجري الوادي بأشجار الأكاشيا (الطلح) ، وعندما تتراجع مياه البحيرة في الصيف تكسو الأرض الأعشاب السنوية ، ولا توجد نباتات أخري اللهم إلا بعض الأنواع الموسمية في فترات عدم سقوط الأمطار . وعلي أي حال فعندما يسقط المطر تنمو أعداد كبيرة من النباتات السنوية الموسمية في قاع الوادي .

وقد تم عمل سياج حول بعض المحميات الطبيعية في الصحاري المصرية مثل سانت كاترين بسيناء والزرانيق[٥٤] والعُمَيِّد[٥٥] ووادي العلاقي وغيرها ، وقامت المجتمعات المحلية بجمع البذور ومعالجتها مسبقًا من خلال تمريرها (بالأجهزة الهضمية للماعز) . وقام المختصون بحماية البيئة ببناء الحاضنات والإشراف عليها ، وعندما أصبحت البذور جاهزة للزراعة شاركت الجماعات المحلية في الاعتناء بها وبناء السياج حول الأشجار حديثة الإنبات لمنع الحيوانات من الرعي عليها وسقايتها على أساس تقييمات مخصصة لكل موقع يقوم بها الباحثون ، وشجّعت الحكومة السكان المحليين على زراعة أشجار السيال حول منازلهم .

(٥٤) تقع محمية الزرانيق في الجزء الشرقي من بحيرة البردويل علي مسافة نحو ٣٠ كيلو متر غرب العريش وتمثل هذه المنطقة أحد المفاتيح الرئيسية لهجرة الطيور في العالم .

(٥٥) تقع محمية العُميِّد علي الساحل الشمالي الغربي لمصر علي بعد ٣٨ كم غرب مدينة الإسكندرية وحوالي ٢٠٠ كم إلى الشرق من مدينة مطروح وتتميز البيئة الطبيعية بمحمية العُميد بالكثبان الرملية والمستنقعات والمسطحات الملحية والسفوح الصخرية والوديان والمنخفضات ذات الأراضي الخصبة .

الحياة الحيوانية

الزواحف

يوجد في مصر ١٠٦ نوعًا من الزواحف والبرمائيات ، من بينها ستة أنواع متوطنة ، ونوع واحد مُهدّد بالانقراض وهو السلحفاة المصرية . والزواحف الأكبر عددًا هي ٤٩ نوعًا من السحالي ، وتتصدرها من حيث الحجم فصيلة الأبراص *Gekkonidae* ، ومن بين ٣٦ نوعًا من الثعابين ٩ سامة و٩ أخرى لها أنياب خلفية لكنها سامة هي الأخرى رغم أنها أقل خطرًا على الإنسان ، حيث إنها تحتاج أن يصل جزء من ضحيتها إلى الجزء الخلفي من فكها حتى تحقنها بالسم .

وبعض الزواحف لها أطراف كالسلاحف والتماسيح والبعض الآخر خالية من الأطراف كالثعابين والحيات ، ومن أمثلة الزواحف المصرية :

- التمساح النيلي ـ الورل النيلي وتكثر في مياه بحيرة ناصر .
- السلاحف المصرية والنيلية في .بحيرة ناصر .
- الثعابين السامة مثل الكوبرا والبرجيل والبخاخ .

وتضم قائمة زواحف الجبال (السحالي) قاطنة الصخور ، مثل (البرص أبو كـف) و(حردون البحر الأحمر) ، وعند نهايات الوديان ، تنتشر الحية المقرنة (الطُريشة) ، ذات الصيت السيئ الذي لا تستحقه ، فهي مجرد ثعبان فاتر الهمة ، لا يهاجم الإنسان ولكنه يُضطر للعـض كإجراء دفاعي إذا ما هاجمه أحد .

ويقتصر وجود تمساح النيل المُثير للإعجاب ، والذي انتشر في الماضي على طول النهر ، اليوم في تواجده على بُحيرة ناصر ، إلى جانب الورل النيلي الضخم والسلحفاة المصرية والنيلية (ناعمة الصدفة) ، ويشمل جدول رقم (٤-١) قائمة ببعض الزواحف والبرمائيات الشائعة في الأراضي المصرية وخاصة وادي العلاقي والصحراء الشرقية .

جدول (٤-١) : أهم الزواحف والبرمائيات المصرية (من مصادر مختلفة) .

الأنـواع		الصحراء الشرقية	وادى العلاقى
الاسم العربى	الاسم اللاتينى		
برص أبو أربع نقط	*Tarentola annularis*	X	
برص القطارة	*Tarentola mindiae*	X	X
برص أبو كف	*Ptydactylus hasselquistii*	X	
برص واسع العين	*Stenodactylus stenodactylus*		X
سقنقر الرمل الكبير	*Acanthodactylus scutellatus*	X	X
ورل صحراوي	*Varanus griseus*	X	X
سحلية نعامة	*Sphenops sepsoides*	X	
كوبرا مصرية	*Naja haje*	X	X
بخاخ	*Naja nigricollus*	X	X
هرسين	*Psammophis schkari*	X	X
حية مقرنة	*Cerastes cerastes*	X	X
حية قرعاء	*Cerastes vipera*	X	X
حية مقرنة كاذبة	*Pseudocerastes persicus*		X
تمساح نيلي	*Crocodylus niloticus*		بحيرة ناصر
سحلفاة نيلية	*Trionyx triunguis*		بحيرة ناصر

كما يتم تقديم المشورة والخدمات البيطرية لمراكز التربية والإكثار ، والتي تضم أكثر من عشرة أنواع من الحيوانات الشديية المهددة بخطر الانقراض وعشرة أنواع من الطيور وثمانية أنواع من الزواحف . وتشير الدلائل إلى زيادة أعداد الثدييات مثل الغزال من ٣في عـام ٢٠٠٢ م إلى ٤٤ في عـام ٢٠٠٦ م وزيادة أعـداد الوعل النوبي من ٣ إلى ١٧

وزيادة أعداد الكبش الأروى إلى ٢٠ خلال نفس الفترة السابقة . وهناك أنواع أخرى من الثدييات (الضبع المخطط - القط البرى - ثعلب الفنك) والتي من المنتظر إطلاقها في بيئتها الطبيعية مستقبلاً .

ومن الحيوانات المتميزة التي تعيش في جبال الصحراء الشرقية ، ووادي العلاقي التيس البري ، ويُعَدُّ ملك الجبال حقًا ، وهو أيضًا معرَّض لخطر الانقراض ، إنه لا يبارح أعالي الجبال إلا مرّة واحدة في اليوم ليشرب من مياه الوديان ، أما ثعلب الرمال ، فهو - مع (الكراكال)[٥٦] ، أو (عناق الأرض) - من الحيوانات اللاحمة ، التي يشيع وجودها في الوديان . ويتعرض الكراكال ، مع حيوانات السنور الكبيرة لضغوط بيئية قاسية كما تشتهر منطقة وادي حيمور بالضباع والأرانب البرية والتي كانت تجذب الصيادين الأوربيين ، وذلك قبل أن تعلن المنطقة محمية طبيعية .

الطيور البرية

بالإضافة إلى كون مصر في مُلتقى الطُرق بين أربع مناطق جغرافية حيوية ، فهي تقع على أحد طُرق هجرة الطيور الرئيسية بالعالم . وقد سُجّل أكثر من ٤٧٠ نوعًا في مصر من بينها ١٥٠ نوعًا فقط مُتزاوجًا مُقيمًا ، ونوع واحد متوطن بالبحر الأحمر وهو «نورس عجمة» . ويطلق اسم الطيور المصرية على كل طائر يعبر الحدود المصرية في أثناء موسم الهجرة في رحلتي الخريف والربيع أو الطيور المقيمة على مدار السنة في مصر .

تنقسم الأراضي الرطبة بمصر إلى الأراضي الرطبة للبحر المتوسط وسواحل البحر الأحمر ، والأراضي الرطبة الداخلية بوادي النيل وعدّة واحات ، وهى مواطن طبيعية للطيور السابحة المُتنوّعة ، ونجد العديد من الطيور الصغيرة ، حتى في أكثر المناطق جفافـًا ، ومن بينها أبلق أسود أبيض الرأس الكلى الوجود وصقر حر (التنوع البيولوجي المصري ، الانترنت Image House) .

وقد شوهد (الأطيش البُنّى) أكثر من مرة يقتات على شواطئ بحيرة ناصر ، وهو ينتشر في الأماكن الاستوائية . ومن الأنواع البحرية التي تعتمد في غذائها كليًا على

(٥٦) الكراكال : عناق الأرض من الحيوانات الشديدة اللاحمة (أكلات اللحوم) والتي تتبع عائلة السنوريات ، وهو يعرف أيضا بأسماء عديدة أخرى منها الوشق الإفريقي ، أم ريشات ، التُفه ، الوشق الصحراوي ، وأيضًا القرقول أو مجرد العناق . ويعتبر عناق الأرض سنورًا شرسًا متوسط الحجم يصنف مع السنوريات الصغيرة إلا أنه يعتبر أثقلها وأسرعها .

الأسماك ، ومثله مثل العقاب النسارية يغطس في الماء من أجل فريسته من الأسماك ، مع الفارق أن أجنحته تكون مطوية ، كما يتضح من شكل أقدامه أنه سبّاح ماهر . وهو يبنى أعشاشه على بعض جُزر البحر الأحمر ، ويقوم الأبوان برعاية وإطعام الفراخ إلى أن تصل إلى النضوج .

ومن أكثر الطيور انتشـارًا في المنطقة الجبلية لوادي العلاقي الرخمة المصرية[٥٧] *Neophron percnopterus* ، أو أنوق ، وتعـرف أيضـاً باسم (دجـاجـة الفـرعـون) ؛ نسـر أذون[٥٨] Torgos tracheliotus وحجل الصخر[٥٩] *Ammoperdix hey* وحمام جبلي[٦٠] *Columba livia* ، وسبـد نوبى *Caprimulgus nubicus*[٦١] ، أما الوادي فـهو ملتقى أنواع عديدة من الطيور المهاجرة ، تتخذها محطة للراحة ، ولالتقاط الغذاء .

والجدول رقم (٤-٢) يضم قائمة الطيور التي شوهدت في محمية المحيط الحيوي بوادي العلاقي في العام ٢٠٠٢-٢٠٠٣ .

تقوم الدولة بتقديم الرعاية البيطرية للطيور المهاجرة (لمتوسط حوالي ١٠٠طائر سنويًا) التي تعانى من مشاكل صحية أثناء الهجرة . ويصل إلى المنطقة الآلاف من الطيور المهاجرة للحصول على الطعام والراحة ، وقد امتد تقديم الرعاية للطيور الأخرى والحيوانات .

(٥٧) **الرخمة المصرية** : يختفي الريش فقط من مقدمة الرأس ليواكب طريقة تغذيتها وذلك على الأنسجة السطحية الناعمة كالعيون واللسان والأنسجة العضلية المتساقطة من الطيور الكبيرة .

(٥٨) **نسر أذون** : تصل المسافة بين جناحي هذا الطائر إلى ٢٦٠ سم . وهو نوع ارتبط بالإلهة نخبت فى صعيد مصر وهى حامية الملك . وقد تناقصت أعداد هذا النوع على مر القرون ، واختفى من أجزاء كثيرة فى مصر . يبنى عشه الضخم عادة على شجيرة السنط .

(٥٩) **حجل الصخر** : طائر بحجم قبضة اليد ، ويصل طوله إلى حوالي ٢٤ سم ، ريشه بين الأسود والرمادي والبني ، يضع نحو من عشرين بيضة تفقس جميعًا ، ويبني عشه على الأرض ، وهو طائر مقيم في مصر في الوديان والمناطق الصخرية النائية وأيضًا الواحات المهجورة بالصحراء الشرقية وسيناء ، ويعيش في جماعات صغيرة . يجري على الأرض بسرعة كبيرة نسبيًا قبل أن يطير ، وعندما يطير يصدر بأجنحته أصوات كالصفير ويتغذي على الحشرات والبذور .

(٦٠) **الحمام الجبلي** : ويسمى في بعض المناطق الخضاري أو السوادي ، وسمي بالحمام الجبلي لأنه يفضل العيش في الجبال ، والصخور العالية وداخل الغيران . أطلق عليه محليًا اسم الخضاري لوجود اللون الأخضر في أجزاء من رقبته وأيضًا ربما للونه الداكن المتدرج من الرمادي إلى الأسود ، ولعل وجود الريش الأسود في بعض الحمام الخضاري هو مصدر تسميته بالحمام السوادي ويسمي أيضًا الحمام الخضاري حمام الدحول لتفضيله العيش داخل الدحول (المغارات الأرضية) والآبار .

(٦١) **سبد نوبي** : رتبة السبديات ويوجد منها خمسة أنواع ، والاسم العربي : سبد السهول ، وسبد مصري .

وتتميز منطقة إيجات بمجموعة من الطيور التي تقيم بالقرب من أشجار السواك Salvadore persica وهي أبو سليمان Oenanthe leucopyga ، والرخمة المصرية Neophron percnopteruss ، والحدأة السوداء Milvus migrans ، والأبلق Oenanthe oenanthe ، والقنبرة المتوجة Galerida cristata ، ومكاء ، أبو خميرة Alaemon alaudipes ، وصقر الجراد الصحراوي Falco tinnunculus ، وسنونو أبيض البطن Hirundo urbica ، والقطا Pterocles lichtensteinii ، والغراب النوحي Corvus ruficollis.

جدول (4-2): الطيور التي شوهدت في محمية المحيط الحيوي بوادي العلاقي (عن Abdel Aziz و Walmsley، 1991 والقرين من 2002-2003).

No.	الاسم اللاتيني	الاسم العربي	نمط الحياة في المحمية					
			1	2	3	4	5	6
1	*Ciconia ciconia*	لقلق أبيض	✓	✓	✓	✓	✓	✓
2	*Ciconia nigra*	لقلق أسود	✓	✓	✓	✓	✓	✓
3	*Oenanthe leucopyga*	أبو سليمان، أبو قتوت	—	✓	—	—	✓	✓
4	*Neophron percnopteruss*	رخمة مصرية أو أنوق	•	✓	✓	✓	✓	✓
5	*Milvus migrans*	حدأة سوداء	—	—	✓	✓	✓	✓
6	*Ardea cinerea*	بلشون رمادي	✓	✓	✓	✓	—	—
7	*Egretta garzetta*	بلشون أبيض، أبو بليقة، بياضي	✓	✓	✓	✓	—	—
8	*Phoenicopterus ruber*	بشروش أو نحام	✓	✓			—	—
9	*Pandion haliaetus*	مشوري، أو نسوري	•	✓			✓	✓
10	*Pterocles senegallus*	قطا أرقط	—	—	✓	✓	—	✓
11	*Phylloscopus collybita*	سكسكة شائية الصافرة، غبير	—	—	—	—	—	—
12	*Hoplopterus spinosus*	زقزاق، أبو زقر	•	✓	—	—	—	—
13	*Anas aegyptiacus*	وز مصري، أو شيقة	✓	✓	✓	—	—	—
14	*Anas querquedula*	شرشير صيفي	✓	✓	—	—	—	—
15	*Oenanthe oenanthe*	أبلق، أبو بليق	—	—	✓	✓	✓	✓
16	*Himantopus himantopus*	أبو المغازل، أبو قصبة	✓	✓	—	—	—	—
17	*Tringa totanus*	طيطوي أحمر الساق	✓	✓	✓	—	—	—
18	*Galerida cristata*	قنبرة بشوشة، قنبرة متوجة	—	—	✓	✓	✓	✓
19	*Pelecanus onocrotalus*	بجع أبيض، جمل البحر	✓	✓	—		—	—
20	*Ardea alba*	بلشون أبيض كبير	✓	✓	—		—	—
21	*Egretta gularis*	بلشون الصخر	•	✓	✓		—	—
22	*Calidris alba*	مدروان	•	✓	✓	—	—	—
23	*Passer domesticus*	عصفور دوري، عصفور الغيط	—	✓	✓	✓		
24	*Hirundo obsoleta*	سنونو الصخر الباهت	•	—	✓	✓	✓	✓
25	*Hirundo urbica*	سنونو أبيض البطن	•	—	✓	✓	✓	✓
26	*Aquila fasciatus*	عقاب سيرة كبري	•	✓	✓	✓	✓	✓
27	*Falco tinnunculus*	صقر الجراد الصحراوي	•	—	✓	✓	✓	✓
28.	*Alaemon alaudipes*	مكاء، أبو خميرة	—	—	✓	✓	✓	✓
29	*Platalea leucordia*	أبو ملعقة	✓	✓	—	—	—	—
30	*Gyps fulvus*	نسر أسمر	•	—	—		✓	✓
31	*Streptopelia senegalensis*	يمام بلدي	—	—	—	✓	✓	✓
32	*Streptopelia turtur*	ترجول أو قمري	—	✓	✓	—	—	—

33	*Anthus cervinus*	نسر أسمر، أبو قصبة، أحمر الزور	—	✓	✓	✓	—	—
34	*Motacilla alba*	أبو فصادة أسود الرايس	—	✓	✓	✓	—	—
35	*Motacilla flava*	أبو فصادة أصفر	—	✓	✓	—	—	—
36	*Cercotrichas galactotes*	البلبل الأحمر المغني	—	—	—	✓	—	—
37	*Sylvia melanocephala*	دخلة رأساء	—	—	—	✓	—	—
38	*Charadrius hiaticula*	قطقاط متوج كبير، زقزاق	—	✓	✓	—	—	—
39	*Columba livia*	حمام جبلي	—	—	—	✓	—	—
40	*Falco biarmicus*	صقر حر	*	—	—	—	✓	—
41	*Phalacrocorax carbo*	غراب البحر، أبو غطاس	✓	—	—	—	—	✓
42	*Ceryle rudis*	كريلا، صياد السمك الأبقع	✓	✓	—	—	—	—
43	*Buteo buteo, Falco vulpinus*	صقر حوام	*		—	—	—	—
44	*Luscinia svecica*	حسيني	—	✓	—	✓	—	✓
45	*Lanius excubitor*	دقناش البادية	—	✓	—	✓	—	—
46	*Grus grus*	كركي	—	—	✓	—	—	—
47	*Burhinus oedicnemus*	كروان جبلي	—	—	✓	—	—	—
48	*Egretta ibis*	أبو قردان	—	✓	✓	—	—	✓
49	*Oenanthe lugens*	أبلق حزين	—	—	—	—	—	✓
50	*Oenanthe isabellina*	أبلق أشهب	—	—	✓	✓	✓	✓
51	*Anas penelope*	صواي	✓	—	—	—	—	—
52	*Anas leucopsis*	وز أبيض الراس	✓	—	—	—	—	—
53	*Anas ferruginea*	أبو قررة	✓	✓	—	—	—	—
54	*Anas clypeata*	كيش	✓	—	—	—	—	—
55	*Anas acuta acuta*	بلبول	✓	—	—	—	—	—
56	*Bucanetes githagineus*	زمار، طبال	—	✓	✓	✓	—	—
57	*Ardea purpurea*	مالك الحزين	*	✓	✓	—	—	—
58	*Corvus ruficollis*	غراب نوحي	*	—	—	—	✓	✓
59	*Pelecanus rufescnes*	بجع رمادي	✓	✓	✓	—	—	—
60	*Ardeola ralloides*	واق أبيض	✓	✓	✓	—	—	—
61	*Childonias leucopterus*	خطاف أبيض الجناح،أبونقة	✓	—	—	—	—	—
62	*Merops apiaster*	وروار اوروبي، عصفور الجنة	—	✓	—	—	—	—
63	*Upupa epops*	هدهد	—	✓	—	—	✓	✓
64	*Ammomanes deserti*	قنبرة الصحراء، قنبرة البادية	—	—	—	—	—	—
65	*Elanus caeruleus*	حداية، رزاق	*	✓	—	✓	✓	—
66	*Oriolus oriolus*	عصفور التوت، أبو صغير	—	—	—	✓	✓	—
67	*Pterocles lichtensteinii*	قطا	—	—	✓	—	—	✓

نمط الحياة

1- مياه مفتوحة　　　2- أثل مغمور بالمياه
3- حواف المياه من الرمل والطين　　　4- أشجار الأثل
5- حشائش صحراوية وصخور مكشوفة　　　6- صحراء مفتوحة
*أنواع توجد وتطير فوق المياه المفتوحة

والجدول رقم (٤-٣) يضم الأنواع المختلفة من الطيور الشائعة مرتبة حسب الرتب، وتشير الأنواع المتواجدة بأرقامها الموجودة في الجدول رقم (٤-٣).

جدول (٤-٣): رُتب الطيور الشائعة في وادي العلاقي،

اسم الرتبة باللاتينية	اسم الرتبة بالعربية	أنواع الطيور الشائعة في وادي العلاقي مرتبة بأرقامها الموجودة في الجدول رقم (4-2)
Passeriformes	العصافير	٣- ١١- ١٥- ١٨- ٢٣- ٢٤- ٢٥- ٢٨- ٣٣- ٣٤- ٣٥- ٣٦- ٣٧- ٤٤- ٤٥- ٤٩- ٥٦- ٥٨- ٦٤- ٦٦
Charadriiformes	القطقاطيات	١٢- ١٦- ٢٢- ٣٨- ٤٧- ٦١
Anseriformes	الوزيات	١٣- ١٤- ٥١- ٥٢- ٥٣- ٥٤
Ciconiformes	اللقلقيات	١- ٢- ٦- ٢٠- ٢١- ٢٩- ٥٧- ٦٠
Acciptiformes	الحدايات	٤- ٥- ٢٠- ٢٦- ٢٧- ٣٠- ٤٠- ٤٣- ٦٥
Falconiformes	الصقوريات	٢٧- ٤٠
Columbiformes	الحماميات	٣١- ٣٢- ٣٩
Pelicaniformes	البجعيات	١٩- ٥٩
Caraciformes	الضوضويات	٤٢- ٦٣
Gruiformes	الكركيات	٤٦
Pteroclicliformes	؟؟	١٠-٦٩
Phonicopteriformes	؟؟	٨

الطيور الشائعة في الصحراء الشرقية وخاصة وادي العلاقي

تأوي البيئة الصحراوية وشبه الصحراوية كثيرًا من الطيور الجارحة والقنابر كما تأوي منطقة جبال البحر الأحمر ما يقرب من ١٥ نوعًا من الطيور البحرية والمائية ويسهل تقسيمها إلى مجموعة صغيرة طبقا لنوع الغذاء الذي تتناوله علي النحو التالي :

- الطيور أكلة الحشرات : والتي تتغذى على الديدان ـ اليرقات ـ الهوام ـ الذباب والناموس كالهدهد والوروار[٦٢] وأبو فصادة وأبو قردان وخاطف الذباب .

(٦٢) طيور الوروار : (عصفور الجنة) طيور مهاجرة ذات ألون جذابة ، وهي أخطر آفات النحل ، ويسمى «آكل النحل» ، يلتهم الطائر الواحد نحو ٧٠ نحلة في اليوم أو أكثر ، وهو يظهر في المناحل في مصر في الربيع أثناء عودته إلى أوروبا ، فيغير على المناحل في طريقه ويفتك بها . يتمتع الطائر بقوة خارقة وقدرة على المناورة مذهلة أثناء الطيران ؛ بحيث يصطاد النحلة أثناء طيرانها .

- الطيور أكلة الحبوب : كالدجاجيات ـ مثل القطا والعصافير المغردة والحباري .
- الطيور أكلة الأسماك أو البحرية : مثل البجع وأبو منجل والغطاس .
- الطيور أكلة الجيف أو الجارحة : كالصقور والنسور والعقبان .
- الطيور أكلة الفواكه والثمار : عصفور التوت .

وتضاف لهذه القائمة طيور النعام الإفريقي الشمالي North African ostrich والتي كانت منتشرة على الحدود المصرية السودانية وكانت تشاهد أسراب عديدة من النعام في وادي العلاقي حتى التسعينات من القرن العشرين ، ثم أخذ عددهم في التناقص تدريجيًا ، ولم ترصد نعامة واحدة منذ عام ١٩٩١م عندما رصدت لآخر مرة أربع نعامات ، والواضح أن النعام قد هاجر جنوبًا إلي السودان .

والنعام كان واسع الانتشار جنوب الصحراء الشرقية حتي منتصف القرن العشرين ، ويدل علي ذلك الرسومات التي حفرها المصري القديم علي الصخور في أماكن كثيرة ، وكان الفراعنة يتخذونه شعارًا لهم وكانوا يتبركون بريش النعام وبرعوا في تجارته .

٥- سكان الصحراء الشرقية المصرية

فــوق رمــالك يا بــلادي   خطــاوي تاريخــي وميــلادي
محفــورة في السهول والوادي   مــزروعــة زى الأشــجــاري

(الشاعر جمال القرشاوي)

قبائل البجا

إن المصادر التي تناولت تاريخ البجة وثقافتهم قليلة للغاية ولأن لغة البجا غير مكتوبة فإن غالبية من كتبوا عنهم من غير جلدتهم ، وقد غابت عنهم معلومات هامة جداً وأساسية في دراسة هؤلاء القوم ، ولذلك فما كتب عن البجة يتسم بالتناقض الشديد في غالبيته وأبسط دليل علي ذلك أن من نسميهم البجا لايعرفون أنفسهم بهذا الاسم ، وبالرغم من تعدد الأسماء التي عُرفوا بها علي مر تاريخهم إلا أن الاسم الذي يتمتع بسند من لغة هؤلاء القوم هو (بداويِّتْ) . لقد تناقل الناس أسماء كثيرة مثل البيجة والبجة والبُجا والبيجا والبجا وأسماء أخري كثيرة .

وتتباين أصول البجا طبقا لروايات شديدة الاختلاف بين المؤرخين وعلماء الأجناس والتي يمكن إجمالها فيما يلي :

١- من نسل (كوش بن حام) ، وأنهم فرع من فروع الشعوب الحامية الشرقية

٢- من نسل (كوش بن كنعان) ، أي أنهم ساميون نزحوا من بلاد العرب

٣- مهاجرون من آسيا

٤- من أمة الشاسو (الهكسوس)

٥- من بقيا ثمود التي كانت تعيش علي شاطئ البحر الأحمر ، أي أنهم ساميون

٦- من ذرية (سام بن نوح)

٧- عنصر من عناصر قدماء المصريين

٨- صنف من الحبشة

٩- قبائل عربية ولكنهم يتكلمون اللغة البجاوية

١٠- مجموعة من القبائل المتجولة والتي تحتل منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد المنطقة الواقعة بين البحر الأحمر ونهر عطبرة ونهر النيل

١١- البجا الأصليون لا وجود لهم الآن.

وبالنسبة لأصل لغة البجا فقد اختلف فيها الرأي فهي لغة حامية (الهجة كوشية متفرعة من أصل حامي)، أو من فصيلة اللغات الحامية القوقازية مثل اللغات المصرية والنوبية والصومالية والدنكلية)، أو لغة (مروي) القديمة.

ومن الجدير بالذكر أنه بالرغم مما طرأ علي اللغة من تغيرات بمرور الزمن إلا أنها قد حافظت علي قاموسها الأصلي في أسمائها للألوان ودورة الحياة وفي أسماء القرابة وأسماء الحيوانات والنباتات والطيور والأعداد . . . الخ.

وفي اللغة البجاوية شعراء كثيرون، كما توجد حكم وأمثال تستعمل عند اجتماع الرؤساء والشيوخ، وربما كان أكثر كلام الشيوخ باقتباس أبيات شعرية أو قول مأثور عن بعض مصلحي البجة؛ والشعر البجاوي يتألف من أربع شطرات موزونة ولا يتعداها. وإذا أراد الشاعر الإطالة فلا يلتزم القافية إلا في كل بيتين أو أربع شطرات. وبعض الشعراء في قبائل بني عامر والحباب ينظمون القصائد الطويلة ويلتزمون في كل شطرة منها الروي[٦٣] والقافية وقد تبلغ القصيدة سبعين بيتاً. وأكثر الأشعار في الغزل والحماسة ومدح الشجعان البجة السابقين.

والمشهور أنهم أقوام قد انتقلوا من الوثنية إلى الإسلام، وقد ورد أنهم كانوا يعبدون الأوثان، وقيل عنهم (وليس لهم شريعة إنما كانوا يعبدون صنماً يسمونه "حجاجوا").

وبعض المصادر تظن أن بعض سكان المنطقة قد اعتنقوا المسيحية، وقد قيل عنهم إنهم كانوا مسيحيين في القرن السادس، ولكنهم أسلموا منذ القرن الثالث عشر الميلادي. والمشهور عبر تاريخهم، أنهم قد عبدوا آلهة قدماء المصريين، وقد كانوا يتعبدون في معبد (الفنتين) في أسوان حتى عهد الدولة الرومانية في مصر.

(٦٣) الروي: هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتسمى به كالنونية أو بائية أو لامية أو تائية وهكذا، ونستطيع تسميته بقافية القصيدة.

ومن المرجح أنهم قد انتقلوا من الوثنية للإسلام مباشرة عبر اعتناقهم للإسلام الصوفي. وفيما يبدو فإن ما رغّب البداويت، كغيرهم من وثنيي أقوام السودان، في الإسلام الصوفي هو أن الصوفية أكثر إقناعاً وأقرب إلى وجدان هؤلاء لأنها أقل تشدداً وأكثر تسامحاً من بقية الفرق الإسلامية، واعتنق البداويت الإسلام الصوفي الذي صبغ حياتهم بكل عمق.

تاريخهم

هناك روايات مباشرة في بعض المصادر، كما قد وردت إشارات أو صفات ذات علاقة بهم نوجزها فيما يلي:

١- عاشوا في المنطقة منذ ١٠٠٠٠ سنة

٢- استوطنوا المنطقة منذ ما يزيد على الأربعة آلاف سنة قبل الميلاد

٣- ورد اسمهم (*BUKA*) في الآثار الفرعونية القديمة على عهد تحتمس الثالث.

٤- ورد اسمهم على آثار مملكة اكسوم[٦٤] على هيئة :(*BUGAIAT*)

٥- أورد بعضهم عن مجموعة عاشت في المنطقة سماها (تروقلوديته)[٦٥]، بعض الصفات ذات العلاقة المباشرة ببعض عادات البجة اليوم.

كان للبجة الكثير من الحروب مع جيرانهم من النوبة والفراعنة، وقد حاربوا كل الدول التي حكمت مصر: البطالسة والرومان والدولة الإسلامية. وكانت العلاقة بينهم وبين مملكة اكسوم، جنوبي منطقتهم، علاقة عداء، وجوارهم لم يكن جواراً آمنا فقد ضايقوا دولة اكسوم كثيراً وكان للأكسوميين أهداف في المنطقة. وكان بينهم وبين النوبة مواقع عديدة سجلت على جدران معبد (كلابشة). وفي عام ٨٣١م كانت لهم حروب مشهورة مع والي أسوان من قبل الدولة العباسية انتهت بهزيمتهم والاتفاق على هدنة بينهم.

(٦٤) أكسوم: مدينة في شرق إقليم تجراي بإثيوبيا على سفح جبال عدوة، وكانت مقر مملكة أكسوم من القرن الأول حتى القرن الثاني عشر. وهي مقر الكنيسة الحبشية، ويقدسها الإثيوبيون المسيحيون.

(٦٥) تروقلوديته: ساكنو الكهوف، يقول المؤرخ استرابو (٥٤ ق م- ٢٤ ب م) إن الأثيوبيين فوق أسوان أربع قبائل، وذكر من ضمنها مجموعة أسماها (تروقلوديت troglodyte) ومن معانيها ساكني الكهوف.

قبائلهم

رغمًا عن أنه لا توجد إحصاءات دقيقة حول تعدادهم، إلا أنه وحسب المصادر التي تناولت ذلك، فإن تعدادهم يتراوح ما بين مليونين وثلاث. وتتفرع البداويت لعدة قبائل منها عشر قبائل رئيسية: (هَدَنْدُو)، (أَمَارْأَر)، (أَتْمَن)، (كميلاب)، (أبابدة) أو عبابده، (بشارِ) أو بشاريين، (مَلْهِيتْ كِنابْ)، (هَلَنْق) أو حلنقة، (ارْتيق)، (بني عامر)، (شَرَفْ)، (جعافرة)، و(سَوَاكِنِ) أو «سواكنيه»، أهل سواكن من البداويت. وقبائل العبابدة والبشارية هي القبائل التي تسكن الصحراء الشرقية المصرية (الطحلاوي، ٢٠٠٨).

وأكد كثير من المؤرخين العرب أن البجة ينحدرون من أصول عربية تكونت نتيجة لتلك الهجرات الضاربة في القدم من الجزيرة العربية وأنهم اكتسبوا سماتًا وأشكالاً لتزاوجهم وامتزاجهم بالأجناس التي وجدوها بالسودان الشرقي وإرتريا ثم غلبوا على تلك الأجناس بكثافة هجراتهم وسيطروا على تلك الديار، وذهب البعض أن إطلاق كلمة البجة لا يعني نسبًا لقومية بعينها أو عرق أو عنصر ولكنه يعني نمطًا مميزًا، وأن القبائل التي تسكن إقليم البجة اليوم كثيرة وكل قبيلة تضم عددًا من العمديات وتحت كل عمدية أعداد من الشيوخ والأعيان. ومن تلك القبائل البني عامر والهدندوة والأمرار والبشاريين ... الخ.

يتركز وجود البشارية في الجزء العلوي من وادي العلاقي حتى حدود السودان، وهم أيضًا ينقسمون إلي العشائر الآتية:

١- الحلفاو أو كما يطلق عليهم (الفاو) يقطنون في منطقة الدقين.

٢- عشيرة الهدلاب وينتشرون في مناطق عدة من الوادي كخشم منتكوان وخشم العجايب وخشم الكاموتيت.

٣- منطقة خشم فرادة تسكنها عشيرة كربلاب.

أما العبابدة فيتركز وجودهم في الجزء السفلي من الوادي حول شواطئ بحيرة ناصر للاستفادة منها كمصدر للمياه. وينقسم العبابدة إلي عدة عشائر:

١. الحميداب[٦٦] يقيمون في منطقة أم عشيرة،

٢. السديناب في منطقة أبو همبول،

٣. الفشيجاب في وادي قليب (قوليب).

أما العموراب وهي العشيرة البشارية الوحيدة التي توجد في أسفل الوادي فتعيش في منطقة السديناب.

يتكون عبابدة العلاقي من ٢٠٠ شخص، أما البشارية فهم من عشيرة ملك ولهم ١٢بيتًا فقط كانوا يسكنون في منطقة الدكة علي البر الغربي للنيل ولكنهم انتقلوا إلي العلاقي بعد نزاع مع أهل الدكّة. وأغلب العبابدة والبشارية يسكنون النجوع الشمالية في عمدية العلاقي مثل نجع حياتي ونجع كوبان، وهم يمتلكون أعدادًا كبيرة من الإبل تقدر بحوالي ١٢٠ جملاً، ويرتحلون في فصل الشتاء إلي المراعي الداخلية من أودية وآبار القليب وأحيمر والمُرّة وأبخاب وتلعت عابد والطويل إلي داخل السودان.

يبلغ عدد سكان عُمُدية العلاقى الجديدة ١٠٦٦ شخصًا وهم عبارة عن خليط من مجموعات مختلفة ومؤسسة علي أنشطة اقتصادية تتكون من «الكنوز»[٦٧] السكان الأصليين وأصحاب الأراضي الزراعية والبيوت والتجارة فضلاً عن العمالة التقليدية من خارج النوبة ويسكنون في النجوع القريبة لمصب العلاقي وجنوبه ابتداء من نجع حسين كوليك حتى نجع جامع كوليك آخر نجوع العلاقي جنوبًا، ثم الصعايدة الذين يعملون في زراعة الأراضي الزراعية في صورة أجراء من أصحاب الأرض، وهم يشكّلون أحدث المجموعات السكانية في العلاقي ويسكنون أرض المشروع ونجع خور العلاقي التي بها المحطة النهرية ثم مجموعتي العبابدة والبشارية.

(٦٦) (آب): مقطع نوبي مألوف يُضاف إلي الأسماء، ويقابله (آد) في الأفعال وهذه الإضافات تُعطي دلالات معينة للمفردة. وعلي سبيل المثال (ولياب) الآتية من الاسم ولي / ولباب وأحمد / أحمداب، وعلي / علياب، والعموراب. وبذات النهج والسياق نجد أسماء بعض المناطق المنتهية بالمقطع (آب) حماداب، دريشاب، عزيزاب ... الخ.

(٦٧) الكنوز: طائفة امتزجت فيها الدماء العربية من بني ربيعة وغيرها بدماء النوبة، ويرجع اسمها إلي «كنز الدولة»، الاسم الذي أطلقه أحمد بن طولون علي كبيرهم.

نشاطهم

ورغمًا عن أن البجة يجاورون البحر ، غير أنهم لعلهم الشعب الوحيد علي وجه الأرض الذي يسكن على شاطئ البحر ولم يشتغل بالملاحة إلا نادرًا . ويرد عنهم أنهم (لا يحبون البحر ولا يتفاعلون معه في أي صورة من الصور) . وهم حتى لا يصطادون السمك ولا يأكلونه ولا يعرفون حتى العوم .

لعبت البجة دورًا هامًا في تاريخ السودان الشرقي والمصري الجنوبي الشرقي عبر القرون ، والشرق هو مدخل السودان التاريخي ، وقد ذكر بعض المؤرخين أن البجة من الشعوب الحامية والتي استوطنت منذ أكثر من أربعة آلاف سنة المنطقة الممتدة من أسوان شمالاً بمحاذاة النيل نحو سواحل البحر الأحمر وحتى مَصَوّع[٦٨] جنوبًا وقد جاء ذكرهم كثيرًا في لوحات المصريين القدماء وجاء ذكرهم أيضًا عند الرومان القدماء .

كان للبجة أثر وتأثير واتصال بكل تلك الحضارات القديمة وقد حسبت بلادهم قديمًا أنها بلاد الذهب والزمرد والجواهر والبخور والعاج والتوابل وغيرها من الثروات ، وقد ذهب كثير من المؤرخين أن الحكم على البجة بأنهم حاميون ليس له سند تاريخي ولايتفق مع الحقائق والوقائع التاريخية كما لا يتوافق مع طبيعة ونمط حياة البجة ولا مع سحناتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم .

والبجة شعب شديد الذكاء واسع الحيلة ، وشعورهم الكثيفة التي تغطي رؤوسهم تغطي في نفس الوقت أذهانًا متوقدة ، ولكنها غير مستغلة ، ويكفي أن لغتهم الغنية بالقواعد ومفردات الخيال دليل على سرعة البديهة وتنم عن ثقافة متكاملة وحضارة ناضجة . فهم يتميزون بقدرة عالية لسرد القصص والأساطير . وتتصف لغتهم بذخيرة ضخمة من الفصاحة والبلاغة ، وتتجلى قدراتها أثناء النقاش والحديث اللذين يدوران في أوقات الفراغ تحت ظلال الأشجار ، وحول الآبار أو حول فناجين القهوة (الجبنة) في الأمسيات .

---

(٦٨) مَصَوّع : (*Massawa*) وتسمى أيضا باضع ، وهي مدينة وميناء إريتريا الأول على البحر الأحمر . وتعتبر ذات أهمية كبيرة للعديد من الدول ، وقد احتلتها الدولة العثمانية ومصر وإيطاليا والمملكة المتحدة وأخيرًا إثيوبيا حتى نالت استقلالها سنة ١٩٩١ .

يعتمد بدو وادي العلاقي في حياتهم علي الموارد الطبيعية الموجودة في الوادي ، فرغم قلتها إلا أنهم يتفننون في تطويع هذه الموارد بما يتناسب مع احتياجاتهم ، فالأشجار الجافة علي سبيل المثال يقومون بحرقها ودفنها تحت الرمال لفترة وذلك لعمل الفحم والذي له شهرة كبيرة في أسوان لما يتميز به من سرعة وقوة الاشتعال .

ولكن يبقي الرعي هو النشاط الذي يعتمد عليه المجتمع البدوي بشكل أساسي في حياتهم ، فهم يستغلون النباتات الخضراء الحولية[٦٩] منها والدائمة في رعي الأغنام والماعز والإبل .

ويقوم النظام الاقتصادي في المجتمع البدوي علي عدة عوامل مرتبة تبعا لأهميتها علي النحو التالي :

١ . رعي الأغنام والماعز والإبل .

٢ . تجارة الفحم .

٣ . تجميع النباتات الطبية والتجارة بها .

٤ . الزراعات الصغيرة .

هناك واد آخر يرفد وادي العلاقي في اتجاه عام من الجنوب نحو الشمال يسمي وادي جُبْجُبَه (قبقبة) وهو طريق مهم بين النوبة وثنية النيل عند بربر وأبو حمد وجزيرة مجراب (مقرات) في شمال السودان بالإضافة إلي طريق مماثل بين شمال السودان والنوبة عبر طريق وادي كروسكو الذي يوازي جبجبه من الغرب منه ، وقد انتظمت تجارة القوافل عبر طريق وادي العلاقى كمركز تجميع للسلع المدارية من السودان الأوسط الجنوبي ولا يزال طريق السودان مطروقًا حتى الآن برغم انتهاء تجارة القوافل .

تشتهر منطقة العلاقي بكثرة الأولياء ذوي الشهرة الكبيرة في النوبة مثل قبة (**الشيخ عبد الله يوسف**) ، ومزار (**الست قباب**) ، ومزار (**سيدي شرف**) ، ولهم موالد سنوية تبدأ

---

(٦٩) نباتات حولية : تنمو لفترات قصيرة بعد سقوط الأمطار .

من كهف شعيبات إلي الكرم ويأتي إليها كثير من سكان النوبة ومن مسافات بعيدة يحتفلون ويمكثون فيها لعدة أيام.

ومن القصص العجيبة التي يرددها الناس أنه عند انتقال المساكن مع تعلية الخزان الثانية عام ١٩٣٣م كانت هناك شجرة سنط قديمة في أراضي نجوع العلاقي القديمة وقام الأهالي بقطعها ونقلوا جزءاً منها علي مركب وباقي السنط أخذه الناس إلي بيوتهم. حدثت بعد ذلك أشياء غريبة إذ غرقت المركب التي كانت تحمل السنط واحترقت كل البيوت التي بها أجزاء من السنط، فشاع بين الناس أنها إشارات خفية من ولي من الأولياء فأخذوا في حفر الأرض حول مكان شجرة السنط فوجدوا جثمان رجل وبجواره سيدة وطفل فأخذ الناس جثمان الرجل وبنو عليه قبراً وقبة وهي المعروفة بقبة الشيخ عبد الله يوسف التي أصبحت مزاراً هاماً في بلاد النوبة وتضيف بعض الروايات أن جثمان الرجل للشيخ شرف وأما جثمان السيدة والطفل فقد تفككا إلي مجموعة عظام بعد الكشف عنهما وتعرضا للهواء بعكس جثمان الرجل الذي ظل كما هو لم يتغير.

أما أهل العلاقي الجديدة بعد الهجرة في النوبة الجديدة فقد جاءت ومعها تركيبة مختلفة من السكان وامتلك كل المهجرين منازل في العلاقي الجديدة دون تحديد لمجموعة علي مجموعة، ولكن العلاقي اليوم لم يعد سوى سهل صغير من دروب العلاقي القديمة واختفت أشياء كانت تدل على عز وجمال وادي العلاقي القديم، كما قلت معظم مظاهر الاقتصاد المنتعش والذي كان السمة الرائدة في العلاقي القديم. ولكن بعد الهجرة وغرق بلاد النوبة ظلت آثار وادي العلاقي باقية إلي الآن، وفيها الآن محمية طبيعية هامة بها الغزلان والظبي النوبي وبعض الطيور النادرة والقليلة في العالم.

يمكن أن تكون إستراتيجية الإعاشة في منطقتي وادي العلاقي ووادي كوروسكو قد دعمت بالتجارة بين مصر ما قبل الأسرية (منطقة الشلال الأول)، ومن الجانب الثاني السكان الرعيين في صحراء مصر الشرقية والصحراء الغربية (واحتمالاً مجموعات رعوية في الشلال الثاني).

ويدل وجود كميات كبيرة من جلود الأبقار في المقابر، بالإضافة إلي وجود روث الأبقار في بعض أنواع الفخار في منطقة الشلال، علي الارتباط بنمط معيشي زراعي رعوي مختلف بمجموعات رعوية مربية للأبقار تعيش في الصحارى المجاورة (بعض فخار المجموعة الأولي وجد في صحراء النوبة الشرقية)[٧٠].

ومن المرجح أن تكون التجارة قد كونت عنصراً هاماً في خلق قطبية ثنائية بين مصر العليا والنوبة السفلى (خاصة بين مصر العليا والنوبة السفلى حتى دكّة وبقية المنطقة). وكان المصريون يصدرون الخمور، والجعة، والجبن وغيرها، في حين صدّر النوبيون والمجموعات الرعوية الصحراوية جلود الحيوانات، والأبقار، والعاج والذهب.

والكثير من قبائل وادي العلاقي وخاصة الذين يعيشون في الأجزاء العليا من الوادي يغلب عليها الطابع البدوي في حين أن أولئك الذين يعيشون بجوار بحيرة ناصر أو في المنطقة السفلي من الوادي فهم أكثر استقراراً. وتعتبر الكثافة السكانية في وادي العلاقي وفروعه حالة فريدة من نوعها في مصر، ففي الوقت الذي تعيش فيه قبائل العبابدة العربية الأصل قريبًا من وادي النيل تجد أن قبائل البشارية يعيشون قريبًا من البحر الأحمر وأعلي وادي العلاقي، أما المنطقة الوسطي شديدة الجفاف فتكاد تكون خالية من السكان.

يعيش العبابدة والقليل من البشارية الذين يستوطنون أسفل الوادي في تجمعات متقاربة ويعيش في كل تجمع مجموعة من الأفراد يتراوح عددها من ١٠ إلي ٣٠ فردًا، وهم يعيشون في خيام يسهل عليهم فكها وتركيبها، وهي تتكون من خشب الأثل (*Tamarix*) وتغطي بسعف النخيل وجلود الماعز وصوف الخراف، وقد استجد حديثًا في حياتهم استخدام الأبسطة المصنوعة من البلاستيك.

---

(٧٠) المجموعة الحضارية الأولي: لا يُعرف شيئ عن السودان علي وجه التحقيق ما بين عامي ٣٨٠٠ و٣١٠٠ ق. م، عندما ازدهرت في مصر حضارات ما قبل الأُسر. ولكن وُجدت عدة قبور في أماكن مختلفة في بلاد النوبة تمثل ثقافة لم تُعرف هناك من قبل يستدق تأريخها عام ٣١٠٠ ق. م، وسماها الذين قاموا باكتشافها «حضارة المجموعة الأولي»، ومن الأواني الفخارية والأدوات النحاسية التي وُجدت في هذه القبور التي استوردت من مصر، يتضح أنها تعاصر الأُسر المصرية الأولي، وينتمي منشئو هذه الحضارة إلي جنس البحر الأبيض المتوسط. ويقول بعض العلماء أن حضارة أُخري تُعرف «بحضارة المجموعة الثانية» تلت ثقافة المجموعة الأولي وأغلب الظن أن العلاقات السياسية بين مصر والسودان بدأت في عهدهم أما في عهد الأُسرة السادسة فقد يُثْبت النقوش أنه بدأت صفحة جديدة من تاريخ العلاقات التجارية بين السودان ومصر.

ويعتمد اختيار مكان الإقامة علي عدة عناصر أهمها وجود الماء والفحم الخشبي والمرعي والقرب من الأقارب ، وهم يخزنون العلف إما من البيئة المحيطة أو يشترونه من مكان آخر أو يصحبون حيواناتهم إلي المرعي .

ومن أهم الأمور التي يحرص عليها العبابدة والبشارية المشاركة في الأسواق التجارية وخدمة العابرين وتقديم الخدمات للشركات المختلفة التي تعمل بالجوار وهم يسوّقون بمهارة منتجاتهم المحلية وخاصة الفحم النباتي الذي تشتهر به المنطقة .

وقد اكتشفت بعثة من علماء الآثار الفرنسيين عام ١٩٩٥م علامات تدل علي نشاط إنساني في العصر الحجري الحديث[٧١] عبارة عن مقابر ومستوطنات ورسومات تدل علي أن البدو كانوا يقيمون هنا منذ زمن طويل وأن المنطقة كانت أكثر من مجرد نقطة التقاء أو مركزًا للمحاجر ومناجم الذهب ، كما اكتشفت البعثة بقايا نشاط تعديني للذهب في عصر الفتح الإسلامي .

(٧١) العصر الحجري الحديث : يبدأ من العام ١٠٠٠٠ حتى العام ٤٠٠٠ قبل الميلاد ، وفيه استقر الإنسان حيث دجّن الحيوانات وعمل في الزراعة .

٦- سكان وادي العلاقي

أحبك يا أجمل عيون غزلان　　يا شمس المحبة وقمر الزمان

(الشاعر جمال القرشاوي)

تمتد الصحراء الشرقية أو الصحراء العربية بين وادي النيل غربًا وساحل البحر الأحمر شرقًا ، ومن الخط الوهمي الواصل بين القاهرة والسويس شمالاً إلى خط الحدود السياسية مع السودان جنوبًا . والإقليم هضبة صحراوية الطبيعة ، رملية التكوين يرتفع سطحها بشكل تدريجي بالاتجاه من الغرب حيث نهر النيل ، إلى الشرق حيث توجد جبال البحر الأحمر في مسافة يتراوح عرضها بين ٨٠ و١٣٠كم ويخترقها عدد من التلال الصخرية والأودية الجافة التي تنحدر بشكل تدريجي صوب نهر النيل مثل العلاقي ، قنا ، الحمامات ، أسيوط ، حُوف ، كما توجد بها الأودية التي تنحدر بشكل فجائي وحاد صوب البحر الأحمر في المسافة الممتدة بين رأس خليج السويس شمالاً ونقطة الحدود السياسية بين مصر والسودان جنوبًا (تمتد فوق السفوح الشرقية لجبال البحر الأحمر) ، مثل أودية دبور ، رحبة ، شاب ، دعيب . وقد تكونت هذه الأودية بفعل مياه السيول القديمة .

وتُعَدُّ مرتفعات البحر الأحمر أهم الظواهر التضاريسية وأميزها في هذا الإقليم . وتتألف من صخور نارية ومتحولة قديمة ، وكتل جبلية منفصلة ويبرز من بعضها قمم جبلية شبه منعزلة أعلاها جبل الشايب (٢١٨٢م) فوق مستوى سطح البحر ، وجبل حماطة (١٩٧٥م) ، وجبل عِلبة (١٤٣٥م) .

والإمكانات الزراعية في وادي العلاقي محدودة جدًا لندرة المياه ، باستثناء المناطق القريبة من بحيرة ناصر ، وتتمثل القيمة الاقتصادية لهذا الإقليم في تعدد إمكاناته السياحية في أجزاء متفرقة .

والعوامل الرئيسية التي تحدد محل الإقامة هي القرب من الماء ، والوقود ، والكلأ ، والقرب من الأقارب والأهل ، وسهولة الوصول إلي الخدمات الاجتماعية ، وسوق العمل ، وفرص التجارة . وتعتبر تجارة الفحم النباتي وخدمة قوافل الجمال (الدابوكة ***Dabuka***) من أهم الأنشطة التي يحرص البدوي علي المشاركة والمساهمة فيها .

ونظرا لغمر مساحة كبيرة من الأراضي بمياه بحيرة ناصر بسرعة كبيرة وغير متوقعة فإنه يصعب تحديد نمط حياة بيئي اجتماعي واحد لبدو وادي العلاقي ، فمثلا في أواخر عام ١٩٩٧ م غُمرت جميع أشجار الأثل مما نشأ عنه ظروف لم يسبق للبدو أن مرّوا بها من قبل واضطر عدد كبير منهم إلي مغادرة المنطقة بأكملها .

العبابدة

لقد عُرِفَ بدو العبابدة منذ قديم الأزل بأنهم رعاة بارعون ومربو جمال ومرشدون للقوافل التجارية وقوافل الحجاج ، مع ذلك فهم لا يحملون بوصلات أو يستدلون بمواقع النجوم بل يرشدهم اتجاه الرياح والشمس . وعندهم مهارة غير اعتيادية في تقفي الآثار في الصحراء ، حتى أن أطفال العبابدة يكتسبون القدرة على تمييز آثار حوافر كل فرد من حيوانات عائلتهم . ومن المعروف أن البريطانيين قد استعانوا بأحد الفروع من قبيلة العبابدة في حربهم ضد الدراويش في السودان وذلك لمهارتهم الفائقة في تقفي الأثر .

كان العبابدة في الماضي ، عندما ينزلون للمدينة أو يقابلون أناس من الحضر ، فإنهم يرتدون منديلاً على الأنف كقناع ليقيهم من تلوث الهواء في المدينة ، أما الآن فقد تغيرت صورة الحياة عند البدو وكان لتمهيد الطرق تأثير كبير علي نمط الحياة ، فقد كثر الزوار والأغراب حاملين معهم عادات وثقافات جديدة حتى أن أبناء القبيلة اشتغلوا بالسياسة وللحزب الوطني الحاكم مقر بالمنطقة وهناك الكثير من أبناء القبيلة الآن من يسكنون الحضر وشبابهم يؤدون الخدمة العسكرية في الجيش المصري .

وهم يؤدون الصلاة في مصلية تقام في العراء لها عمدان من الخشب وسقف من البوص والخشب مكسو من أسفل بجلود الماعز .

تعيش ثلاث بطون من العبابدة أسفل وادي العلاقي وهم : الحاميداب ، والساديناب والفاشيجاب بالإضافة إلي بعض اليوسيفاب والأماراب الذين يقضون بعض الوقت في الوادي والثلاث مجموعات تعيش في مناطق جغرافية محددة في وادي العلاقي كما هو متفق عليه بين القبائل ، فقبيلة الحاميداب تسكن أسفل وادي أم عشيرة حيث يتقابل مع وادي العلاقي ، وتعيش الفاشيجاب علي بعد ٢٠كم جنوب شرق أسفل وادي قليب حيث يلتقي أيضًا مع وادي العلاقي ، أما الساديناب فتتمركز في منطقة تقع بين

الاثنتين ، حوالي ٥-٦ كم جنوب شرق تجمع الحاميداب . وقد قُدر عدد السكان من هذه المجموعات بحوالي ٢٠٠ إلي ٢٥٠ فردًا عام ١٩٩٠ (Briggs et al., *1993*).

مساكن العبابدة عبارة عن تجمعات صغيرة تتراوح بين ٦-١٠ بيتًا ، وفي الوقت الذي ينتشر فيه أهل البيت من الحاميداب والساديناب في وادي العلاقي في أماكن معزولة فإن مساكن الفاشيجاب الأكبر فهي مبعثرة في أماكن متفرقة تبعد عن بعضها كيلومتر واحد أو اثنان .

يسمي بيت العبابدة التقليدي البرش (بيت البيبرش) ، وهو عبارة عن كوخ يمكن فكه وتركيبه ونقله من مكان إلي آخر دون مشقة ، والبرش ما هو إلا حصيرة مصنوعة من أوراق نخيل الدوم *Hyphaene thebaica* تغطي هيكلاً من الخشب علي شكل قبة . وفي السنوات الأخيرة استبدل السكان الخيش بالبرش نظرًا لخفة وزنه وقوة مقاومته للتقلبات الجوية ، وقد زودت هيئة السد العالي الأهالي بعض الخيام . وتوجد أيضًا في تجمعات العبابدة ما يسمي **بالعفشة** ، وهي عبارة عن هيكل بسيط مكعب الشكل يغطيه الحصير كسقف ، ويستخدم كمكان يستظلون فيه ، ويحفظون فيه متعلقاتهم بعيدًا عن الماشية .

وسكان وادي العلاقي يتحركون كثيرًا في المواسم إلي وديان وتلال أخري سعيًا وراء الكلأ والفحم الخشبي ولكنهم يعودون مرة أخري إلي وادي العلاقي . وكثير من العبابدة والبشارية يقومون بزيارة أقاربهم المقيمين في الحضر في أسوان والشلاتين وبعض المدن الأخرى .

ومازال البعض من العبابدة يعيشون حياة بدوية ، في تنقل دائم بحثـًا عن الماء والمرعى لدوابهم ، ويجمعون النباتات للطعام وصناعة الأدوية والتجارة ، ويقومون بمقايضة جمالهم بالبضائع ومن بينها الذرة والفول والبلح والكتان والجلد بالإضافة إلى السلع الأخرى .

البشارية

يقال أن البشاريين الذين يشغلون الأرض من برنيس جنوبًا إلى منطقة بورسودان ينحدرون من احدي قبائل حام القديمة ، وإنهم تواجدوا بهذه المنطقة منذ أكثر من ٤٠٠٠ سنة ، تربطهم صلة قوية ببيئتهم تشعرهم بالمسئولية تجاهها ، وذلك يرجع إلى

تراثهم القديم . وتوضح معتقداتهم أصولهم ، حيث يعتقدون أنهم من نسل بشير الذي كان له حفيد أو أحد أبناء أحفاده يدعى كوكا ، وكان كوكا رجلاً تقيًا تزوج من امرأتين هما أم على وأم ناجى ، وبمرور الزمن أنجبت كلتاهما ، حيث أصبحت أم ناجى لـ لنباتات وحيوانات جبل علبة بينما أم على أصبحت أم البشاريين . وقرر كوكا أخيراً إنهاء حياته ، فحوّل نفسه إلى جزء من الجبل حتى يستطيع أن يحرس ويحمى أبناءه . وهذه القصة توضح الصلة العميقة التي تربط البشاريين ببيئتهم وشعورهم بالمسئولية نحوها .

تعيش قبائل البشارية أعلي وادي العلاقي بالقرب من حدود السودان الشقيق، ويعتمد النظام الاقتصادي علي تجارة الماشية وإنتاج الفحم النباتي وجمع النباتات الطبية ، بالإضافة إلي الزراعة الموسمية لمساحات صغيرة وخدمة الدابوكا (قوافل الإبل القادمة من السودان) .

ويشترك العبابدة مع البشاريين في اعتقادهم الغريب أن الحيوانات التي يُضحى بها عند القبور تتحول إلى غزلان أو تيتل تعيش في حمى الوالي (*Murray, 1935*) .

فقد البشاريون اليوم جزءاً كبيراً من أراضى رعيهم بعد بناء السد العالي بأسوان ، واستقر الكثير منهم على جانبي خور العلاقى ، ويعيشون أيضًا بالقرب من موطنهم الأصلي على جبل علبة وحوله .

يعيش العبابدة والبشارية في معسكرات تتكون من عائلات كل مجموعة منها حوالي ١٠-٣٠ شخصًا ، ويعيشون في خيام يمكن جمعها وفكها بسهولة وهي مصنوعة من خشب الأثل المغطى بسعف النخيل وصوف الماعز والخراف (شملة) ، ويستخدمون الحصر المصنوعة من البلاستيك والتي اكتسبت شهرة شعبية كبيرة بين البدو .

وقد اتفق المؤرخون والنسّابون أن العبابدة قبائل عربية من نسل عبد الله بن الزبير ، رضي الله عنه ، أما البشارية فيعتقدون أنهم بطن من بطون البجا الذين يعيشون في أقصى جنوب البلاد وتمتد إقامتهم حتى إريتريا ، وهم يعتبرون من أنقى الشعوب الحامية في إفريقيا في الوقت الحاضر ، وقد تسربت إليهم بعد انتشار الإسلام بعض المؤثرات السامية التي جاءت عن طريق العرب الذين وصلوا منطقتهم ونقلوا إليهم الدين الإسلامي ، وهم جميعًا مسلمون في الوقت الحاضر .

واللغة التي يتكلم بها البجا هي (النوبيداوية) وهي لغة حامية إلا أن اللغة العربية أخذت تنتشر بينهم بسرعة وهم يضمون عدة مجموعات قبلية ، ويميل بعض علماء الأجناس إلي ضم العبابدة إلي قبائل البجا ، إلا أن هذا الرأي لا يحظي بتأييد كبير من المؤرخين .

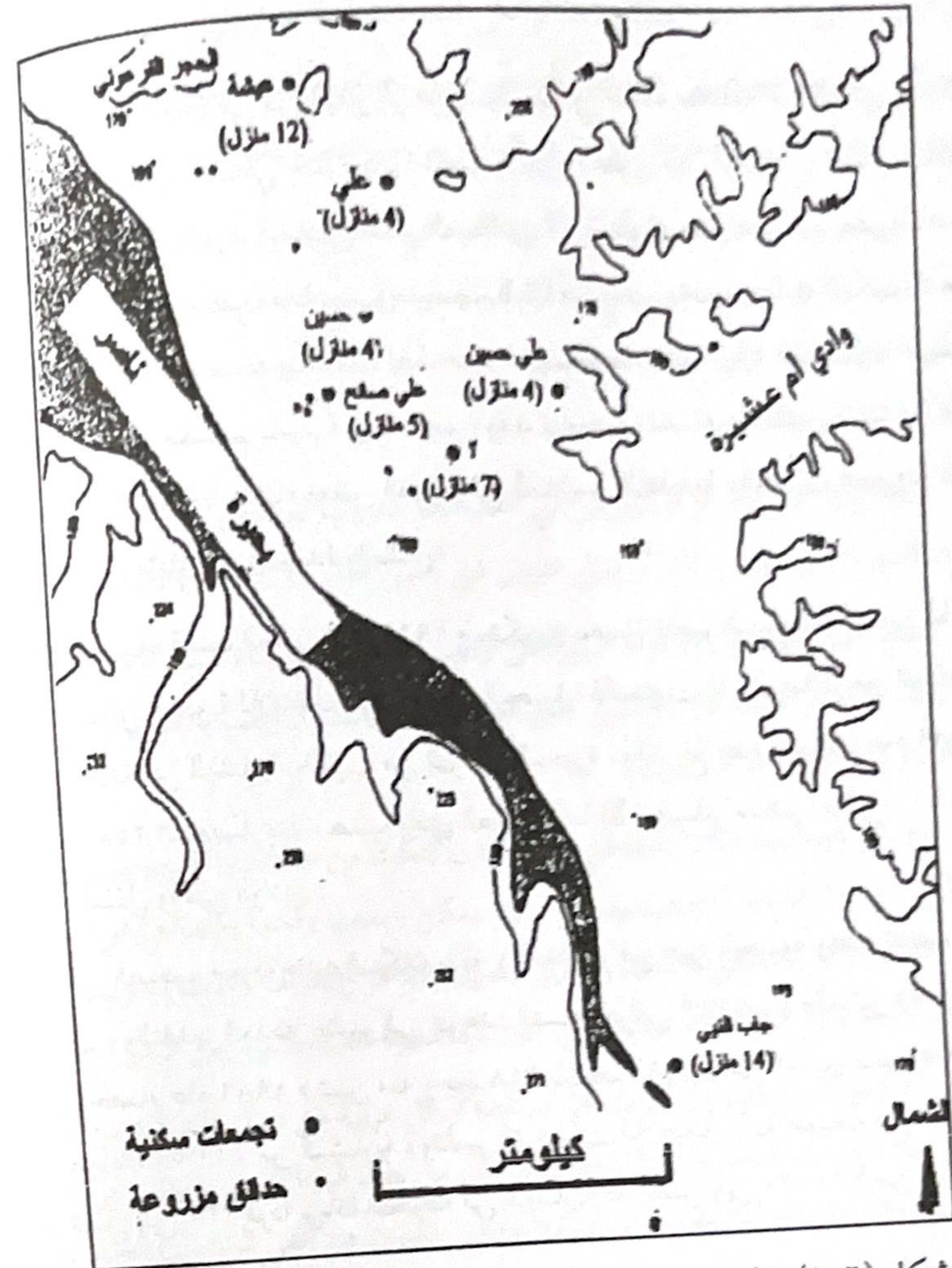
وسكان وادي العلاقي من البدو الرحل ينتشرون في أنحاء مختلفة من الوادي ويتركز وجودهم في الجزء السفلي عند بحيرة ناصر والجزء العلوي من الوادي . وتعيش قبائل العبابدة منذ حوالي القرن السادس عشر الميلادي ، ويقيمون بجوار شواطئ بحيرة ناصر حيث يتوافر الماء وينقلون متاعهم وخيامهم طبقا لتذبذب منسوب مياه البحيرة ، أما القبائل البشارية - والذين يتكلمون لغة خاصة بهم بجانب العربية- فيفضلون العيش أعلي الوادي إلا بعضهم يقيم قريبًا منهم ، وقد تزاوجوا وتصاهروا واقتربوا كثيراً في العادات والتقاليد ، وباستثناء بعض الفروق في الملابس التقليدية والعادات الموروثة فإن الاندماج يتم حثيثًا بين العبابدة والبشارية .

كان إنشاء السد العالي عام ١٩٦٩ م وتكوين بحيرة ناصر السبب الرئيسي الذي جذب القبائل البدوية للانتقال إلي شواطئ البحيرة ، فاستقرت ثلاث قبائل من العبابدة وقبيلة واحدة من البشارية بالقرب من شواطئ البحيرة ، وقد بلغ عدد السكان عام ١٩٨٩ م حوالي ٢٥٠ شخصًا عند مصب وادي العلاقي أما الآن فيبلغ عدهم حوالي ٨٠٠ في كل من أسفل وأعلي الوادي .

ومن الصعب معرفة عدد السكان بدقة لاعتقادهم في عين الحسود وعدم ثقتهم في الأغراب ، والتقدير العددي يشير إلي أن عدد النساء حوالي ١١٩ امرأة والذكور ٧٨ ، وقد أجري إحصاء عام ١٩٨٦ م تبين منه وجود ٢١٨ شخصاً يقيمون في الوادي منهم ٨٩٫٥٪ من العبابدة و١٠٫٥٪ من البشارية ، وتشير الدراسات اللاحقة زيادة طفيفة في السكان ربما تصل إلي ٢٣٠ فرداً بزيادة ملحوظة في البشارية قد تصل إلي ٢٠-٣٠٪ من السكان المحليين (شكل ٦-١) .

وبالإضافة إلي الرقم السابق ذكره توجد تجمعات مؤقتة تتكون من حوالي ١٠٠ من صيادي السمك النازحين من منطقة كوم امبو علاوة علي ١٠٠ عامل يشتغلون في المناجم والمحاجر الموجودة بمنطقة حيمور علي بعد ٣٠كم إلي الجنوب الشرقي من

(الصخر الفرعوني) ،وهناك مؤشر علي زيادة عدد السكان في الآونة الأخيرة . ويوضح الجدول رقم (٦-١) العدد التقريبي لسنين الإقامة بوادي العلاقي وأصل السكان (*Briggs, 1989*) .



شكل (٦-١) : التجمعات السكنية والحدائق المنزرعة في وادي العلاقي في ابريل ١٩٨٩ م .

وباستثناء عدد محدود من السكان نزحوا من أسوان وجرف حسين فإن الباقي أتوا من الصحراء من حيمور وانجات ومن تلال البحر الأحمر وكان مجيئهم بسبب دخول خور من ماء بحيرة ناصر إلي وادي العلاقي والذي أدي إلي تغيير كبير في البيئة الصحراوية وساهم في ازدهار بعض الزراعات وتوفير المياه للثروة الحيوانية ، كما أن اكتشاف كميات كبيرة من الرخام والجرانيت في منطقة حيمور دفع بعدد كبير للانتقال بحثًا عن الرزق وسعيًا وراء الاستقرار .

جدول (٦-١): العدد التقريبي لسنوات الإقامة بوادي العلاقي وأصل السكان (عن Briggs, ١٩٨٩)

مسلسل	الأسر	عدد السنين	الأصل
١	علي حسين	حوالي ٢٥	نوبيون اختاروا البقاء بعد غمر الأرض بمياه البحيرة
٢	جاب النبي	٢٠-٢١	علبه (تلال البحر الأحمر)، حيمور
٣	عيشه	١٠	تلال البحر الأحمر، حيمور
٤	حسين	٨ - ١٠	انجات
٥	علي صالح	--	انجات
٦	--	٤ - ٥	حتارة بالقرب من أسوان
٧	علي	٣	شاطئ البحر الأحمر (شيل اتير)

سبل الإعاشة

تنقسم وسائل المعيشة في وادي العلاقي إلي ثلاثة أنشطة رئيسية مرتبة إلي ما يلي حسب الأهمية :

١- تربية الإبل والماعز والخراف

٢- إنتاج وتجارة الفحم النباتي والنباتات الطبية

٣- زراعة بعض المحاصيل

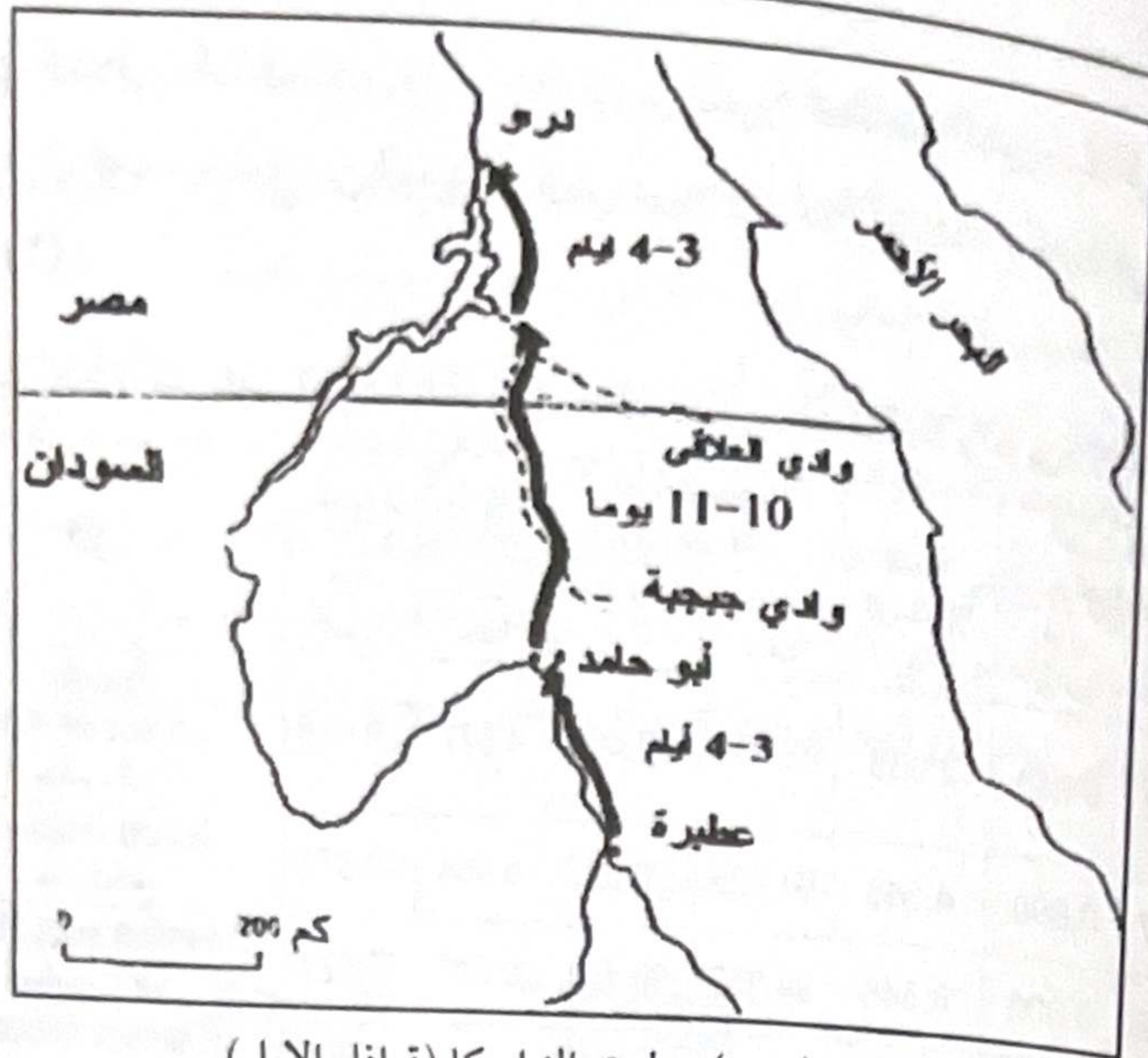
ويبـدو أن دور الزراعة أخذ يزداد أهمية خاصة أن عددًا من الأهالي أصبح يدرك أهمية الربط بين الماء والتربة الخصبة بالقرب من شواطئ البحيرة .

تربية الماشية

تشكل الإبل أهم وأغني مكونات الثروة الحيوانية في المنطقة ، ويبدو أهمية تلك اجتماعيًا واقتصاديًا بالنسبة للبشارية أكثر من العبابدة . ومعظم البدو يمتلكون من جمل إلي اثنين علي الأكثر ويستخدمونها في الغالب في تنقلاتهم وتساعدهم في نقل تجارتهم إلي أسوان خاصة الفحم النباتي . والقليل من السكان يملكون أكثر من مائة من الإبل مثل سكان «جاب النبي» الذين يملكون المئات مما أكسبهم النفوذ الاجتماعي والقوة الاقتصادية والسياسية في الوادي .

وتأتي الخراف في المرتبة الثانية من حيث الأهمية وتحظي من البدو برعاية خاصة فهي مصدر اللبن لهم وأحيانًا اللحوم ويقوم الفتيان في سن مبكر (١٢ عامًا) برعي ورعاية الغنم والخراف حتى لا تضل في الصحراء الواسعة ، وعادة يحرس الفتيان قطيعًا قد يصل عدده إلي ٢٠ رأسًا ، وعلي عكس ذلك تترك الإبل تتجول في الصحراء بحرية ، وليس غريبًا أن تبتعد الجمال إلي مسافة بعيدة ولذلك يميزها مالكها بعلامات تسمي (الوسم أو الوشم) حتى يمكن التعرف والعثور عليها عند الحاجة ، وقد يحتاج الأمر عدة أيام للعثور عليها بمعاونة مقتفي الأثر . ومن الطريف أنه توجد شبكات قوية للمعلومات بين البدو ويتناقلون فيما بينهم الأخبار والمعلومات ، ومعظم الأخبار التي تأتي إلي وادي العلاقي تكون عن طريق الدابوكا (قطار الإبل!) من أبو حماد في السودان شمالاً إلي وادي جبجبة (قبقبة) لمسافة حوالي ٣٠٠ كم ، ويستغرق ذلك حوالي ١٠ أيام ، وطوال هذه المدة لايوجد سبيل للإبل للوصول إلي الماء والمرعي ، ولذلك يعتبر وادي العلاقي محطة وقوف حساسة للغاية حيث تتزود الإبل بالماء وترعي بعد الوقت ، وقد تبقي بالوادي ليلة أو أكثر قبل استئناف مسيرتها لثلاثة أيام أخري حتى تصل القافلة إلي دراو (٣٠كم شمال أسوان) حيث سوق الإبل الشهير (شكل ٦-٢) .

تتكون الدابوكا في العادة من ١٠٠ إلي ٢٠٠ جمل ، ويقدر عدد الجمال التي تنتقل سنويًا عبر وادي العلاقي بحوالي ١٠٠٠٠٠ جمل ، ويتم هذا عادة خلال فصل الشتاء ، وقد ساهمت هذه القوافل في توطيد العلاقات الاجتماعية بين البدو من خلال التسهيلات والخدمات والضيافات .



شكل (٦-٢) : طريق الدابوكا (قوافل الإبل) .

وبالرغم من أن الغذاء الرئيسي للإبل هو الأثَل فإن الطعام المفضل لها هو الدُّخريج (البرسيم الحجازي) والذي يجلبونه عادة من أسوان ، والغريب أن زراعته في وادي العلاقي تلقي مقاومة شديدة من ذوي النفوذ من عائلات البدو والذين يخشون من ضعف نفوذهم الاقتصادي والاجتماعي .

وفي خلال فصل الشتاء تنتقل الحيوانات وخاصة الماعز والخراف إلي خارج وادي العلاقي إلي وادي حيمور ووادي قليب ووادي نجيب وانجات للاستفادة من الرعي الموسمي المتوافر بسبب السيول والمياه الرعدية .

تجارة الفحم النباتي

يعتبر الفحم النباتي من أهم مصادر الدخل للعائلات المقيمة في وادي العلاقي بل ، لعله أحيانًا المصدر الوحيد للنقود السائلة لبعض العائلات . وينتج الفحم النباتي بكميات قليلة نوعًا ما ، وشجر الأكاشيا هو النوع المفضل لإنتاجه ، ويُباع بأسعار عالية في أسوان . ويضم الجدول رقم (٦-٢) الخواص الفيزيقية لأنواع الوقود الخشبي الموجود

في وادي العلاقي . أما الجدول رقم (٦-٣) فيبين الحرارة الناتجة (كيلو جول في الجرام) عن احتراق الخمسة أنواع من الوقود الخشبي من وادي العلاقي والمذكورة في الجدول رقم (٦-٢) .

جدول (6-2): الخصائص الفيزيقية لفحم وادي العلاقي النباتي (عن Belal وآخرين، 1995).

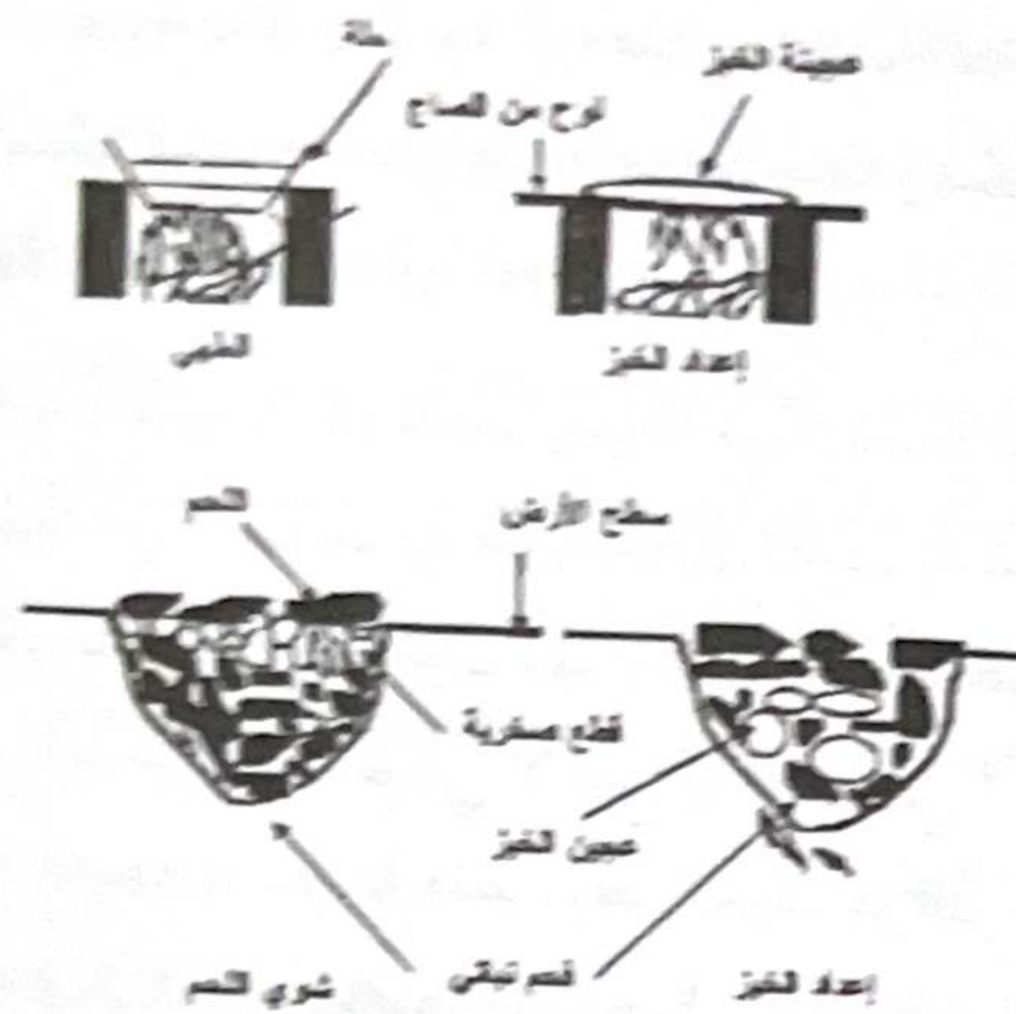
النوع	نسبة الرطوبة %		نسبة المحتوى الجاف %		نسبة الرماد %	الوزن النوعي جم/سم³	
	هواء جاف	فرن جاف	هواء جاف	فرن جاف		هواء جاف	هواء جاف
Acacia. Ehrenbergiana سلام ، تلم	29.536	4.977	70.463	95.031	2.965	0.943	0.922
Acacia raddiana سماء الطلح	29.673	5.004	70.327	94.996	4.346	0.890	0.857
Balanites aegyptiaca الهجليج، الإهليج	39.522	5.048	60.478	94.952	6.848	0.806	0.769
Tamarix nilotica الطلح، سيال	32.976	5.228	67.023	94.772	4.668	0.745	0.729
Salvadora. Persica الأراك، السواك	*	5.547	*	94.458	8.350	0.791	0.756

جدول (6-3): الحرارة الناتجة عن الأنواع المختلفة من الوقود الخشبي (عن Belal وآخرين،1995).

النوع	Hg الحرارة الكلية	Hn صافي الحرارة
Acasi Ehrenbergiana سلام ، تلم	20.587	19.253
Acasia raddiana سماء الطلح	18.690	17.348
Balanites aegyptiaca الهجليج، الإهليج، تمر العبيد	18.478	16.696
Tamarix nilotica سيال	17.553	16.267
Salvadora persica الأراك، السواك	17.533	16.285

المواقد في وادي العلاقي

يستخدم بدو العلاقي المواقد المفتوحة للطهي والتدفئة ، وهي تتكون من ثلاثة مساند من الطوب أو الصخور المتاحة في المنطقة ، وتوضع الحلّة (أو الإناء) على هذه القوائم ويشعل الوقود باستخدام أغصان صغيرة من الخشب ، ويستخدم نبات الطلح *Tamarix nilotica* المتوافر في أسفل وادي العلاقي . وطريقتهم في شوي اللحم هي وضعه على الصخور الساخنة ، وخلط قطع من الصخور بالفحم الخشبي وعندما يشتعل الفحم يشوي اللحم على الأحجار الساخنة . ويخبز العيش باحدي طريقتين إما : يوضع العجينة على لوح من الصاج فوق النار أو يغمس العجينة في الفحم الخشبي (شكل ٦-٣) .



شكل (٦-٣) : الموقد الذي يستخدمه البدو في وادي العلاقي .

ويمكن تلخيص استخدام المواقد التقليدية القديمة على النحو التالي :

١- تستخدم أماكن للنيران مفتوحة للطهي وتسخين المياه .

٢- الاستهلاك العالي للوقود وصعوبة إشعال النار يشكلان مشكلتين للمواقد المفتوحة .

٣- لا يشكل التخلص من الدخان أي مشكلة لأن مكان الموقد يكون في العراء .

٤- تستخدم أحيانًا مواقد الكيروسين ذات الفتيلة والتي يعيبها أنها لا توزع الحرارة .

٥- تكلفة الموقد المفتوح منخفضة جدًا والمواد المستخدمة متوافرة في البيئة المحيطة .

٦- نبات الطلح هو الوقود الأساسي في أسفل وادي العلاقي .

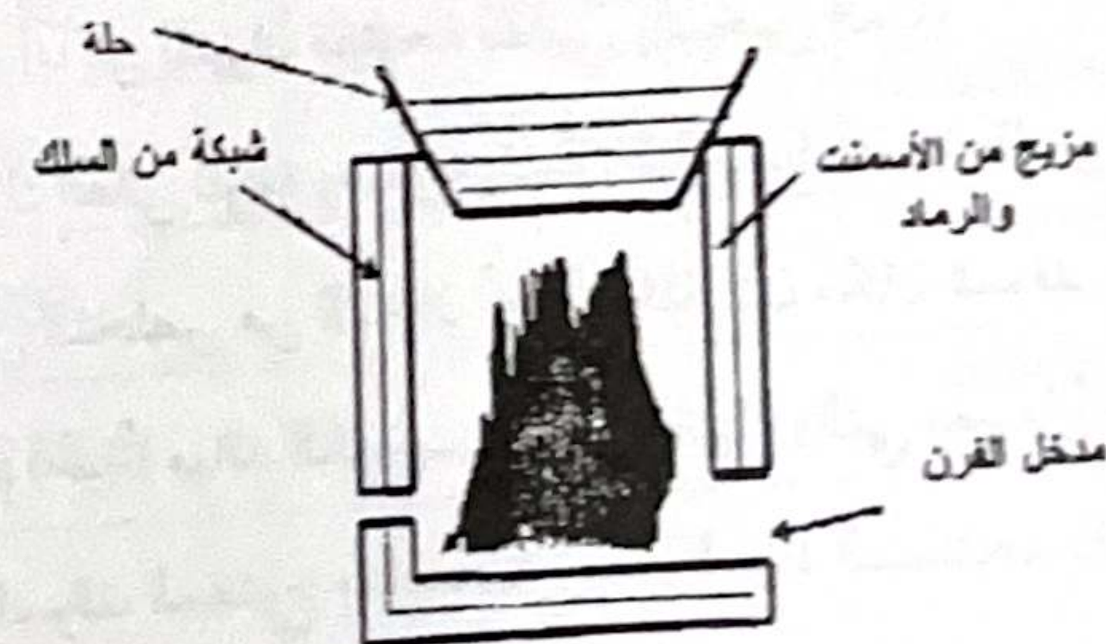
٧- يتراوح استهلاك الوقود من ١٠كجم في الصيف و٢٠كجم في الشتاء في اليوم الواحد .

ونظرا لأن من عيوب هذه المواقد الاستهلاك العالي للخشب وصعوبة الإشعال فقد اتجه الرأي إلي تصميم موقد جديد يصنع من صندوق حريق مغلق ليمنع فقدان الحرارة .

الموقد الجديد المقترح

يمتاز الموقد المقترح والمناسب لاحتياج البدو بأنه معزول جيدًا وأن فقدان الحرارة من موضع (أو صندوق) اللهب ومن خلال جدرانه تكون في حدها الأدنى . ونظرًا لكثرة ترحال البدو وتنقلهم فقد روعي أن تكون مواد الوقود خفيفة الوزن بحيث يمكن حملها ونقلها بسهولة ، والمواقد ذات الآنية الواحدة بدون مدخنة هي أبسط وأصغر أنواع المواقد ، وتعتبر أنسبها لسهولة حملها وانخفاض تكلفتها ويمكن تشغيلها تحت قدرات متغيرة بكفاءة عالية تزيد عن غيرها من المواقد .

والموقد الجديد (شكل ٦-٤) يتكون ببساطة من اسطوانة معدنية مغطاة بشبكة من السلك ومبطنة بخليط من الأسمنت والرماد ومسحوق الطوب بنسب (٢ : ١ : ١ بالحجم) والتي تعمل كعازل للحرارة ، وبه ثقوب للهواء عندما كان الخليط لا يزال ليِّنا ، وأبعاد الموقد ٣٣سم في العرض و٢٧ سم في الارتفاع ووزنه حوالي ٢ كجم ، ويكلف الحجم المتوسط خمسة جنيهات مصرية فقط ، وقطر الموقد هو قطر الإناء الذي يوضع فوقه بزيادة ٢سم ، وارتفاع الإناء عن موضع اللهب حوالي نصف قطر الحلة (الآنية) والموقد ليس به شبكة لوضع الوقود كما أنه ليس به باب لإدخال الوقود ولكن - بدلاً من ذلك - تدفع قطع طويلة من الخشب في مكان اللهب والصندوق مستقر علي الأرض .



شكل (٦-٤) : الموقد الجديد المقترح لبدو وادي العلاقي .

وقد أجريت عدة تجارب بغرض تحقيق الكفاءة والقدرة واستهلاك الوقود المستخدم . فقد تم تغذية الموقد بـ ٢٠٠-٣٠٠جم من خشب الأثل وإشعاله بأوراق الشجر الجافة وتم الإشعال بسهولة . حُسبت القدرة خلال فترة الاحتراق الكاملة في الموقد حيث تم احتراق الخشب بالكامل . وقد حسبت كفاءة الموقد كنسبة الطاقة المكتسبة في الماء مضافًا إليها الطاقة التي اكتسبها البخار المتصاعد من الماء مقسومة علي الحرارة الكامنة في الخشب ، وكانت القدرة والكفاءة تعادل ٢,٦٤ كيلووات و١٢,٩٨٪ علي التوالي . فإذا افترضنا متوسط الكفاءة ١٠٪ في المواقد القديمة المفتوحة فإن التحسين يكون في الجانب الايجابي للكفاءة وهو ما يمثل خفضًا في نسبة تلوث الهواء . وكلما كان الاحتراق جيدًا كانت الغازات المحترقة أكثر نظافة . والكفاءة مؤشر حيوي من وجهة نظر حفظ الطاقة . ويمكن حساب الطاقة المستفادة كحاصل ضرب الطاقة الصافية لاحتراق الخشب مضروبة في كفاءة الموقد وتعادل ٤٨,٤٧٦ جول/جم (انظر جدول الطاقة للأخشاب) ، ولحساب معدل استهلاك الوقود النوعي *Specific Fuel Consumption* لاختبار غليان الماء فإن الحسابات تكون غير مؤكدة ويلزمها عناية خاصة بتعريفاتها . وفي اختبار غليان الماء فإن معدل استهلاك الوقود النوعي SFC يعادل ٠,٣٤٥ ، ويكون المطلوب غليان ٩٠٥,٧٢ جم من الماء وهو ما يحتاج إلي ٣٣٣,٤٤ جم من الخشب الجاف بالهواء للوصول إلي الزمن المطلوب لغليان الماء .

تجارة النباتات الطبية

وبالرغم من أهمية الأعشاب الطبية والفحم النباتي كمصدر للنقود السائلة فإن جمعها وإنتاجها لا يتم بطريقة منتظمة ، بل يتحكم فيه نمط استهلاك الأسر للمواد التموينية مثل الزيت والسكر والبقول . . .الخ واحتياجها العاجل للنقود ، وهذا يستدعي ضرورة السفر إلي أسوان لتنظيم هذه التجارة وذلك في مواعيد غير منتظمة ، بل إن كثيرًا من البدو يبيعون سلعهم لأفراد من قوافل الإبل وهم في طريقهم إلي أسوان بأسعار أقل بكثير مما لو كانت قد بيعت في أسوان ، وكثيرًا ما يكون العابرون ليسوا في حاجة إليها ولكنهم يشترونها كنوع من الاستثمار لإعادة بيعها بسعر أعلي في أسواق أسوان .

الزراعة

لاتتجاوز مساحة الأرض المنزرعة في وادي العلاقي حاليًا ١,٢ هكتار مقسمة إلي عشر قطع ، إلا أن هناك تفاؤل كبير لدي المزارعين في الاتساع المستقبلي للرقعة

الصالحة للزراعة ، ولا شك أن تربة الوادي خصبة جدًا ، وإذا أخذنا في الاعتبار توافر الماء وارتفاع درجة الحرارة ، فإن هذه الظروف تجعل المنطقة واعدة في المستقبل وعلي الأقل في المدى القصير .

وعادة يقوم البدو بإحاطة قطعة الأرض بسور يرتفع حوالي متر ، وذلك لحفظ أشجار الأكاشيا وخاصة أشجار الأثل *Tamarix* ، كما تستخدم أيضا شباك الصيد القديمة لحماية المزروعات من الماشية التي يربونها . وعادة يكون لكل قطعة أرض بئر واحد علي الأقل ، وفي المساحات الأكبر (١٥٠ × ٤٠م) قد يستدعي الأمر حفر أربعة آبار .

وعملية الري بصفة عامة سهلة وبدائية ، ويستخدمون الجردل والحبل ، ويصب الماء في مجار حفرت خصيصًا لهذا الغرض ، ومن الواضح أن هذا الأسلوب يحتاج إلي عمل كثير ووقت طويل ويعوق التوسع في الزراعة ، وحاليًا تجري فلاحة الأرض في شهور الصيف حيث تقل عادة فرص العمل لدي الغير .

يلخص الجدول رقم (٦-٤) حجم المحاصيل التي نمت في وادي العلاقي في ابريل عام ١٩٨٩ (*Briggs, 1989*) ، وبالإضافة لهذه القائمة فقد زرعت أعداد محدودة من أشجار البرتقال والليمون والجوافة والنخيل ، والمحاصيل الواردة في الجدول (٦-٤) تستخدم لاستهلاك أهل البيت فقط . ويبدو أن إنتاج قطعة أرض مساحتها ١٥٠م ×٤٠م يفلحها أربعة أفراد تنتج ما يكفي عائلة من ٢٠ شخصًا ، مما يدل علي الكفاية العالية لإنتاج الأرض في هذه المنطقة . والبدو يتطلعون إلي اليوم الذي يستطيعون فيه تسويق بعض المحاصيل الزراعية وذلك لتوفير السيولة النقدية لديهم .

جدول (٦-٤): المحاصيل التي أنتجها وادي العلاقي في ابريل ١٩٨٩م (Briggs,١٩٨٩).

المحصول	عدد الأفراد	المحصول	عدد الأفراد
البطيخ	٧	طماطم	١
البامية (ويكا)	٦	عدس	١
الذرة	٥	جرجير	١
الفول	٥	خيار	١
الكركديه	٣	البسلة	١
البصل	٣	الترمس	١
الملوخية	٢		
الحلبة	٢	عدد الأفراد الذين سئلوا	٩
الفاصوليا البيضاء	٢	عدد الذين يفلحون الأرض	٧
الكوسة	٢		

اختيار الأرض المناسبة للزراعة

لاشك أن تربة وادي العلاقي خصبة جدًا وعلي الأقل في المدى القصير ، والبعض يعتقد أن هناك علاقة بين غمر المياه المحملة بالغرين وخصوبة الأرض الزراعية ، وبطبيعة الحال فإن تذبذب منسوب بحيرة ناصر والبعد عن شواطئ البحيرة والتغير في منسوب المياه الجوفية يلعبون دورًا كبيرًا .

والعوامل التي تؤثر في اختيار قطعة الأرض الزراعية هي محصلة وجود الماء (عمق البئر وعلاقته بشاطئ البحيرة) ونوع التربة ، فالتربة المكونة من خليط من الرمل والطين يبدو أنها أنسب تربة للزراعة ويمكن التعرف عليها بفركها بأصابع اليد ، وهنا تلعب الخبرة الغريزية للبدو دورًا كبيرًا إلا أن الأمر يحتاج إلي عمل بعض الدراسات وإعداد نماذج إرشادية من أنواع مختلفة من التربة وتدريب الزراع علي التعرف عليها والتمييز بينها . وتواجد المراعي بعيدًا عن وادي العلاقي يحتاج إلي دراية واسعة لتحديد المواقع في صحراء مترامية الأطراف ليس بها علامات طبيعية كافية للتعرف علي المواقع .

حماية الملكية في الصحراء (*Hema*)

منذ زمن طويل كانت حقوق ملكية الأرض في الصحراء وحق استخدامها متعارفًا عليها بين القبائل ، وكان هناك شبه اتفاق بين العرب يسمي *Hema*[٧٢] ، فبعض المساحات كانت معلنة مناطق (هيما) أي مناطق محمية ومحظور استخدامها في بعض أوجه النشاط ، وبمرور الوقت تأصلت هذه الحقوق ونمت وقويت بنفوذ شيوخ القبائل ، ولعل (الهيما) العربية أقدم برنامج لحماية الأرض كانت له فاعلية في التاريخ ، ولا يزال مطبقًا في بعض الأماكن الصحراوية العربية . لقد كانت الأهداف من حقوق (الهيما) متغيرة وكذلك أسلوب إدارتها . وفيما يلي بعض نظم إدارة (الهيما) كما عرضها عمر دراز *Draz* عام ١٩٦٠ م .

١ . الرعي ممنوع ، ويسمح بقطع الحشائش بترخيص صالح لمدة محددة وفي أوقات القحط .

(٧٢) هيما : *hema* كلمة عربية قديمة مشتقة من كلمة حماية . من البلاد التي لا يزال بها نظام الهيما سوريا والمملكة العربية السعودية .

٢ . الرعي وقطع الحشائش مسموح بهما في فصول معينة يتفق عليها .

٣ . الرعي مسموح به طوال العام ولكن لعدد محدود من الماشية .

٤ . حفظ مناطق لتربية النحل .

٥ . حظر قطع الأشجار في بعض المناطق .

وعندما وضعت الهيئات الدولية قواعد جديدة في الخمسينات والستينات وأعلنت المناطق الصحراوية ملكية للدولة ومفتوحة لاستخدام كافة المواطنين فقدت القبائل الرعوية حقها التاريخي في إدارة البادية والمياه الموجودة بها ، وبهذا اغتصبت الدولة السلطة لنفسها وضعفت سيطرة شيوخ الرعاة وتهمّشت أدوار المجتمعات الرعوية . وبالرغم من هذا فإن بعض الدارسين والباحثين في وادي العلاقي يعتقدون أن نظام (الهيما) لا يزال ساري المفعول في قبيلة البشارية المعزولة في أعالي وادي العلاقي .

إدارة المراعي

إدارة المراعي (*Range science*) علم وفن ، وهي نظام تكاملي يتكون من عدة أنظمة علمية وتطبيقية وإنسانية (شكل ٦-٥) . وهو مجموعة المعارف التي تبنى عليها إدارة المراعي والتي تظل فنًا كما هي علم ؛ لأن لكل قطعة من المراعي صفات طبيعية وإحيائية مميزة .

بما أن للرعي الجائر آثاراً مدمرة على الغطاء النباتي تؤدي إلى تعرية التربة وانهيار الأنظمة البيئية نتيجة لزيادة أعداد الحيوانات بما يفوق الحمولة الرعوية لتلك المواقع فلابد من مكافحة تدهور المراعي عن طريق بعض الإجراءات التالية :

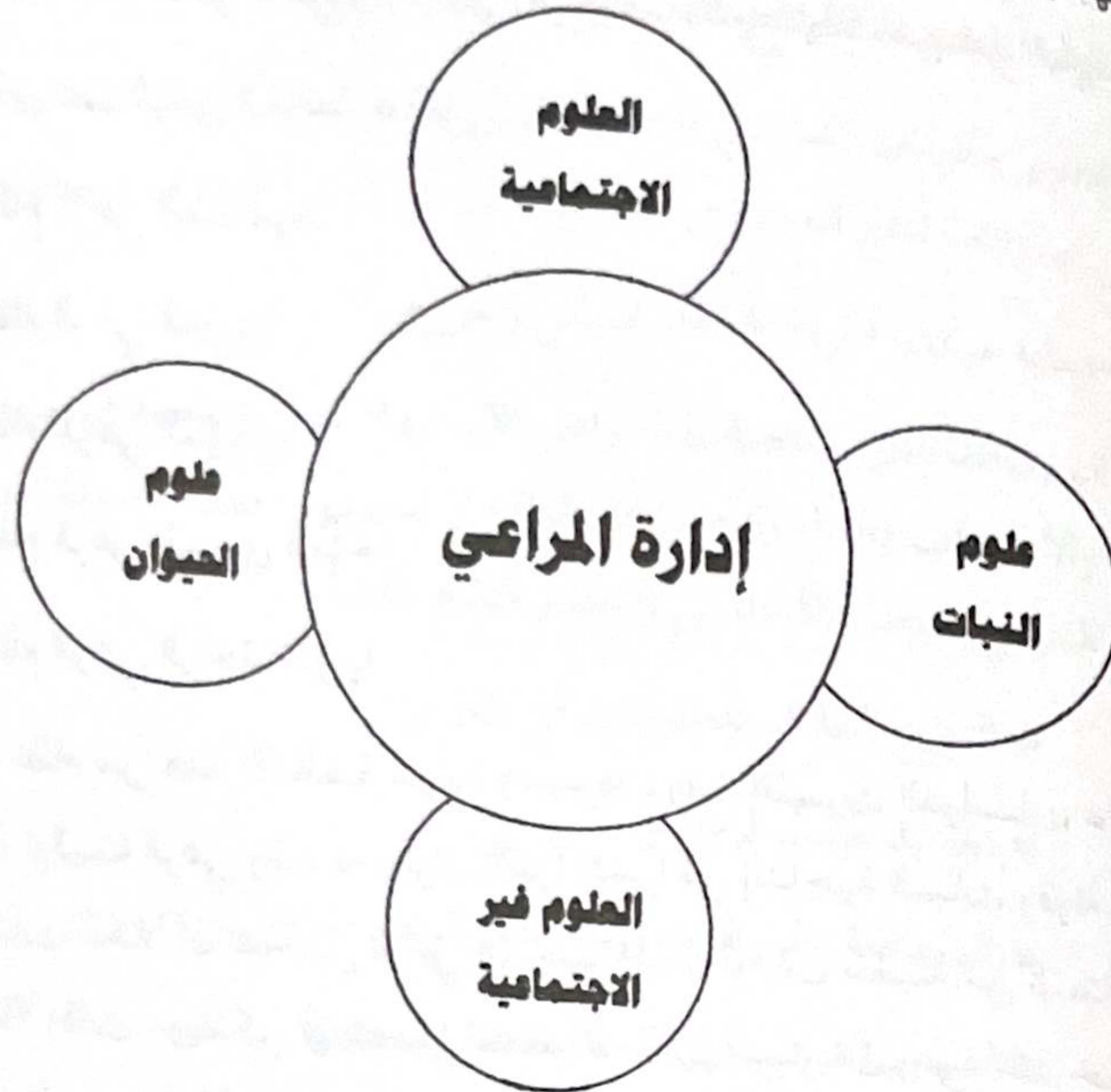
١- إنشاء مسيجات (مساحات مسورة يمنع الدخول فيها) من أجل حماية المواقع المتدهورة ، لدراسة التعاقب النباتي وإجراء بعض التجارب على إدخال بعض أنواع من العلف ، وحمايتها من التعديات المستمرة من الرعاة بسبب عدم توافر إمكانات حراستها بشكل دائم (دراز ، ١٩٦٠) .

٢- الإشراف على حفر الآبار الخاصة .

٣- التحكم في استعمالات المياه .

٤- حظر الحفر في بعض المناطق للمحافظة على المياه الجوفية والزراعات القائمة .

٥- زراعة المواقع المتدهورة ببذور بعض النباتات الرعوية والتي تم تأمينها من مناطق مشابهة بيئياً لمنطقة وادي العلاقي .



شكل (٦-٥): النظام التكاملى لإدارة المراعى (عن المالكى، الإنترنت بتصرف).

وتعتمد إدارة المراعي علي عدة مفاهيم أساسية نوجزها فيما يلي :

١- المراعي مورد طبيعي متجدد .

٢- تختزن نباتات المرعي الخضراء الطاقة الشمسية ، ولا يمكن استخلاصها إلا برعي الحيوان .

٣- تمد المراعي الإنسان بالغذاء باستغلال طاقة منخفضة التكلفة مقارنة بالأراضي الزراعية .

٤- يتحدد إنتاج المراعي بخصائص التربة والطبوغرافية والمناخ .

٥- إن هناك عددًا من نواتج المراعي يستفيد منها الإنسان تشمل الغذاء والألياف والماء والتنزه والحيوانات البرية والمعادن والأخشاب .

نظم الرعي

«تنظيم الرعي هو التخطيط لبرنامج إدارة الماشية لتحقيق الهدف المرغوب في تعزيز استغلال المرعى الفعال ولزيادة إنتاج الحيوانات . والمبدأ الأساسي في إدارة الرعي هو إنتاج أكبر كمية من النمو الخضري الربيعي الرخيص والمستهلك من قبل الحيوانات».

ومن أهم نظم الرعي الشائعة ما يلي :

١- نظام الرعي المستمر .

٢- نظام الرعي الدوري .

٣- نظام الرعي المؤجل .

٤- نظام الرعي الدوري المؤجل .

٥- نظام الرعي الراحة الدورية .

ولكل نظام من هذه الأنظمة مزاياه وعيوبه ، وقد أظهرت الدراسات على حش النباتات أن توقيت الرعي وشدته يؤثران تأثيرًا كبيرًا في إنتاجية النبات وقوته . فمثلاً بإمكان نباتات الكلأ أن تتحمل الرعي الشديد خلال أوقات معينة من السنة مقارنة بغيرها من الأوقات ، ويمكن أن تتحمل معظم النباتات مستويات رعي أشد خلال فترة السكون مقارنة بتحملها أثناء فترة النمو النشيط . وفي الغالب يعتبر تضرر النبات بسبب تجريده من أوراقه عندما يبدأ في استعادة نموه أقل من تضرره وعندما يكمل طور التكاثر ويبدأ في خزن الكربوهيدرات(٧٣) .

وتوقيت الرعي له أهمية كبري فالوقت الأمثل للمرعى هو الوقت الذي يمكن عنده البدء بالرعي في دورة نمو النبات دون إلحاق ضرر دائم للنبات أو التربة . وعادة ما تكون

---

(٧٣) الكربوهيدرات أو السكريات : مركبات عضوية تصنف ضمن عائلة الفحوم الهدروجينية (الكربوهيدرات) ، وتتميز بشكل عام بطعم حلو لذلك تستخدم في الأطعمة والشراب للتحلية . تستخدم كلمة سكر بشكل عام في الحياة اليومية للدلالة على السكر المستخدم يوميا وهو السكروز أحد أنواع السكريات ذات الحلاوة الواضحة ، وهو ما يدعى أيضا بسكر الطعام ، ويعتبر السكروز من السكريات الثنائية (المكونة من ترابط سكرين أوليين : هما الجلوكوز والفركتوز) وهو ذو بنية بلورية صلبة ، يستخرج من قصب السكر أو البنجر السكري . والمصدر الرئيسي للطاقة في الجسم هو السكريات الأولية و بالتحديد الجلوكوز وهو موجود بكثرة في الفاكهة - وخاصة العنب - ويستخدم الجلوكوز من الخلية الحيوانية مباشرة لتحرير الطاقة .

متأخرة حتى تصل أهم نباتات الكلأ النجيلية إلى ارتفاع معين ، وتصل أوراقها إلى عدد معين ، أو تصبح التربة جافة بالقدر الذي لا يسمح بتكوين حفر غائرة نتيجة وطء الحيوانات الكبيرة .

الإدارة المحسنة مفتاح لتحسين حال المرعي

هي تحوير مكونات المراعي للحصول على أفضل مجموعة للمنتجات والخدمات وفق أسس مستدامة لنفع المجتمع الإنساني ، وللإدارة الرعي عنصران رئيسان هما :

١- حماية مركب التربة والغطاء النباتي وتعزيزهما .

٢- المحافظة على منتجات المراعي الاستهلاكية كاللحوم الحمراء والألياف والأخشاب والماء والحيوانات البرية أو تنميتها ، فعند محاولة تحسين حال المرعي ، يجب الأخذ في الاعتبار النقاط التالية :

- التوزيع الملائم للحيوانات في المرعي .
- تحديد موسم الرعي .
- المحافظة على التربة وإتباع نظام الرعي المؤجل .
- تقسيم المرعي إلى أقسام مختلفة وتسييجها .
- توزيع الملح ونقاط المياه .
- اختيار نوع الحيوان المناسب .

وقد فطن سكان الصحراء منذ زمن موغل في القدم إلي أهمية رعاية وتنظيم المرعي فأنشئوا نظام الهيما (*Hema.*) وكلمة هيما معناها الحرفي (المكان المحمي أو الممنوع) ؛ وكان هذا المصطلح موجوداً قبل ظهور الإسلام بمدة طويلة ، وكان يرمز إلي قطعة من الأرض بها بعض النباتات ويحظر علي الغير الدخول إليها ؛ وقد يسمح بالرعي فيها موسميًا فقط . تغير مفهوم الهيما بالوقت فصارت تعني حاليًا (محمية) وأحيانا مرعي موسمي لا يسمح فيها بالرعي إلا فترة زمنية محددة حتى تسترد عافيتها وتزدهر النباتات بها ، وفي جميع الأحوال يحظر فيها البناء أو الاستغلال الزراعي أو التجاري ، ويكون استخدامها قاصرًا علي قبيلة بعينها أو بطن من البطون كجزء من إستراتيجية إدارة

المرعي ، كما تهدف المحمية إلى الحفاظ على المصادر الوراثية للنباتات والحيوانات والطيور ، والتأكيد على التنمية المتواصلة المبنية على أسس بيئية سليمة (... ١٩٦٥) .

٧- نشاط سكان وادي العلاقي

يمر عبرك فيها وهو مختصر
لا برق يخطف عينيه ولا مطر
وأنت لا أسأل التاريخ عن هرم
في ظله قمم التاريخ تنتظر
عن عاشق في الذرى
لم تكتمل أبداً
إلا على صدره الآيات والسور
عن الذي كان عصراً شامخاً
وبدأ تشد عصراً إليها
وهو ينحدر (الشاعر السوداني محمد الفيتوري)[٧٤]

كان سكان الصحراء ولآلاف السنين علي اتصال بالحضر المقيمين في الجنوب والشرق ، ففي عهد الفراعنة والرومان كان سكان الصحراء يعملون في مناجم الذهب ويتاجرون مع سكان وادي النيل وكانوا أحياناً يغيرون عليهم ويسلبونهم الماشية والمحاصيل ، وكثيراً ما حاربوا معهم .

ومنذ حوالي ٢٠٠٠ سنة ظهرت فرص اقتصادية جديدة عندما بدأت تربية وتغذية الإبل تنتشر في المنطقة ، وقد انتعشت التجارة بين وادي النيل والبحر الأحمر وداخل إفريقيا ، وكانت الطرق - ومنها ما كان يمر بوادي العلاقي - شائعة بقوافل الإبل ، وقد ساهمت قبائل البيجا بنشاط كبير في التجارة كمرشدين للقوافل ومراقبين وبائعين للعلف ، وقد ذاع صيتهم في تقديم أفضل وسائل النقل ، ومنهم البشاريون علي وجه

---

(٧٤) الفيتوري : شاعر سوداني مرموق ، ولد عام ١٩٣٦ بالسودان ، نشأ في مدينة الإسكندرية ، حفظ القرآن الكريم ، ودرس بالمعهد الديني بالإسكندرية ثم انتقل إلى القاهرة حيث أكمل تعليمه بالأزهر كلية العلوم ، ثم عمل محرراً أدبياً بالصحف المصرية والسودانية وعين خبيراً إعلامياً بالجامعة العربية عام ١٩٦٨ - ١٩٧٠ ، وعمل مستشاراً ثقافياً في السفارة الليبية بإيطاليا ، وبيروت وفي سفارة ليبيا بالمغرب . أصيب بجلطة دماغية نتج عنها توقف يده اليمنى عن الكتابة .

الخصوص الذين برعوا في تربية الجمال في العالم العربي ، ولا زالت سلالة الإبل الواردة من شمال شرق السودان من أحسن السلالات وأكثرها شعبية في الشرق الأوسط . والبجا متفوقون في تجارة الصحراء ويتحكمون في دروبها لقرون طويلة ولا زالوا يلعبون دورًا هامًا في نظامهم الاقتصادي ، وبمرور الوقت استحدثت طرق جديدة وخاصة في الثلاثة قرون الماضية بعد افتتاح قناة السويس واستخدام السكك الحديدية وسيارات النقل في الصحراء . وقد لعب الطريق الأسفلتي الجديد بين أسوان ووادي العلاقي الذي أنشأ عام ١٩٩٢ م دورًا كبيرًا في إنعاش اقتصاد المنطقة ، ولا زالت جمال وادي العلاقي الواردة من السودان مرغوبة في أسواق الجمال المصرية وخاصة في دراو والشلاتين .

كثافة السكان

لاتوجد بيانات دقيقة عن عدد السكان بمحمية وادي العلاقي ، إلا أن الدراسات التي أجريت مؤخرًا علي سكان محمية المحيط الحيوي من البدو المقيمين وشبه المقيمين الذين يعملون في وادي العلاقي سواء في المحاجر أو صيد الأسماك أو الزراعة ، وعددهم قابل للتغير بسبب ظروف الرعي ، فقد يرتفع أو ينخفض قليلاً ، ولنفس السبب فإنه من العسير تحديد عدد البدو المقيمين في كل منطقة علي حدة ، فعددهم أيضا يتذبذب ويعكس التغير في منسوب بحيرة ناصر وعلي هطول الأمطار في الصحراء المحيطة بالوادي والتي تؤثر في حياة بدو وادي العلاقي . ففي منطقة القليب يعيش ما بين ٢٠ إلي ٣٠ شخصًا ، وفي منطقة ايقات (ايجات) لا يزيد عددهم عن ١٠٠ فرد وبينهما يوجد ما بين ٣٠ إلي ٤٠ شخصًا يتحركون في المساحة الواسعة ، أما سكان أسفل الوادي فهم حوالي ٢٣٠ بدويًا علي عكس أعلي الوادي حيث يعيش بعض البدو الذين يأتون عند سقوط الأمطار .

التركيبة السكانية

يعمل في المحاجر وفي أربعة مناجم صغيرة حوالي ٢٥٠ عاملاً بالإضافة إلي ٦٠ آخرين يعملون في الزراعة ، وكان آخر إحصاء للسكان أسفل الوادي وأوسطه قد أجري عام ١٩٨٦ م والذي يشير إلي أن عدد السكان كان ٢١٨ شخصًا منهم ٨٩,٥ ٪ من العبابدة و١٠ ٪ من البشارية ، وقد ازداد العدد بعد ذلك زيادة طفيفة وربما إلي حوالي

٢٣٠ شخصًا بزيادة نسبة البشارية إلي ٢٠-٣٠ ٪ ، وكانت قبائل البشارية قد نزحت إلي مصب الوادي في حوض نهر النيل عندما غمرت مياه بحيرة ناصر المنطقة وزحفت إلي وادي العلاقي ، وقد نمت علاقات وثيقة بين العبابدة والبشارية وتصاهروا وساد الوئام والوفاق بينهما وانتهت الخلافات والمشاكل بينهما حول مصادر المياه ومناطق الرعي .

يميل كثير من علماء الأجناس إلي جمع قبائل البشارية والعبابدة في مجموعة ثقافية واحدة تسمي البيجا (البجة أو البجا) ، إلا أنه من المؤكد أن العبابدة ذوو جذور عربية ويتكلمون العربية ، وأن البشارية شعب حامي علي الأرجح وله لغة خاصة (تبداوية) وإن كان الكثير منهم يتكلمون العربية .

تعيش ثلاث بطون من العبابدة أسفل الوادي قريبًا من بحيرة ناصر وهم : الحميداب والسادنياب والفاشيجاب ، وقد يعيش عدد قليل من قبائل الأمراب واليوسيناب بعض الوقت في الجوار ولكنهم نادرًا ما يبقون طويلا ، وتعيش المجموعات الثلاث من العبابدة في منطقة جغرافية محدودة في وادي العلاقي ، فالحميداب يعيشون في أطراف وادي عشيرة حيث يرفد إلي وادي العلاقي أما الفاشيجاب (الفاشيكاب) فيقطنون حوالي ٢٠ كم إلي الجنوب الشرقي آخر وادي قليب حيث يلتقي بوادي العلاقي ، وتعيش السادنياب بين العائلتين علي بعد ٥-٦ كم إلي الجنوب الشرقي من مقر الحميداب ، ويقدر حجم هذه المجموعات بحوالي ٢٠-٢٥ فردًا في مطلع التسعينات (Briggs et al, 1993) وعلي أية حال فإن عددهم قد نقص إلي حوالي ١٥٠-٢٠٠ شخص والسبب في ذلك غالبًا هو ارتفاع منسوب سطح بحيرة ناصر والتي غمرت جزءًا كبيرًا ودمرت المرعي .

المسكن

مساكن الصحراء نوعان فهناك الخيشة والبيت الخشب :

- الخيشة وتصنع من أغصان الأشجار والفروع ، وأغطية من الحصير المصنوعة من سعف النخيل . وغالبًا ما يكون الغطاء من بقايا الملابس القديمة . ويتراوح ارتفاع الخيمة من متر ونصف إلي مترين ونصف ، ودائمًا ما يكون اتجاه باب الخيشة ناحية الشرق .

- والكوخ المصنوع من ألواح الخشب وبقايا البراميل وقطع الحديد وتقيم به الأسر المستقرة على الساحل . وفي الماضي كانوا يصنعون أكواخهم من عظام السلاحف .

وداخل المسكن يوجد أثاث بسيط يحتوي على الحمول ، وهو نوع من السجاد المصنوع من وبر الإبل وصوف الغنم أو بقايا الأقمشة ، كما يوجد صندوق من الخشب لحفظ الملابس وأواني الطهي وبعض الأكواب وإبريق الجبنة ، وتوجد بجواره براميل المياه . وبعض البدو يعيش في خيام مصنوعة من الشعر ، تحيكها النساء ، ويقيمها الرجال على شكل ظهر الثور ، وسقوفها مصنوعة من شعر الماعز ووبر الإبل وصوف الغنم . (الطحلاوي ، ٢٠٠٨ م) .

يسمي سكن العبابدة في وادي العلاقي (البُرش) ، وهو نوع من الأكواخ معمول من الحُصْر المنسوجة من سعف نخيل الدوم (*Hyphaene thebaica*) يغطي هيكلاً من أعمدة خشبية ، وتظهر علي شكل قبة ، ويمكن فك الكوخ وتركيبه بسرعة وذلك لسهولة التنقل ؛ وفي السنوات الأخيرة قام معظم العبابدة المقيمين أسفل الوادي باستبدال الخيش بالبرش الذي يتميز بخفة الوزن وقوة التحمل ، كما قامت هيئة تنمية بحيرة ناصر بتزويد البدو ببعض الخيام المتينة لحثهم علي الاستقرار في الوادي . والسكن الآخر الذي يستخدمه العبابدة يسمي (**العفشة**) وهو عبارة عن هيكل مكعب الشكل من خشب الطلح مكسو بالحصير والخيش الذي يسقف المسكن والذي يوفر الظل ويستخدم كمخزن لأغراضهم بعيدًا عن الماشية .

الأدوات المنزلية

يصنع البجة أدواتهم المنزلية من الفخار والأخشاب والحجارة ومن مشغولات السعف والصوف والجلود . فالمطحنة (**المرحاكة**) تصنع من الحجارة وتسمى (شقا الرحى) الشق الأسفل (**تُوْرْيَ**) والحجر (**تِيَولابْ**) ، ومقداحة النار (**نِتَادْ**) المكونة من حجر يدق عليه بقطعة من الحديد على شكل سوار بيضاوي يمسك بقبضة اليد وله فتحة في المقدمة يبرز فيها طرفا السوار للخارج بشكل دائرتين صغيرتين . ويستخدمون ثلاثة أحجار أثافي (**دَقِينَاتْ**) يضعون عليها إناءً من الفخار للطبخ . ومن الفخار يصنعون أيضًا إبريق القهوة والمبخر ، وإناء العجن وإناء البليلة والأزيار والأباريق والركوة ، ويصنعون

من الجلود القرب وفرشة للدقيق أثناء الطحن (مَمَرْ) ، و(تُ هَوَتْ) للسمن والحليب ، وأوعية للسمن والعسل ، والدلو ، والجراب (نَفِيتْ) و(مسود) وهو جراب كبير ، ومساند الجمل ، و(ت مِبْرَ) وتلقى على عنق الجمل عند ركوبه ، ولزينة الجمل عند ركوبه (ت هَيْفْ) ، وحزام ربط السرج على الجمل ، ويزينون رأس الجمل بـ (هَسَكَاتْ) ، و(تُ أَرْسِ للفرش فوق سرج الجمل وتصنع من فروة كثيفة الصوف .

ويصنعون من الجلود الصنادل التي تشبه الصنادل الفرعونية في شكل سيور متعارضة ، وغمد السيف ، وجراب الخنجر (يَقْ) ، و(أُهَبَ) ، وهو حزام عريض يلبسه الرجل ويضع فيه خنجره المسمى (سُوتال) ، وحزام الخصر لوضع النقود (كَمأَنْ) ، ومحفظة النساء (تُ كِيسْ) والمصليات .

يصنعون من الأخشاب قدحًا يسمى (كُوبَاتْ) ، ومنه نوع كبير للضيوف ، والهاون (فِنتِكَوْ) ، وسرج الجمل الأسود ، وسرج الحمار ، والملاعق الصغيرة لأكل البليلة ، والملعقة الكبيرة (**مؤي**) ، وأداة هز الشجر لإسقاط الثمر لإطعام دوابهم ، ومن الخشب أيضًا يصنعون مقبض الخنجر (أَدِيرْ) . ومن السعف ينسجون البروش الكبيرة (**بأداب**) والصغيرة (**أتنيت**) ، ويصنعون أواني الحلب ، و(تَرْ) لنظافة الذرة ، وحبل الدلو(**أُنَوَرْ**) ، والمصليات (**سِيلِيلَنَيتْ**) ، وعقال الجمل (تَدُو) وقد يصنع من الجلد أيضًا .

وينسجون من الصوف الشمل ، وأنواع من الحبال وعنان الجمل وحبل الدلو (**أنور**) ، وحبال لتثبيت الخيمة واستخدامات أخرى ، والجراب ، ولحفظ الذرة أو الدخن (**تُ** أَرارَه) ، وأكياس مزخرفة للحمل على الجمل (**مُكْلاتْ**) تتدلى على جانبه الأيسر (من مصادر مختلفة) .

يوم من حياة البدو

يقيم البدو مساكنهم في مناطق الآبار ، ويبدأون يومهم بالصلاة ثم شرب القهوة ثم يتناولون وجبة الإفطار . يتكون أكلهم من عصيدة الدخن أو الذرة المغمورة بالحليب . ويقوم الصبية من الجنسين برعاية صغار الماعز والضأن قريبا من المسكن ، ويقوم الكبار برعي الإبل في المراعي البعيدة ، حيث يطلقونها ويجلسون تحت شجرة يشربون القهوة ويعزفون على الناي ، أما النسوة فيقضين يومهن في الأعمال المنزلية مثل جلب الماء من

البئر، واستخراج السمن من اللبن، وشرب القهوة، ورمي الودع وتجهيز الغذاء حتي يلتئم شمل الأسرة.

يختلف موعد حلب البهائم عند رعاة الإبل عن رعاة الغنم الذين يحلبون البهائم بعد المغرب، ثم تطلق صغار البهائم لترضع المتبقي في ضروعهم. تربط البهائم الصغيرة عند أفول نجمة في الأفق الغربي (ت أباب هاكول)، ومعناها الإجمالي «النجمة التي تربط عند أفولها صغار البهائم». أما رعاة الإبل، فينيخونها حتى يتجمع الحليب في ضروعها عندما تحن الإبل تصدر أصواتًا، ويتم حلبها على دفعتين. الأولى، بعد المغرب عند غياب نجمة المشتري (شأميد) وتعني النجمة التي تجمع الحليب في الضروع عند أفولها، ويتم الحلب الثاني بعد فترة تسمح بتجمع الحليب في الضروع مرة أخرى. ويهجع البجة للنوم مبكرين بعد العشاء إلا في المناسبات.

جهود الاستيطان

يعتبر سكان وادي العلاقي أنفسهم غير مقيمين بالرغم من المحاولات الكبيرة التي تبذلها مصر لتوطينهم، فهم دائمو التحرك في الوادي حتى ولو علي نطاق ضيق ولكنه يشمل إعادة تشكيل التجمع السكني؛ وهي تحركات ضرورية بسبب تذبذب مياه بحيرة ناصر، كما أن هناك تحركات موسمية إلي وديان وتلال أخري سعيًا وراء المراعي أو بحثًا عن الفحم الخشبي ولكن غالبية القوم يعودون مرة أخري إلي وادي العلاقي، والكثير من العبابدة والبشارية يقومون بزيارات طويلة وممتدة إلي أقاربهم المقيمين في أسوان والشلاتين وبعض المدن الأخرى.

يعيش الرحل في قرى، بينما لا يزال الرعاة يترحلون بصحبة قطعانهم. وبالرغم من هذا فإن عددًا كبيرًا منهم فقدوا حيواناتهم نتيجة الجفاف وقلة المراعي، ولأن المواشي هي استثمارهم الأساسي فإنهم يبذلون جهودًا كبيرة لاستعادة امتلاك الحيوانات وذلك بالعمل المؤقت وما شابه ذلك.

إن الالتصاق بأراضي المراعي لم يعد قويًا كما كان في الماضي بعد أن انخفضت قيمتها كثيرًا وأصبحت حقًا مشاعًا. وانعدمت حوافز إدارة مصادر المراعي. لقد تم تحفيزهم بشدة لدخول المجال الزراعي ولكنهم لا يزالوا غير مقتنعين بالاستثمار في هذا المجال.

وتتلقي قرية العلاقي(٧٥) علي سبيل المثال منحة غذائية من الحكومة المصرية عبارة عن ٣ طن من الدقيق وشنطة تموينية للسلع الأساسية من السكر والزيت والأرز مرتين سنويًا وذلك لتشجيع البدو الرُّحَّل علي الاستقرار ومواجهة مناخ التصحر (جريدة الأهرام، ٢٩ ابريل ٢٠٠٨ م).

الغذاء

الخبز هو الغذاء اليومي لأهل الصحراء، وهناك نوعان من الخبز: الأول يسمى «الرضّاف»، ويتم إعداده بوضع رغيف من العجين على الرمل الساخن، ويوضع فوقه الفحم المشتعل، ويُترك حتى ينضج، والنوع الثاني يسمى «الدوكة»، وهو يشبه الرُّقاق، حيث يُفرد العجين بواسطة عصا، ثم يُوضع فوق صاجة دائريّة على الفحم المشتعل ويُقلّب حتى ينضج. **والعصيدة** هي الوجبة الرئيسيّة، وتتكون من الدقيق والماء والملح. كما يقومون بشيّ اللحم على أحجار البازلت بعد أن يشعلوا فيها النار حتى تسخن وتسمى **بالسلات**.

ومن الطريف أن بعض البدو يربّون الدواجن رغم أنهم لا يأكلونها، ويبدو أنهم يربّونها استمتاعًا بشكلها وحركتها، ويستأنسون بها. وقد حث علماء جامعة جنوب الوادي بأسوان (جامعة أسيوط سابقًا) سكان وادي العلاقي علي تربية الدواجن، والتي لم يسبق لهم تربيتها، وقد نجحت التجربة نجاحًا كبيرًا وأصبحوا يأكلون البيض الطازج لأول مرة في حياتهم. كانت هذه التجربة الناجحة مدعاة فخر للقائمين علي المشروع(٧٦).

والمشروب الأساسي هو «الجَبَنة» (بفتح الجيم)، وهو القهوة المصنوعة من البن والحبّهان والجنزبيل وتصنع في إبريق فخاري والذي يطلق عليه أيضًا اسم الجَبَنة، وتُسد

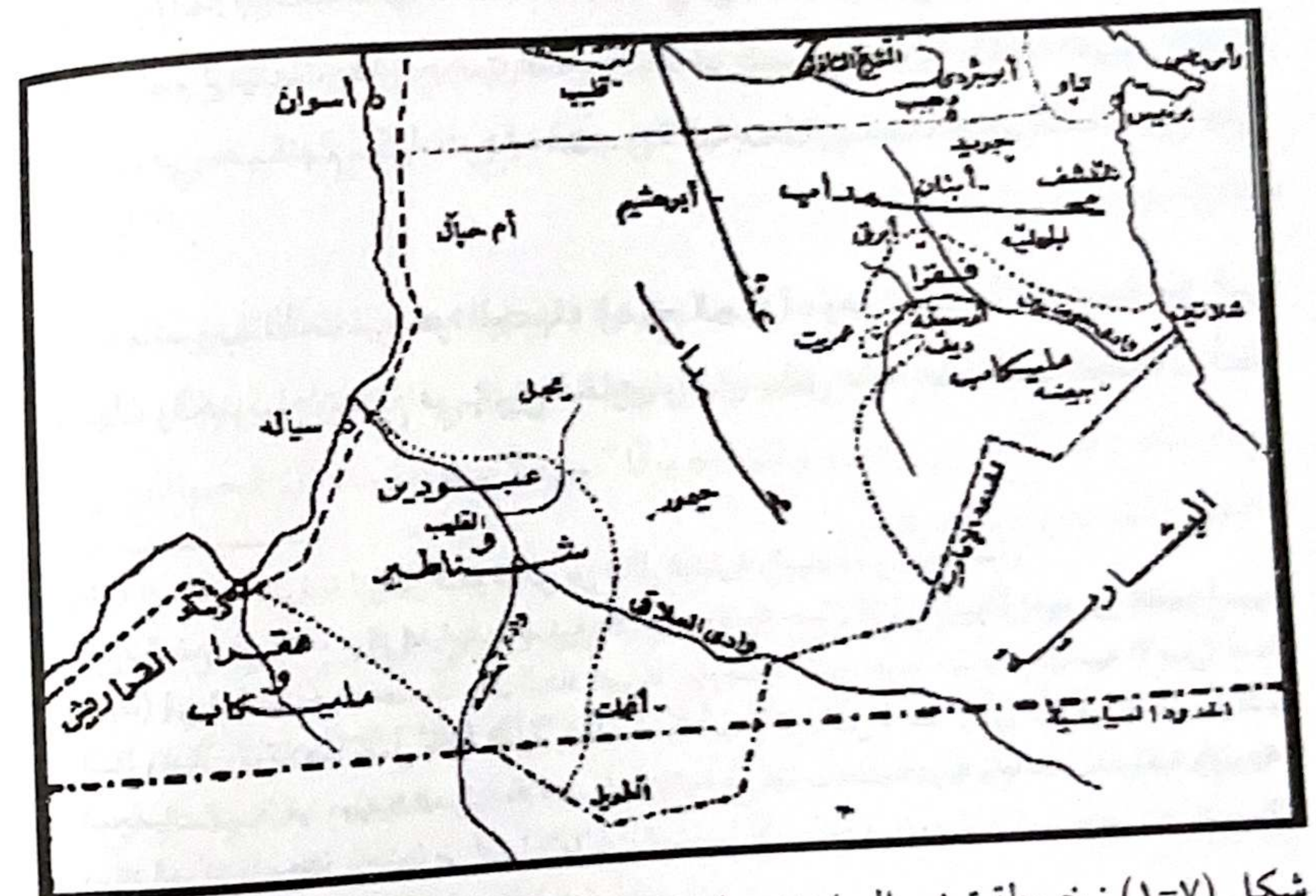
---

(٧٥) قرية العلاقي: أول قرية لتوطين البدو الرحل من قبائل البشارية والعبابدة في شرق أسوان.

(٧٦) يعود الفضل في إنشاء مركز الدراسات البيئية والتنمية بجامعة جنوب الوادي بأسوان (فرع من جامعة أسيوط سابقًا) إلي الدكتور أحمد عصمت بلال أستاذ الفيزياء، وزوجته الدكتورة ايرينا سيرتجل (روسية الأصل) أستاذ البيئة والنبات، وكلاهما يعمل بكلية العلوم بالجامعة، وقد نجحا في جعل منطقة وادي العلاقي واحدة من أشهر المحميات في إفريقيا، وارتبط المركز بعلاقات علمية وثيقة مع هيئات علمية دولية وجامعات أمريكية وأوروبية، ويرتاد المركز والمنطقة باحثون من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، ويقوم عدد كبير منهم بإعداد رسائل الدكتوراه والماجستير علي منطقة المحيط الحيوي لوادي العلاقي.

فوهة الإبريق بقطعة من ليف النخل، وتُصبّ الجَبَنة في فناجين صغيرة جدًا وتشرب أحد عشر مرّة، ومن العيب أن يعتذر الضيف عن تناولها، وفي جميع الأحوال تشرب الجبنة عددًا فرديًا، ومن العيب الشديد شرب عدد زوجي، وإذا أراد الشخص أن يستكفي فلابد أن يكون ذلك بعدد فردي، فيضع أصابعه على فوهة الفنجان (لاحظ تشابه العادات مع دول الجزيرة العربية!)، ويهتم البشاري والعبّادي كثيرًا بحمل أدوات الجَبَنة معه في كل أسفاره.

تعيش قبيلة البشارية أعلي وادي العلاقى علي الحدود مع السودان الشقيق، والنظام الاقتصادي للبشارية هو تربية الإبل والماشية وإنتاج وتجارة الفحم النباتي وتجارة النباتات الطبية بالإضافة إلي بعض الزراعات المحدودة والمؤقتة، وخدمة قوافل الإبل (الدابوكا) التي تمر بالوادي خاصة في فصل الشتاء. ومن الجدير بالذكر أن أكبر تجمعات البشارية تقع علي الحدود مع السودان بحيث إنه من الصعب تحديد جنسيتهم علي وجه الدقة، فليس لهم بطاقات شخصية ويتحركون بحرية كاملة بين البلدين (شكل ٧-١)، والمكان الذي يلجئون إليه يعتمد بالدرجة الأولي علي وجود آبار يتوافر فيها الماء، ومساكنهم الخشبية يستخدمونها عادة في الصيف، ولكن في الشتاء فإنهم يعيشون في خيام تشبه إلي حد كبير خيام العبابدة في مصب الوادي.



شكل (٧-١): خريطة توزيع العبابدة حول وادي العلاقى (بتصرف عن رياض، ١٩٦١ م).

وأقرب المدن إلي مصب الوادي هي مدينة أسوان التي تقع علي بعد ١٧٠كم شمال محمية المحيط، الحيوي، أما مدينة الشلاتين علي البحر الأحمر فهي أقرب المدن لأعالي وادي العلاقى وتقع علي بعد ٢٥٠ كم شرقًا.

كان طريق قوافل الإبل بين السودان ومصر من خلال وادي العلاقى أقصر وأسهل من طريق وادي النيل حيث يضطر المرتحلون لعبور واجتياز الشلالات (الجنادل). وحصون باك (حاليا كوبان) المقامة علي مدخل الوادي بُنيت منذ عهد المملكة القديمة (٢١٨١-٢٦٨٦ ق. م.)، وتدل الرسومات والنقوش من الأسرة الخامسة علي أن استعمال المنطقة لم يكن فقط لقوافل الجمال ولكن أيضًا لاستخراج صخور تستخدم في صناعة التوابيت *Sarcophagi* وكان وادي العلاقى في عهد المملكة القديمة يمثل مكان التقاء المصريين مع القبائل الصحراوية النوبية، وكان يلعب دورًا هامًا جدًا في حياة البدو في هذا الجزء من الصحراء.

وفي معظم روافد وادي العلاقى توجد بقايا مستوطنات لمناجم ذهب قديمة وأهمها منجم أم جرايات والذي يعود تاريخه إلي المملكة الوسطي[٧٧] (١٧٨٦-٢١٣٣ ق. م.) والذي استمر النشاط فيه حتى القرن العشرين، إلا أن أقدم نقوش قدماء المصريين الموجودة تعود فقط إلي المملكة الحديثة (١٥٥٠ ق. م. - ١٠٧٠ ق. م.).

سكان وادي العلاقى القدماء

كان وادي العلاقى منذ فجر التاريخ الطريق الرئيسي الذي سلكه الحاميون الذين تدفقوا إلي مصر، ولعل قبائل العبابدة والبشارية هم من بقايا هذه الموجات المهاجرة، وقد عثر في وادي جبجبة علي آثار ترجع إلي الزمن الحجري الحديث (مقابر، وبقايا تجمعات سكنية، ورسوم ونقوش علي الصخور)، ويدل كل هذا علي وجود أناس كانت ثقافتهم تختلف كثيرًا عن ثقافة سكان وادي النيل، كما تدل علي أن منطقة وادي العلاقى كانت مأهولة بالسكان منذ زمن سحيق. لقد كان وادي العلاقى أكثر من مكان لقاء أو مركز للتحجير وتعدين الذهب يحكمها النفوذ الفرعوني.

---

(٧٧) كان عدد سكان مصر إبان المملكة الوسطي (٢٠٤٠ ق. م. - ١٦٤٠ ق. م.) حوالي ٢ مليون، وزاد العدد أثناء المملكة الحديثة (١٥٥٠ ق. م. - ١٠٧٠ ق. م.) حتي بلغ ٣ إلى ٤ مليون نسمة. وفي العصر الهيليني (٣٣٢ق. م - ٣٠ ق. م.) بلغ العدد ٧ مليون نسمة.

وتوجد في كل رافد من روافد وادي العلاقى تقريبًا بقايا مستوطنات بها مناجم ذهب ، وقد عثر في وادي محاريق علي بقايا مساكن من الحجر استخدمها الرومان والبيزنطيون والعرب ، وهناك مناجم مثل منجم أم جرايات للذهب له تاريخ طويل جدا امتد حتى أوائل القرن العشرين .

كان لنظام وادي العلاقى وجود ملموس وقوي ، وقد تعايش سكان وادي النيل مع البدو الرحل منذ آلاف السنين ، وقبل بناء السد العالي في الستينات من القرن العشرين وإنشاء طريق ممهد يربط وادي العلاقى بمدينة أسوان ، كان سكان الوادي يعتمدون كلية علي الموارد الطبيعية الموجودة في الوادي ، وقد أدي ذلك إلي قيام علاقة ثقافة حميمة بين البشر والحياة والطبيعة ، وعلينا أن ندرس هذه الثقافة ونفهمها جيدًا ونحافظ عليها .

ومن العسير تحديد مجال نشاط اقتصادي يميز المنطقة ككل ، لأن جميع الأنشطة تدور مع الوقت وتعتمد علي الأمطار أولاً وأخيراً ، والتي تسقط مرة واحدة كل بضع سنين ، فمثلاً إن قلّ المرعي ازداد إنتاج الفحم النباتي وهكذا . وقد نشطت مؤخراً عمليات التعدين من استخراج بلوكات الصخور .

٨- تنمية المرأة البدوية بوادي العلاقى

من لى بتربية النساء فإنها   فى الشرق علة ذلك الإخفاق
الأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعبًا طيب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحيا   بالريّ أورق أيمّا إيراق
الأم أستاذ الأساتذة الألى   شغلت مآثرهم مدى الآفاق
أنا لا أقول دعوا النساء سوافراً   بين الرجال يجلن فى الأسواق
يدرجن حيث أردن لا من وازع   يحذرن رقبته ولا من واقى
يفعلن أفعال الرجال لواهيا   عن واجبات نواعس الأحداق
فى دورهن شؤونهن كثيرة   كشؤون رب السيف والمزراق
تتشكّل الأزمان فى أدواره   دولاً وهن على الجمود بواقى
فتوسطوا فى الحالتين وأنصفوا   فالشرّ فى التّقييد والإطلاق

(شاعر النيل : حافظ إبراهيم)

يبدو للوهلة الأولي لزوار وادي العلاقى أن دور المرأة قاصر علي عملها في المنزل فقط ، فالنساء يقبعن بعيدًا عندما يأتي غريب للزيارة وتبقي المرأة علي مسافة تزيد عن ١٠٠ م ، ولكن هذه المسافة تناقصت في الآونة الأخيرة وتعودت النساء علي كثرة تردد الأغراب ، وبدأن علي استحياء في المشاركة في الحوار . والواقع أن دور المرأة ليس قاصراً علي رعاية المنزل ولكنه يمتد ليشمل البيئة المحلية المحيطة ، فهن يهتمون بالموارد المحلية عندما يكون الرجال في مهام في البادية بحثًا عن الكلأ للرعي أو أثناء انشغالهم بتجهيز الفحم النباتي أو في مهام أخري في مدينة أسوان ، وقد يبقي الرجل عدة أسابيع وفي هذه الحالة تكون المرأة هي المسئولة تمامًا عن تسيير الأمور في مجتمعها الصغير ، والطريف أن امرأة من قبيلة الحميداب- قالت في حديث معها – أن وجود الرجل أو غيابه لا يغير من الأمر شيئًا بالنسبة لها ، فهي التي تقوم بالعمل كله في جميع الأحوال .

المرأة والمجتمع البدوي في وادي العلاقى

تعتبر المرأة من الدعائم الهامة في المجتمع البدوي ، فهي تقوم برعاية الأطفا[ل] والطهي وحياكة الملابس ورعي الأغنام في المناطق المجاورة للخيام ، والزراعة في نطا[ق] بسيط ، وتساعد في نصب الخيام عند الانتقال لمناطق جديدة ، وتبذل المرأة مجهو[دًا] كبيرًا في حمل المياه ومسافات الرعي لمسافات طويلة مما أضعف من قدراتها الجسماني[ة] وخاصة مع غياب الرعاية الصحية ؛ والمرأة في وادي العلاقي لا تجيد القراءة والكتابة [و]لا يوجد لها دخل خاص بها ، حتى المهر الذي تحصل عليه المرأة عند الزواج وهو عبار[ة] عن أغنام أو إبل - يختلف حسب المستوي الاقتصادي للأسرة - يستفيد منه الزو[ج] كمصدر لدخل الأسرة .

والجدير بالذكر أن المرأة البدوية هي المسئولة عن اختيار أماكن الإقامة ، وتجهي[ز] المنزل ، ونقل المياه مهما كلفها ذلك من مشقة .

مهام المرأة

يبدو أن مهام المرأة البدوية في وادي العلاقي كثيرة للغاية ، ويعتبر جمع العش[ب] لتغذية الخراف والماعز من أهم مشاغلها بالدرجة الأولي ، وعليها أن تجلب العديد من النباتات ومنها ما يجب أن تجمعه من بحيرة ناصر مثل (الشلبيكة) وهذا يضيف عبئًا كبيرًا علي النساء لأن عليهن الخوض في مياه بحيرة ناصر لجمع النبات وتجفيفه لاستخدامه كعلف عند الضرورة .

والطهي مرتان في اليوم له أولوية كبيرة بالإضافة إلي إعداد الخبز والوجبات الساخنة مثل الفول والعدس والفتّه واللحم ، فهي ضرورية في فصل الشتاء البارد ، والعصيدة (عجينة من اللبن والدهن والدقيق) تعتبر وجبة هامة تؤكل طوال العام .

وعلي المرأة أن تجمع الحطب للطهي وهم يعتبرون أن شجرة الأثل *Tamarix* من أحسن أنواع الوقود ، وأحيانا يستخدمون الأقمشة القديمة أو المتاع المستهلك ، والنفايات كوقود بدلا من الخشب ، ونادرًا ما يستخدمون وابور الجاز ، لارتفاع ثمن الكيروسين!

وعلي المرأة إحضار الماء من الآبار أو البحيرة للطهي والشرب والري ، وبسبب تذبذب منسوب البحيرة الذي قد يصل إلي ٦م يزداد العبء علي المرأة وخاصة عندما يتراجع شاطئ البحيرة في الربيع والصيف .

وتعتبر رعاية الأطفال والعناية بقطيع الماعز والخراف واجب مقدس عند المرأة ، ولذلك فالكثير من الزوجات صغيرات السن تقمن بالقرب من أمهاتهن طلبا للمساعدة ، وفي جميع الأحوال فإن المرأة مسئولة عن صحة حيوانات الأسرة ورعايتها .

والمهمة الأخيرة للمرأة هو نقل المنزل بعيدًا عن مناطق الغمر بمياه البحيرة أو عن تراجع شاطئ البحيرة سريعًا ، وبالرغم من أن قرار الانتقال قرار رجالي إلا أنه في غيبة الزوج فالمرأة تجد نفسها مسئولة عن اتخاذ القرار ، وتنفيذ هذا القرار يلزمه الكثير من العمل المرهق والمجهود .

وتمتاز المرأة البدوية بحرفية ماهرة في الأشغال اليدوية ، فهي تجيد استخدام المتوافر لديها من الخامات البيئية ، وعمل الكثير من المنتجات منها مثل صوف الأغنام والذي يصنع منه السجاد الشهير والذي يسمي (الشملة) ، والحقائب الجلدية من جلد الماعز ، كما تنتج منها (قرب) لحفظ المياه نظيفة وباردة ، كما تصنع السلال بأنواعها من سعف النخيل وتجدل الحبال من جلود الماعز والتي تفوق في متانتها مثيلاتها المصنوعة من صوف الخراف . إن المرأة البدوية ماهرة ولا شك في الصناعات النسيجية والزخارف .

ومن المثير للإعجاب بالمرأة البدوية كثرة الواجبات التي تقوم بها في نفس الوقت مثل حمل الأطفال والعناية بهم والطهي ورعاية الغنم ومتابعة الأولاد الذين يرعون الغنم .

علاقة المرأة البدوية بالغنم

يغلب علي الاقتصاد البدوي تربية وتجارة الخراف والغنم ، ويبدو ظاهريًا أن هذا العمل يختص به الرجال من دون النساء لأنهم الذين يذهبون بالقطيع سعيًا وراء المرعي في المناطق المحيطة بوادي العلاقى ويرعون الحيوانات بيطريًا ، ومن المعروف أن النساء لا تحلب الغنم أبدًا ولا تذهب إلي السوق للتجارة فيها ، وبالرغم من ذلك فإن المرأة البدوية لا تستغني أبدًا عن الأغنام ، فهي تربدها بجوارها سعيًا وراء لبنها ، وهي التي تعتني بصغار الماعز والتي عادة لا تتبع أمهاتها علي عكس صغار الخراف ، والأهم من ذلك أن البدوية - بموروثها الحضاري - تري أن الغنم ، علي وجه الخصوص ، جزء لا يتجزأ من محتويات البيت ، فوجود الخراف عندهم يعني (البركة) ، وهناك قول مأثور إن المرأة إذا امتلكت ولو خروفًا واحدًا فهي امرأة ثرية ، ويعني امتلاك الغنم الثروة ، وهناك من يعتقد أن كلمة (غني) لها علاقة لُغوية بكلمة (غنم) ، كما أنهم يعتقدون أن الخراف

لها بركة دينية ، وكيف لا وهم يعلمون جيداً أن الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، كان راعيًا للغنم .

وبالرغم من التحفظ الشديد في تغذية الحيوان فإن النساء لديهن معرفة جيدة بالبيئة المحيطة وأنواع المرعي في المناطق القريبة . ويمكن تلخيصها في الأنواع الآتية :

- **الحشيش** : وهو تسمية عامة تشمل أعشاب كثيرة متنوعة لا يعرف البدوي لها اسمًا .
- **الترويه (حشيش العقرب)** : ويمكن جمعه من شاطئ بحيرة ناصر مباشرة بعد تراجع مائها ، ويعمل البدوي علي تجفيفه قبل تقديمه للماشية .
- **شيلبيكة** : وهو نبات مائي يحصد من داخل البحيرة ويجفف جيدًا قبل تقديمه للماشية وإلا سبب لها إسهالاً شديدًا .
- **أثل أو طرفة** :*Tamarix* وعادة تجمع النباتات الصغيرة فقط لأن الأنواع الكبيرة شديدة الملوحة ، ولذلك فالعلف يجمع من الأشجار في البحيرة بقدر الإمكان وتغذية الخراف بها ، وبعض النساء يُرجعن سوء مذاق اللبن لأكلها الأثل والذي يعتقدن أنه علف جيد للإبل فقط .
- **أوراق شجر الطلح والسنط** : وأحسن الأنواع تنمو في مصب وادي العلاقى ويسمي *Acacia ehrenbergiana* (سلام) و *Acacia radianna*(سما) .
- **النجيلة** : وهذا الاسم يطلقه البدو علي أربعة أعشاب صغيرة تنمو علي شاطئ البحيرة ، ولا يستطيع البدوي التمييز بين الأنواع الأربعة .
- **الحنضل** : وهي من النباتات المتمددة (المنبطحة) *Prostrate* تأخذ شكل فاكهة الليمون ، وهي مليئة بالبذور التي تجفف وتقدم كطعام للماشية .

المرأة البدوية والزراعة

المرأة البدوية في وادي العلاقى لا تهتم بصفة عامة بالزراعة ولديها في ذلك عدة أسباب يمكن تلخيصها فيما يلي :

- مشكلة نقص المياه خاصة عندما يبدأ شاطئ البحيرة في التراجع في الربيع ، ولمواجهة ذلك أقامت المحافظة بعض الطلمبات اليدوية أسفل وادي أم عشيرة

وادي قليب ولكنها أثبتت أنه لا يمكن الاعتماد عليها ، واثنتان منهن تعطلن تمامًا خلال فترة وجيزة .

- اقتحام الماشية والحيوانات والطيور البرية لأحواض الزراعة وأكل المحصول وتدميره ، وقد حاولت النساء حماية الأرض المنزرعة وتسويرها بوسائل مختلفة ولكنهن لم ينجحن في ذلك النجاح الذي يشجعهن علي الاستمرار في محاولة الزراعة ، وقد سعين لذلك في زراعة محاصيل مثل الكركديه والبطيخ والطماطم ونباتات لا تقبل عليها الماشية وقد نجحن في ذلك إلي حد ما .
- تفاوت المستوي المعيشي للعائلات فمنهن من تستطيع الإنفاق علي تجربة الزراعة ومنهن من يشكل ذلك عبئًا عليهن .

وعلي أي حال فهناك بعض نساء البدو - وخاصة من قبيلة السادنياب - متحمسات لزراعة علف الماشية مع عمل الاحتياطات اللازمة لحماية المحصول من تدمير الحيوانات ، فقد قام مشروع الجاد GAD بدعم هذه المحاولات التي تبذل في نشر المزارع الصغيرة .

المرأة البدوية والأسواق التجارية

نادرًا ما تذهب المرأة البدوية إلي المدينة للتسويق ، وبالرغم من وجود بعض الاستثناءات فإن نساء البدو يفضلن البقاء في الصحراء عن التردد إلي المدن ، وبعض العائلات مثل اليوسيناب فضّلن الهجرة من وادي قليب والإقامة في أسوان .

وفي سوق الغنم يوجد تفاوت كبير في الأنواع المعروضة من الخراف ، وأهمها النوع البلدي والنوع الصحراوي (البشاري) حيث يفضل النوع الأول لوفرة اللحم والصوف فيه بسبب تغذيته بالبرسيم فترة طويلة قبل بيعه ، أما غنم البشارية ويسمي أيضا كرجاوي وبرجي وجزهاري ، فيتميز بالسيقان الطويلة والأذن الكبيرة وقلة الصوف وهو إلي الماعز أشبه ، والمعروف أن مصدر الخراف البشارية ووادي العلاقى والسودان ، وتنعكس هذه الصفات علي سعر الخراف كثيرًا .

ويتاجر البشاريون في الغنم أكثر من العبابدة ، ويقال إنه في أيام ما قبل البحيرة كان العبابدة يأنفون من تجارة الخراف بسبب عدم احترامهم لهذه المهنة إلا أن الوضع قد تغير

حاليًا . والطريف أن بنو العلاقي يستخدمون أقاربهم الذين يعيشون في أسوان ... لتسمين الخراف قبل بيعها في المواسم بثلاثة أو أربعة أشهر فيطعمونها البرسيم والذرة لزيادة اللحم بها وتحسين مذاقه .

أصبح خروج النساء مع الرجال للرعي أمرًا نادرًا ، فقد شجع وجود المياه في أسفل وادي العلاقي علي الاستقرار وبالتالي صارت المرأة أكثر التصاقًا بالمكان والبيئة المحيطة بمكان السكن ، وبالوقت قلت خبرة النساء كثيرًا عن خبرة الرجال ، فالرجال دائمو التنقل ومقابلة ناس آخرين سواء في الصحراء أو في الحضر ، وحتى في وادي العلاقي نفسه فالرجل هو الذي يتعامل مع العابرين والزوار وبقيت المرأة منعزلة عن المجتمع المحيط بها ، ونتيجة لذلك ازداد التصاق المرأة بشاطئ البحيرة وندر ذهابها إلى التلال .

تغير نوع العلف الذي يقدم للحيوانات فأصبحت الحشائش التي تنمو بالقرب من البحيرة ثم تجفف وجبة مفضلة للقطيع ، هذا بالإضافة إلي شجيرات الأكاشيا والأثل . كما صار الفارق بين مواسم السنة كبيرًا ، فنباتات البحيرة وفيرة طوال العام ولكن جمعها عملية صعبة ومرهقة وأصبح من الضروري جمع كميات كبيرة من الخضرة الرطبة لتحضير علف جاف بكميات قليلة ، ومن ناحية أخري فالحشائش والغطاء النباتي مثل (الشليكا) أصبح متوافرًا عندما ينخفض مستوي البحيرة فيسمح لهذه النباتات بالنمو . وفي المدة من يناير إلي يونيو/ يوليو تصبح المنطقة صالحة للرعي ، وفي ابريل/ مايو يصبح الحصول علي الخضرة أمرًا عسيرًا وذلك لندرة الأكاشيا وارتفاع نسبة الملوحة في أوراق الأثل (*Tamarix*) كما أن ارتفاع منسوب البحيرة في الخريف والشتاء يغمر أشجار الأثل الموجودة في وادي العلاقي ويصبح من الصعب جمعها .

والمشكلة الثالثة التي تعوق نشاط المرأة هي تعدد المهام الموكلة إليها ، فبالإضافة إلي رعاية الأطفال والأقارب من كبار السن والطهي والتنظيف فإنها تقوم بجمع الحطب ونقل الخيام إلي أماكن جديدة عند تغير منسوب البحيرة .

وقد قامت وحدة الدراسات البيئية والتنمية بجامعة جنوب الوادي بأسوان من خلال مشاريع عدة تعرف بالجاد (*Gender & Development*) بمحاولة التغلب علي مشكلة الفقر ، وتنمية المجتمع ، وتدعيم دور المرأة في رفع مستوي المعيشة للأسرة .

وقد اتخذت هذه المشاريع بعدين أساسيين وهما :

- رفع المستوي الاقتصادي للأسرة وذلك بعمل مزارع صغيرة تديرها الأسرة وتزويد البدو بكل إمكانات الزراعة .
- رفع المستوي الثقافي والعلمي والاجتماعي للأسرة ، وذلك بتعليم الأطفال بمختلف الأعمار مبادئ القراءة والكتابة متبعين منهجًا بسيطًا يتناسب إلي حد كبير مع بيئتهم متخذين من عناصر البيئة كأسماء النباتات والحيوانات والطيور والأدوات التي يستعملونها في حياتهم اليومية منهجًا دراسيًا لهم .

واستكمالاً لهذه المشاريع ، ولمساعدة الأسرة في تدبير دخل إضافي لها ، خاصة بعد فترة الجفاف الطويلة والتي قد تزيد عن خمسة أعوام ، والتي تؤثر تأثيرًا بالغًا على الأسرة بشكل عام وعلى المرأة والطفل بشكل خاص نمت فكرة تنمية المشغولات اليدوية والتي تهدف إلى :

- رفع المستوى الاقتصادي للأسرة .
- تدعيم دور المرأة في الأسرة وإعطائها الشعور بالثقة بوجود دخل خاص بها .
- المحافظة علي التراث المهدد بالاندثار لقلة الموارد الخاصة بها .

وقد تطورت هذه المشروعات من خلال دعم قسم التنمية الدولية والمجلس الثقافي البريطاني في إطار التعاون الأكاديمي بين وحدة الدراسات البيئية والتنمية بجامعة جنوب الوادي بأسوان- مصر- وجامعة جلاسجو باسكتلندا بالمملكة المتحدة ، والتي تركزت على الفهم البيئي في منطقة وادي العلاقي .والهدف من المشروع ما يلي :

- إنشاء جمعية غير حكومية للمرأة تحت اسم «جمعية تنمية المرأة والحفاظ على البيئة» بأعضاء من المجتمع البدوي في وادي العلاقي وكذلك من الأكاديميين الذين يعملون في أسوان .
- دعم أنشطة المرأة البدوية في بعض الزراعات الصغيرة .
- تطوير ومواصلة برنامج محو الأمية للأطفال والسيدات .
- دعم التنمية من خلال الحرف اليدوية للمرأة في المنطقة .

وقد تمت إنجازات مباشرة تتلخص فيما يلي :

- إشهار جمعية تنمية المرأة والحفاظ على النظام البيئي بوادي العلاقى .
- دعم المزارع الصغيرة الخاصة بقبيلتي السيدناب والبشارية المقيمة في هذه المنطقة والذين يقومون بزراعة مساحات صغيرة لدعم الرعي وتوفير الغذاء والذي له تأثير ايجابي على مصداقية وجودة الغذاء الصحي الذي تمدهم به والذي يظهر أثره جليًا على صحة المرأة والطفل .
- استمرار برنامج محو الأمية لعدد كبير من النساء والأطفال ، ففي خلال أقل من عام تعلم الأطفال الصغار الحروف والكلمات في حين أن الأطفال الأكبر تعلموا أشياء أكثر من ذلك واستطاع بعضهم تعلم بعض العمليات الحسابية .
- إنشاء شبكات داخلية للإمداد والتسويق لمنتجاتهم من الحرف اليدوية .

أما الإنجازات غير المباشرة فتتلخص في كسب الثقة لدى المرأة البدوية والتي استطاعت إدخال الزراعة للمجتمع البدوي ، وإنجازهم وأطفالهم السريع في برنامج محو الأمية .

تعمل العديد من الجمعيات في ظروف شديدة الصعوبة وفى أماكن نائية ومع مجتمعات تفتقر إلى الموارد وإلى الحياة مثل باقي المواطنين ، وتقوم هذه الجمعيات بدور متميز وبالغ الصعوبة حيث تضع على كاهلها مساعدة مواطنين مهمشين بعيدًا عن الأضواء ، ومن أهم هذه الجمعيات «جمعية تنمية المرأة والحفاظ على البيئة بوادي العلاقى بمحافظة أسوان» .

تهتم هذه الجمعية بالارتقاء بمستوى مشاركة المرأة في جميع المجالات وتنمية دخلها على مستوى القبائل الموجودة بالوادي وإتاحة فرص عمل للشباب مع برامج محو الأمية وتشجيع السياحة البيئية والاهتمام بتبادل الخبرات بين المرأة الحضرية والبدوية بالوادي كذلك الحفاظ على طبيعة المنطقة البدوية . ومن أنشطة الجمعية عقد الندوات ، الاهتمام بالعمل التطوعي للمرأة ،عقد الحلقات الدينية وتحفيظ القرآن الكريم ، وإرسال البعثات الطبية ، وتشجيع المشاريع الاقتصادية للأسرة . والجدير بالذكر أن هذه الجمعية تعمل بجوار المحمية الموجودة بوادي العلاقى والتي يعيش فيها مواطنون من قبائل العبابدة والبشارية .

طرق الارتقاء بالأوضاع الحالية للبدو ومشاركة المرأة

هناك الكثير مما يجب عمله للارتقاء بالأوضاع الحالية للبدو وبالتالي الارتقاء بمستوى مشاركة المرأة في جميع الظروف وتنمية دخلها وكذلك الحفاظ على طبيعة المنطقة كمحمية طبيعية ، ومنها :

١- توفير المياه العذبة بحفر آبار جديدة حيث إن المنطقة تحتوى على بئر واحد يستخدم من قِبل البدو والذي يصل عددهم إلى أكثر من ٥٠٠ فردا مما يشكل ضغطًا على مورد المياه الوحيد .

٢- توفير الرعاية الصحية لهم ولحيواناتهم وذلك عن طريق بعض القوافل الطبية في كافة التخصصات والمتابعة الدورية وإنشاء وحدة صحية .

٣- توفير أساسيات الحياة لهم من مأكل وملبس عن طريق إنشاء جمعية تعاونية وتدريبهم على إدارتها وإمدادهم بما يلزمهم من المواد الغذائية .

٤- سكان البدو في هذه المنطقة من مكونات المحمية لذا يجب علي إدارة المحميات بجهاز شئون البيئة وضعهم في خطة الإدارة ورعايتهم وحل مشاكلهم .

٥- تقييم الوضع الحالي للثروة الحيوانية هناك من (الإبل والماعز والغنم) وذلك لاقتراح بعض الطرق التي يمكن بها زيادة الإنتاج الحيواني .

٦- عمل بعض الأبحاث المستقبلية لرؤية كيفية الاستفادة من الطاقة الشمسية وطاقة الرياح إن وجدت .

٧- زيادة الوعي تجاه أهمية المحافظة على الهُوية التي يتمتع بها هؤلاء البدو .

٨- الاستفادة من حفر الآبار في زراعة النباتات الصحراوية الموجودة داخل المنطقة واستعمال أحدث أساليب الري للحفاظ على المياه خاصة النباتات التي تستخدم لغرض الأكل والرعي وكذلك الأشجار المعمرة .

٩- عمل بعض الدورات التدريبية لإمكان الاستفادة من بعض الموارد الطبيعية الموجودة هناك لعمل بعض الحرف مثل عمل الخوص والاستفادة من أصواف الغنم .

١٠- فتح فصول محو الأمية بمناهج تتناسب مع المجتمع البدوي .

١١- عمل ورشة عمل ليوم واحد وذلك لتوضيح جميع الظروف المحيطة بهؤلاء البدو وذلك لجذب بعض الجهات والهيئات المانحة لدعم التنمية في هذه المنطقة .

١٢- علي جمعية تنمية المرأة والحفاظ على البيئة بوادي العلاقي أن تأخذ على عاتقها تنفيذ بعض المشروعات إن وجدت التمويل المناسب حيث يوجد بها كفاءات دُرِّبت على أعلى مستوى في وحدة الدراسات البيئية والتنمية بجامعة جنوب الوادي .

٩- محمية وادي العلاقي، ومشروع زراعة النباتات الطبية

(ليكن غذاؤك دواؤك . . . وعالجوا كل مريض بنباتات أرضه فهي أجلب لشفائه)

(أبو قراط)[٧٨]

أعلنت محمية وادي العلاقي عام ١٩٨٩ م في مساحة ٣٠٠٠٠ كم٢ كمحمية صحراوية ، ثم تم تضمين هذه المحمية قائمة محميات المحيط الحيوي تحت إشراف منظمة اليونسكو عام ١٩٩٣م وهي تضم منطقتين للمحيط الحيوي .

ووادي العلاقي عبارة عن نهر جاف كبير كان ينبع من تلال البحر الأحمر ، وبعد بناء السد العالي وامتلاء بحيرة ناصر بالمياه في عام ١٩٦٧ م دخلت إليه المياه وأصبح جزءاً من البحيرة ثم انحسرت المياه عن جزء كبير من الوادي نتيجة انخفاض منسوب المياه بالبحيرة في السنوات الأخيرة .

ويقع وادي العلاقي علي بعد حوالي ١٨٠كم جنوب أسوان في الجهة الشرقية من بحيرة ناصر ويمتد الوادي حوالي ٢٧٥كم في اتجاه جنوب شرق- شمال غرب ومتوسط عرضه حوالي كيلومتر واحد . وقد غُطي الوادي وفروعه بالرسوبيات الحديثة من طمي ورمال بعد أن غُمر جزء كبير منه بمياه بحيرة ناصر جعلته خصيبًا وصالحًا لنمو النبات البرية وللزراعة .

محمية المحيط الحيوي

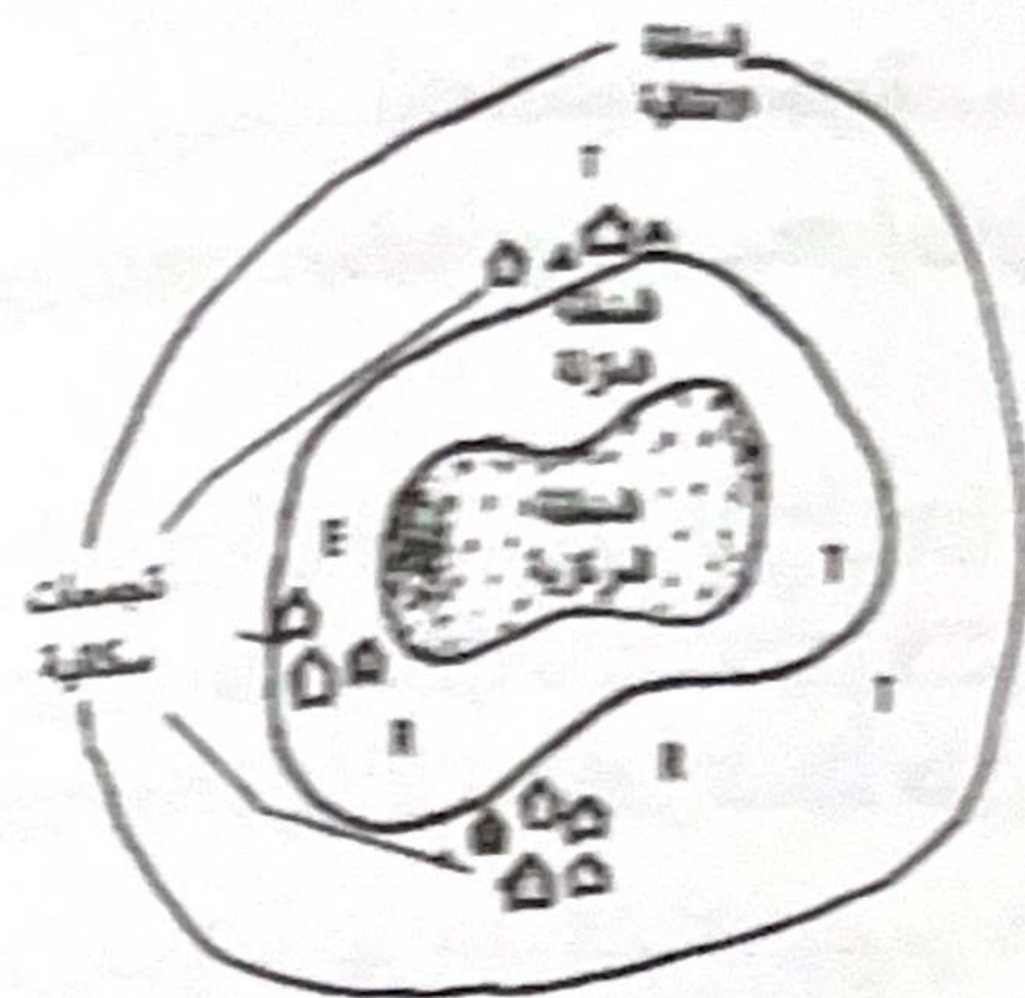
ينقسم المحيط الحيوي إلي ثلاث مناطق ذات صلة وثيقة ببعضها البعض (٩-١) ، وهذه المناطق هي :

١- المنطقة المركزية. *Core zone*

٢- حرم المحمية *Buffer zone* (المنطقة العازلة) .

(٧٨) أبو قراط "٤٦٠- ٣٥٧ ق .م" : ولد في جزيرة قوص (*Cos*) باليونان ؛ كان أبو قراط من أشهر أطباء القرن الخامس قبل الميلاد ، وكان أهم أعماله سعيه لفصل الطب التطبيقي - أو التطبيب - عن الدين والفلسفة ، إيمانًا منه بأن الأمراض تنشأ من أسباب طبيعية ، وليست من عمل الآلهة . وقد حظي الطب الوقائي بنصيب وافر من مؤلفاته ، وكان مقلاً في استخدام العقاقير نسبيًا ، وكانت خير وسيلة للبرء - وفي رأيه - هي التزام نظام مناسب في التغذية ، واتباع حياة معتدلة . وأهم ما اشتهر به القَسم المعروف باسمه .

٣- المنطقة الانتقالية *Transitional zone*



R= محطة أبحاث ، M= تفتيش وتسجيل

E= تعليم وتدريب ، T= سياحة وترويح

شكل (٩-١) : مناطق محمية المجال الحيوي .

المنطقة المركزية

توجد المنطقة المركزية للمحمية ومنطقة حرم المحمية في مهابط وأعالي الوادي ويفصل بينهما حوالي ١٥٠ كم (شكل ٩-٢) .



شكل (٩-٢) : محمية المحيط الحيوي (*Biosphere Reserve*)

المنطقة المركزية الأولي

وتشمل وادي القليب ووادي أم عركة ووادي حيمور ، وهذه الروافد توجد في مهابط وادي العلاقي ، وأحياناً تحدث في هذه الروافد عواصف محلية ممطرة ، آخرها كان في نوفمبر ١٩٩٦ م ، تبعها عامان كاملان بدون أي أمطار ، ولذلك يكون الغطاء الخضري عبارة عن تجمعات نباتية متباعدة وتكون هذه المجتمعات النباتية في هذه الأحوال مليئة بأشجار السنط وقليل من الأشجار الدائمة التي تقاوم الجفاف ، وكثيراً ما تشاهد الغزلان في هذه المنطقة وخاصة في فترات انعدام المطر ، والمنطقة المركزية تضم جزءاً واحداً متماسكاً ببعضه ويكوّن نظاما بيئياً متكاملاً للوادي الصحراوي .

المنطقة المركزية الثانية

وتقع في أعالي حوض وادي العلاقي وتسمي ايجات (ايقات) ، حيث يقع جبل ايجات الذي يبلغ ارتفاعه ١٥٠٠ م فوق سطح البحر بينما ارتفاع سطح الوادي نفسه حوالي ٥٠٠م تقريبًا فوق سطح البحر ، والظروف البيئية يتم تحديدها عن طريق درجة الجفاف علي الرغم من أنها أكثر رطوبة من مهابط الوادي ، وبسبب تأثير البحر الأحمر وجود فرصة أكبر لسقوط الأمطار وجريان الماء من تلال البحر الأحمر ، وتتميز منطقة ايجات في أعالي الوادي بثرائها في الأنواع البيولوجية مقارنة بمنطقة مهابط الوادي حيث إن ما يزيد عن ١٠٠ نوع من النباتات أو العائلات النباتية تم تسجيلها منذ زمن بعيد ، ومن بين هذه النباتات العديد من الأنواع النباتية النادرة ذات القيمة الاقتصادية العالية ؛ والمنطقة غنية بالثدييات وخاصة الغزال .

تعتبر تربية الحيوانات للبدو الرحل والمحليين النشاط الوحيد المسموح به في المنطقتين المركزيتين ذلك لأن الهدف الرئيسي من تحديد المنطقة المركزية هو الحفاظ علي التنوع الحيوي بدون أو بأقل تدخل من النشاط البشري ، والرعي عملية طبيعية في المناطق الجافة ولا يمكن الاستغناء عنه ، وهو نشاط تمتد جذوره آلاف السنين ، ولا شك أن الرعي الانتقائي يتحكم في دينامية التجمعات النباتية ولا يمكن إهماله ، وإذا أخذنا في الاعتبار أن الرعي يتم عقب هطول الإمطار - الأمر الذي لا يحدث إلا نادراً وكل بضع سنين - لذلك فلا خوف من سوء استخدام الموارد النباتية . وفي منطقة

ايجات (ايقات) المركزية علي سبيل المثال لا يمكن أن يصبح الرعي مشكلة لـ بسيط وهو أن البدو الرحل لهم إستراتيجيتهم الخاصة في الحفاظ علي إدارة المنا (انظر الفصل السادس) دون إلحاق الضرر بالبيئة ، ولكن في منطقة القلب - علي عكس تلك - فقد يلحق بها بعض الدمار نتيجة لزيادة السكان بالقرب من الشاطئ واتجاه الب إلي الاستقرار المؤقت في هذه المنطقة خاصة بعد إنشاء الطريق الأسفلتي بين أسوا ووادي العلاقي والذي يخترق وسط منطقة القلب المركزية .

وعندما بني السد العالي امتلأت بحيرة ناصر بالماء في المدة بين ١٩٦٧م و١٩٧٢م ووصلت إلي مصب وادي العلاقي الذي أضحي جزءاً من البحيرة . غمرت مياه البحيرة حوالي ٨٠كم من وادي العلاقي والذي ظل تحت الماء لعدة سنوات ، وعندما انخفض منسوب البحيرة عام ١٩٨٠م تراجعت المياه مسافة ٤٠ كم تاركة وراءها رواسب من الطمي في باطن الوادي الذي أصبح مكشوفاً علي سطح الأرض ، وقد أدي ذلك إلي نمو كثيف لنبات الأثل *Tamarix* وتكوّن بالتالي نظام بيئي حيوي جديد (*Ecosystem*) .

المنطقة العازلة

تتكون محمية المحيط الحيوي لوادي العلاقي من منطقتين عازلتين رئيسيتين :

- وادي قليب الموجود أسفل الوادي
- منطقة ايجات (ايقات) الموجودة أعلي الوادي بالقرب من جبل ايجات .

منطقة ايجات (ايقات) العازلة (*Buffer zone*)

ويمارس فيها السكان كافة أنشطة الرعي المسموح بها في المناطق المركزية ، ولكن نظرًا للطبيعة الطبوغرافية للمنطقة العازلة والتي هي عبارة عن هضبة صحراوية في الجزء الشمالي من المنطقة حيث تنمو النباتات - حتي بعد هطول المطر المحدود للغاية - وعليه فإن قيمة المنطقة للرعي قليلة جداً ، والجزء الجنوبي من المنطقة العازلة تشمل المجري الرئيسي لوادي العلاقي حيث تكثر الأشجار الخشبية ، وهذه المنطقة هامة للرعي وخاصة في السنوات الجافة التي لا تنمو فيها نباتات تصلح كمرعي ولا توجد سوي الأشجار كغذاء .

١- منطقة قليب (قوليب) العازلة (*Buffer zone*)

تتشابه منطقة قليب مع منطقة ايجات في أن النشاط الأساسي بها هو تربية الماشية ، والمنطقة غنية بالتنوع الحيوي والمرعي أكثر كثافة في الجزء الشمالي من المنطقة المركزية عن الأراضي الجافة في الجزء الجنوبي من المنطقة العازلة ، إلا أنه يجب الأخذ في الاعتبار أن التنوع الحيوي مرتبط بوقت محدد ويعتمد علي التذبذب الموسمي لمستوي منسوب البحيرة ، بالإضافة إلي أن عدداً محدوداً للغاية يقيم بصفة مؤقتة في المنطقة ، وأن حركتهم داخل مساحة صغيرة تعتمد علي مدي انحسار ماء البحيرة .

ويقوم البدو بالزراعة في مساحات صغيرة من المحمية لا تتجاوز بضعة أمتار مربعة تكفي لإنتاج العلف لحيواناتهم وبعض الخضروات للاستخدام المنزلي .

النشاط الاقتصادي في المنطقة الانتقالية (*Transitional zone*)

تعتبر تربية الماشية أهم الأنشطة لدي مجتمعات البدو بالإضافة إلي جمع النباتات الطبية ، كما يقومون باستخراج بعض المعادن الاقتصادية ، والصناعات الضارة بالبيئة مثل تحضير الفحم النباتي فإنها لا تؤثر علي الغطاء النباتي لأن البدو لا يستخدمون إلا الأشجار الميتة لهذا الغرض ، والزراعات الصغيرة لا تؤثر علي المساحات المحيطة لأنها مؤقتة ، والزراعة تتم في مساحات صغيرة ويقوم بها البدو المقيمون ، وتوجد في الشمال الغربي بعض المساحات الأكبر من محيط المحمية الحيوي . والنشاط التقليدي للبدو اللذين يعيشون في وادي العلاقي في المحمية لا يسبب أضرارًا بيئية حيث إنه لدي البدو إدارتهم وإستراتيجيتهم الخاصة للحفاظ علي مواردهم الطبيعية فهم لا يستخدمون الأسمدة الكيماوية أو المبيدات الحشرية علي الإطلاق .

والمساحات الكبيرة المنزرعة حول شواطئ البحيرة في منطقة توجومي في محمية المحيط الحيوي فإنها تلوث المناطق المحيطة بها لاستخدامهم الحرث والأسمدة الكيميائية ، وأسوأ تدمير للبيئة يحدث نتيجة لاستخدام المبيدات مسببة وفاة الكثير من صور الحياة علي البحيرة وداخلها ؛ وبالرغم من أن استخدام المبيدات ممنوع بالقانون إلا أنه بدونها لا يمكن أن تتم الزراعة .

وقد قامت وحدة دراسات وادي العلاقى بجامعة جنوب الوادي بنشر أكثر من ٤ بحثًا علميًا وأكثر من عشرة تقارير علمية منذ عام ١٩٨٠م ، وتعتبر هذه المنطقة من أغنى المناطق المصرية في التنوع البيولوجي .في المحيط الحيوي . وقد استطاع علماء النبات ، وخاصة سبرنجيل ومورفي عام ١٩٨٩م ، تسجيل ٨٩ نوعًا من النباتات العليا ، وازداد العدد بعد ذلك إلي حوالي ١٣٩ نوعًا بالرغم من ندرة الأمطار منذ عام ١٩٩٥م ، أما مجري الوادي الرئيسي فتزدهر فيه أشجار الأكاشيا المتناثرة والمتباعدة ، ولا توجد أي نباتات أخري في مجري الوادي اللهم بعض الأنواع الموسمية ، وعندما تسقط الأمطار تنمو النباتات السنوية قصيرة العمر في باطن الوادي ويزدهر أعالي الوادي بالشجيرات ، وفي بعض الأماكن تصل كثافة النباتات إلي درجة يمكن وصفها بالغابة الصحراوية المفتوحة الغنية بأشجار الأكاشيا *Acacia* ، والاهليج *Balanites aegyptiaca* ، و*Salvadore persica* .

زراعة النباتات الطبية المتوطنة

عرف الإنسان منذ فجر التاريخ الأعشاب الطبية وفوائدها العلاجية المختلفة ، فقد برع الصينيون والمصريون القدماء في علم العلاج بالأعشاب ؛ حيث استخدموا العديد من هذه الأعشاب في علاج الكثير من الأمراض بالإضافة إلى استخدامها في التحنيط ، وكذلك في أمور الزينة والتجميل ، مثل نبات البِلاَّدونَّا (ست الحسن)[٧٩] الذي استخدمته النساء بكثرة لتوسيع حدقة العين .

(٧٩) ست الحسن :*Atropa belladonna* نبات جميل ينبت في البلاد الحارة والمعتدلة ، وهو عشب وليس شجرة برية يبلغ ارتفاعه ٦٠٠ إلي ٤١٥٠ سم ، جذوره غليظة وساقه قوية منتصبة وأوراقه بيضاوية الشكل دهنية ، أما زهور ست الحسن فهي علي شكل جرس أحمر ، جميلة الشكل ولها ثمار خضراء ثم يتحول لونها كزهرة حمراء ثم تتحول إلي اللون الأسود بعد النضج ، وهي لا تؤكل لأنها سامة ، وتنضج لإنتاج البذور . يعتقد أن الاسم بلادونا يشير إلى استخدامها من قبل النساء الإيطاليات لتوسيع حدقات عيونهن مما يجعلهن أكثر جاذبية . كما استخدمت عبر القرون الماضية لترخية الأعضاء المتمددة وبخاصة المعدة والأمعاء لكي تساعد على زوال المغص المعوي والألم بالإضافة إلى معالجتها القروح الهضمية وذلك عن طريق خفض الإنتاج للحمض المعوي . كما أنها ترخي المسالك البولية مما يزيل تشنجاتها . وكان الأقدمون يعالجون بها مرض الشلل الرعاش المعروف بمرض باركنسون ، حيث تخفض الرعاش والتصلب وتحسن منطق المريض وحركته ، وفي الطب الحديث تستخدم كمهدئ للأمراض العصبية والتنفسية وتوسيع حدقة العين .

يتم الاعتماد علي الأعشاب منذ القدم كدواء ، مثل حلف البر ، الدمسيسة ، الحرجل ، الحنظل . . .الخ . وقد أكدت ندوة الأعشاب التي نظمها مركز السموم بطب القاهرة في شهر مارس ٢٠٠٨ م أن ثروة الأعشاب في مصر قد انقرضت بنسبة ٥٠ ٪ ، وأرجعت الندوة سبب فقد هذه الأعشاب إلي دخول الحياة المدنية للصحراء ، والاستخدام السيئ لهذه النباتات ، واستنفاد العطارين لها (جريدة الأهرام القاهرية ٢١مارس ٢٠٠٨ م) .

والهدف العام من المشروع هو امتداد التنمية المستدامة بوادي العلاقى ليشمل زراعة النباتات المتوطنة بالوادي ، على أن الهدف الأساسي هو التركيز على حماية المصادر الطبيعية للنباتات الطبية التي تمثل الجزء الهام من التنوع البيولوجي بالمنطقة وعاملا هامًا في التطور الاجتماعي والاقتصادي لمنطقة وادي العلاقى وباقي المناطق المتاخمة لبحيرة ناصر والمطلب الحيوي والمُلح لاستزراع وتنمية مصادر النباتات الطبية بوادي العلاقى . وتتلخص الأهداف في الآتي :

- الإبقاء على استزراع وإنتاج النباتات الطبية للحفاظ علي مصادر الدخل من نمو الطلب علي النباتات الطبية مع الزيادة السكانية .
- تطور وزيادة مبيعات النباتات الطبية لمدينة أسوان .
- زيادة المساحات المنزرعة بالنباتات الطبية بأهداف تنموية وتجارية .

القيمة الدوائية واستخدام النباتات الطبية

تم فحص التأثير العلاجي للنباتات المحلية بالوسائل الثلاث التالية :

- المشاهدة المباشرة لبدو المنطقة وطرق استخدامهم النباتات عند مرضهم أو مرض حيواناتهم ،
- مقابلات شخصية مع الأهالي والاستفسار منهم عن خبراتهم في هذا المجال ،
- الاطلاع علي المراجع والمخطوطات القديمة .

والجدول رقم (٩-٨) يلخص القيمة الدوائية والعلاجية لأهم نباتات وادي العلاقي وأسمائها العلمية اللاتينية ومرادفاتها الشائعة باللغة العربية -والتي استخلصت من الدراسات العلمية التالية:

- استراتيجية دورة الحياة: سواء الدائمة أو الحولية.
- الشيوع: نباتات نادرة أو شائعة.
- الاستخدام: كما يقول سكان المنطقة أو اتباع ما هو مكتوب في المراجع.
- القيمة التجارية: إما بلا قيمة تجارية وتستخدم محلياً فقط، أو لها قيمة تجارية وتعرض للتسويق.

من المعروف أن الشح النباتي في وادي العلاقي محدود للغاية فقد أوضحت البيانات أنه يوجد ١٣٩ نوعاً من النباتات الوعائية[١٠] (Vascular plants) (Springuel, 1985)، وحوالي النصف فقط من هذه النباتات لها خواص علاجية طبية.

(١٠) النباتات الوعائية: مجموعة نباتية تضم جميع النباتات التي تحتوي نسيج وعائي مستقل من [illegible] تضم النباتات [illegible] هذه المجموعة السراخس ferns والحزازيات القديمة clubmosses، horsetails، النباتات المزهرة flowering plants، المخروطيات conifers، وعاريات البذور gymnosperms. وتجتمع بين النباتات الوعائية الصفات العامة التالية:
١- احتوائها على أنسجة وعائية (خشب ولحاء).
٢- النبات (الحامل) البوغي هو السائد على النبات المشيجي.
٣- يتمايز النبات البوغي إلى جذور وسيقان وأوراق حقيقية.
٤- النباتات التي [illegible]

جدول (٩-٨) القيمة الدوائية للأعشاب الطبية الموجودة في محميات وادي العلاقي مصر (عن: El- Emary and Springuel, 1992- springuel et. al.,1993)

الاسم اللاتيني	الاسم العربي	المدلول الطبي (علاج)	القيمة الطبية
Acacia ehrenbergiana	قفل	مرطب، مقئ	٤
Acacia nilotica	السنط، جوراء، الشوكة المصرية، القرض	منعش وملطف للحلق [illegible]	٦
Acacia raddiana	الطلح، سيال	علاج الإسهال والروماتيزم [illegible]	٧
Acacia seyal	سنط، سيال أحمر [illegible]	علاج الإسهال، علاج الروماتيزم [illegible]	٥
Acacia tortilis	سمر	[illegible]	٧
Aerva javanica	[illegible]	علاج آلام الأسنان [illegible]	٥
Alhagi graecorum	العاقول، الحاج	علاج الروماتيزم والكلى [illegible]	٦
Amaranthus graecizans	عرف الديك	غير معروف	٤
Arnebia hispidissima	[illegible]	ضد الالتهابات، مقوي [illegible]	٤
Asphodelus fistulosus	بصل الفار	القروح والجروح ومرض القراع	٥
Balanites aegyptiaca	الهجليج، الاهليج، تمر العبد	علاج مرضى السكر	٨
Calotropis procera	العشار، عشر	الآم الأسنان، الربو والآلام الصدرية	٧
Capparis decidua	تندب، [illegible]	علاج [illegible] الروماتيزم [illegible]	٧
Cassia italica	[illegible]	مقوي، مدرج للمعدة	٧
Cassia senna	سنا مكي، سنا السكندراني	الأمراض الجلدية	٨
Cistanche phelypaea	[illegible]	مقوي ومنشط جنسي للرجال، علاج [illegible] الركب والمفاصل	٤
Citrullus colocynthis	حنظل، [illegible]	حصر البول، الربو، الصداع [illegible]	٨
Cleome droserifolia	[illegible]	الروماتيزم، [illegible] المعدة [illegible]	٨
Cocculus pendulus	[illegible]	مقوي، لعلاج الروماتيزم	٥
Convolvulus prostrata	شجرة الغزال	[illegible] البول السكري، العيون	٤
Cotula cinerea	ريحان	[illegible] مسكن للألم	٥
Crotalaria aegyptiaca	[illegible]	[illegible] المرقئ	٥
Cucumis prophetarum	حنضل	[illegible] الصداع	٧
Cymbopogon proximus	حلف بر، [illegible]	حصوات الكلى	٧
Euphorbia granulata	أبو لبن، لبين	الربو، الالتهابات [illegible]	٤

Fagonia bruguieri	العلبة، شوكة، شكاعة، حلاوي	الربو، الصرع، المغص، القيء، الهستيريا، العقرب	٤
Ebinus lotoides	عبيرة	خليط مع عسل النحل يعالج الإمساك والروماتزم، كما يستعمل مغلي النبات لعلاج البرد	٥
Haplophyllum tuberculatum	شجرة ريح، شجرة الغزال، الكزازة	ضد القيء، العيون والأذن، الروماتزم، طارد الغازات، منشط للقدرة الجنسية	٥
Heliotropium bacciferum	الرمرام	مقوي للقلب وطارد للدودة الشريطية، الإسهال الحاد، الرمال، الطارد، مهضم ويزيل الإمساك ويساعد في تنظيف مجاري التنفس والصدر، منع تشكل حصوات الكلى، ويذكر كذلك استعماله في العلاج من لدغات الحيات والعقارب	٥
Heliotropium supinum	كرينيه، شوكة الحية، ذنب العقرب	ضد البكتريا	٤
Hibiscus subdariffa	الكركديه	مهدئ للأعصاب، مخفض للضغط، يستخدم كمانح طبيعي للصبغات بدلا من المواد الكيماوية	
Hyoscyamus muticus	السكران المصري، سم الفار، بنج	مخفف لآلام الربو الشعبي والمغص المعوي، مسكن لحالات الهيجان المستمر، ويخفف من حالات الشلل الرعاش	٨
Hyphaene thebaica	الدوم	علاج البلهارسية، يوقف نزيف الدم عند الولادة، الكبد، منظم للإفرازات المعوية	٦
Imperata cylindrical	حلفا	لعلاج مرضى السكري والكلى والهستيريا والسل	٦
Leptadenia pyrotechnica	المرخ، السف، صفافة	علاج البرد والسعال	٦
Moretia philaeana	شاشاعة، نقال، مقار، حشيشة الصحراء	تؤكل أوراقه وهي ذات طعم لاذع حار ويفضل بعض الناس إضافتها للسلطات لتخفيف طعمها الحار، ثمار النبات الصغار تكون مقوي للقلب ومخفضة لضغط الدم	٥
Ochradenus baccatus	قرضي، قرطي، عكرشة، كرد	الأغصان والأوراق والأزهار تسحق وتوضع جافة على الجروح لقتل الديدان	٥
Panicum turgidum	شوش، مركبة، ثومام، ثمام	غذاء هام للحيوانات	٦
Pergularia tomentosa	غلقة، برم، لبن الحمارة	معجون الأوراق يعالج الأمراض الجلدية البكتيرية	٦
Phragmites australis	حجنة، غزيان، بوص، غاب	الجذور مدرة ومسهلة البول، لعلاج الحصيات والبول الحارق	٦
Polygala erioptera	حشيشة اللبن، هيكل	قاتل الفيروسات	٦
Portulaca oleracea	الرجلة	مقوي وضد مرض العلبة عند الأطفال	٤
Psoralea plicata	حوشله، غويته، خريد	مسكن، مدر للبول، مضاد للالتهاب، علاج الجذام، مقوي جنسي، طارد الديدان، مضاد للحمى	٥
Pulicaria crispa	زغلل، ارفيج، شاي الجبل غير الأصلي، عويرة	علاج مشاكل التنفس	٦
Pulicaria incise	شاي الجبل، رابول	مهدئ، رائحته زكية، علاج مشاكل التنفس	٧
Ricinus communis	خروع	مسهل، البقع الجلدية، سوء الهضم، الروماتزم	٧
Rumex vesicarius	حماض، خبيط، الحميض المصري	عسر الهضم، ملين، الكبد، الكحة، القيء، الأسنان، فاتح للشهية، علاج الإسقربوط	٤
Salvadora persica	الأراك، السواك، الذكية (كباث)	مطهر للفم، زيت البذور والأوراق للروماتزم	٨

Sesbania sesban	سيسبان، حشيش النيل	علاج لدغة العقرب، علاج الدمامل والقراح	٦
Shouwia thebaica	شور، مور، مهد	علاج قوي ضد الإسهال	٦
Solenostemma oleifolium	الحرجل	علاج هام للكحة، اضطرابات الأمعاء	٨
Tamarix nilotica	أثل، عبل	مدرع ومقو ومشق للمعدة عند وجود رطوبات فاسدة، و إذا شربه من كانت معدته نقية قواها ضد الإسهال المزمن	٤
Terminalia chebula	أهليلج (اللالوب)	علاج القولون، البرد والكحة والحمى، وكمسهل، تأثير ثمار هذا النبات على فيروس التهاب الكبد الوبائي	٧
Tribulus terrestris	حسك، ضرس العجوز	التهاب الفم، التوتر العصبي، إدرار البول، الروماتيزم	٥
Zilla spinosa	سلة الجمل (شبرم)	علاج القولون، ملين، حصوات الكلى	٥
Zygophyllum simplex	رطريط	لعلاج الروماتيزم، والسكر والربو	٧

يعتمد مشروع استزراع النباتات الطبية بوادي العلاقي والذي بدأ عام ١٩٩٥ م على خبرات متعددة التخصصات من أساتذة جامعة جنوب الوادي بأسوان (فرع من جامعة أسيوط سابقًا) يمثلون وحدة الدراسات البيئية والتنمية بالجامعة وكذلك قسم النبات بكلية العلوم بأسوان ، وعن طريق الأساتذة المذكورين تم وضع برنامج بحثي محكم يتضمن دراسات ميدانية ومعملية وتجارب عديدة للمحيط الحيوي ومنطقة وادي العلاقي .

ونتيجة للدراسات التصنيفية والإيكولوجية والاقتصادية لبعض النباتات المتوطنة بوادي العلاقي ، مع الأخذ في الاعتبار المعلومات المتراكمة لدى أهل المنطقة عن النباتات المتواجدة فيها ، فقد تم اختيار بعض النباتات ذات الأهمية الاقتصادية والطبية لزراعتها في مساحات تجريبية مثل نباتات الإهليج ، والحرجل ، وحلف بر ، والأكاشيا بأنواعها . وفيما يلي عرض لأمثلة من أهم النباتات الطبية الجاري دراستها .

أهم النباتات الطبية التي تزرع في وادي العلاقي

١- الإهليج : *Balanites aegyptiaca*

يعرف هذا النبات الطبي الهام بأسماء عديدة منها : اللالوب ، الإهليج ، اللهليج ، والشاشوبا وبلح العبيد . وهذا النبات يعتبر من النباتات المهددة بالانقراض لاختفائه من

مناطق كثيرة من مصر حيث تغيرت طبيعة وادي النيل بعد إنشاء السد العالي وافتقـ[...] النبات بيئته المفضلة بالإضافة إلى الجمع الجائر للنبات في المناطق الصحراوية سواء بهدف الرعي أو الوقود أو استخدام الأخشاب .

استعمالات النبات

١ - يستخدم النبات منذ العصور القديمة في مصر لاستخلاص الزيت أو أكل الثمار أو لتحضير بعض المشروبات الكحولية ، كما تستخدم الأوراق لغذاء الماشية ، وخشب السيقان في صناعة المراكب الشراعية .

٢ - وتستخدم أجزاء النبات المختلفة من أوراق وأزهار وثمار وبذور وكذلك القلف (اللحاء) في أغراض طبية كثيرة .

٣ - استخدمت بعض المواد الكيماوية المستخلصة من الثمار والقلف في بعض المناطق كمضادات للآفات وقاتلة لقواقع البلهارسيا في المجاري المائية وكذلك للقضاء على بعض الحشرات المائية التي تحمل دودة غينيا التي تسبب أمراضًا خطيرة .

٤ - ومن الناحية الطبية والعلاجية والصناعية فإن الثمار تحتوى على مواد هرمونية هامة من فصيلة الرغويات . وعلى الرغم من القيمة الغذائية والطبية لنبات الإهليج فإنه لا يستخدم عمليًا في مصر وذلك بسبب تناثر مناطق زراعته وصعوبة إقامة صناعات لمنتجاته حيث إنه يوجد بكميات غير مناسبة ويحتاج لتكثيف الجهود لإنشاء مزارع ضخمة لهذا النبات كما هو مخطط في مشروع وادي العلاقى لتوفير كميات تكفى عمليات التصنيع .

٢- الحرجل *Solenostemma argel*

يعتبر نبات الحرجل من النباتات محدودة الانتشار في الأراضي المصرية رغم أهميته القصوى في سوق الأعشاب الطبية كواحد من أهم الأعشاب ، والنبات مهدد بالانقراض نتيجة للجمع الجائر للنباتات التي تنمو طبيعيًا في بعض الصحارى والوديان بمصر ، خاصة أودية وادي العلاقى في جنوب شرق أسوان .

وقد اهتم مشروع استزراع النباتات الطبية بوادي العلاقى بدراسة هذا النبات دراسة مستفيضة من الناحية الإيكولوجية والكيميائية ، ونجحت تجارب إنتاجه بكميات كبيرة في المزارع التجريبية للمشروع ويجرى حاليًا التوسع في زراعته في مناطق أخرى من وادي العلاقى .

تنمو بذور نبات الحرجل في مدى واسع من درجات الحرارة ، على أنه وجد أن أفضل نمو لها عند درجة ٣٥ مئوية ، كذلك وجد أن نقع البذور مع بعض المنشطات قبل الزراعة يحسّن كثيرًا من سرعة النمو وكذلك من إنتاج كمية كبيرة من الثمار عند الزراعة في الأراضي الرملية . وقد استخدمت البذور الناتجة من النباتات التي استجلبت من أعالي الوادي وتم زراعتها في حرم جامعة جنوب الوادي بأسوان كمصدر أساسي للبحوث والزراعة ، والتجارب التي أجريت على هذا النبات أعطت نتائج جيدة ومشجعة .

يستخدم نبات الحرجل في الطب الشعبي التقليدي منذ زمن بعيد كمُلَيِّن بديلاً عن نبات السنا مكى[٨١] ، كما يستخدم في علاج بعض الأمراض مثل : أمراض الكلى والكبد والحساسية ، خاصة حساسية الصدر وأمراض القصبة الهوائية ، وكذلك يستخدم لعلاج أمراض الأعصاب وفى بعض الأوقات يستخدم في علاج الحصبة والجروح المتقيحة ، ويستخدم مغلي الأوراق في علاج المغص المعوي وحالات البرد والتهابات القناة البولية كما يستخدم لفترات طويلة من ٤٠ -٨٠ يومًا لعلاج مرض الزُهري .

٣- حلف البر *Cymbopogon proximus*

وهو نبات يستخدم في علاج نزلات البرد والمغص الكلوي بعد غليه وشربه كما يشرب الشاي ، وهو نبات معمر ينمو في المناطق الجبلية وفي صحراء مصر الشرقية وعلى شواطئ البحر الأحمر . ويستعمله البدو في الصحراء على هيئة مغلي في علاج أمراض الكُلى والمسالك البولية وقد تبين من دراسة عناصره الفعالة أن له تأثيرًا رخويًا على العضلات وخصوصًا الحالب ، مما يجعله مفيدًا في حالات المغص الكلوي وحصوة

(٨١) السنا : يعرف السنا على مستوى العالم باسم زسنا مكيس لأن موطنه الأصلي مكة المكرمة ، ويعرف محليًا باسم «سنا» وخاصة في مناطق الحجاز . والطب القديم يعتبر السنا من النباتات القديمة جدًا المستخدمة في العلاج حيث استخدم في زمن الفراعنة ، وكان يسمى في ذلك الوقت باسم «جنجنت» وقد ورد ضمن عدة وصفات فرعونية لعلاج بعض الأمراض في البرديات المصرية القديمة .

الكلى . ويتميز هذا المركب بأنه آمن وليس له تأثيرات جانبية ، وقد تم تصنيعه في إحدى شركات الأدوية المصرية .

ويستخدم نبات الحلفا بر في عدة أغراض طبية أهمها كمزيل للمغص الكلوي ومدر للبول ومطهر للمسالك البولية ومهدئ للسعال كما يساعد في تهدئة الآلام الروماتيزمية وعلاج الأزمات الصدرية . يحتوي النبات علي زيوت طيارة ويستعمل كشاي لطرد الغازات ويعالج المغص المعوي والكلوي ، ويطهر المجاري البولية ويعمل علي التخلص من الحصى بالكلي والمثانة .

٤- الدمسيسة *Artemisia absinthium*

وهو نبات ينمو علي جوانب الطرقات ، وفي الصحراء ويصل ارتفاعه إلي حوالي متر ، معمر وله ساق خضراء إلي رمادية وأوراق ريشية مشرشرة ومغطاة بشعيرات دقيقة اللون . الأزهار مركبة ذات لون مصفر والنبات له رائحة عطرية ويعرف بالأفسنتين والشيبة وبالفرعونية شنايت . والجزء المستخدم من النبات هو الأزهار والأوراق . يستخدم النبات بنجاح في علاج أمراض الكُلى وتفتيت الحصوات ، ويستعمله البدو في الصحراء على هيئة مغلي في أمراض المسالك البولية .

ويتكاثر النبات عن طريق البذور في الربيع ، وتجنى الأجزاء الهوائية في أواخر الصيف ، ومن المواد الفعالة في هذا النبات : زيت طيار ، راتنج ، تانين ، أحماض ، جليكوزيد ، فيتامين ج ، ومواد أخرى .

وُصف الأفسنتين بأنه مضاد للالتهاب ، ويخفف آلام المعدة ، ويسكن آلام المرارة ، وينبه إفراز الصفراء ، ويطرد الديدان والسموم ، وينظف الرحم بعد الولادة ، ويفيد في حالات البول السكري وخفض السكر في الدم ، ويطرد الغازات ، ويقوي الذاكرة ، ويقلل النسيان والشعور بالخجل ، ويوصف في حالات الوهن والأنيميا ومعالجة القصور الكبدي ، ويدر البول والطمث ، ويزيل المتاعب المرافقة لدورات الحيض ، خاصة إذا كانت ناتجة عن قصور رحمي ، وهذه الخاصية ، مضافًا إليها خاصيته المقوية ، جعلته موصوفًا للنساء الصفراوات ، ولضعيفات البنية وللمراهقات .

الفوائد والاستخدامات :

- يعالج الرمد وخصوصًا عند الشيوخ بغسل العين المصابة بالمستحلب ، أو بتكحيلها بمرهم الأفسنتين ، ويجهز المستحلب بنسبة ملعقة كبيرة من الأوراق والأزهار إلى كوب من الماء المغلي ، ويترك لربع ساعة ثم يصفى ويستخدم غسولاً للعين عدة مرات .
- تعالج قوباء[٨٢] الرأس بتلبيخها بالنبات الغض المهروس يوميًا إلى أن يتم الشفاء .
- يشرب المغلي (ملعقة صغيرة لكل كوب ماء كبير) بمقدار فنجان قهوة ثلاث مرات يوميًا ، ويكرر حتى يتم طرد الديدان المعوية ، ولتنقية الجسم من السموم خاصة السموم الرصاصية والزئبقية التي تستعمل في معالجة مرض الزهري ومضاعفاته .
- تستعمل بذوره وهي تشبه بذور الينسون مغليّة بالماء علاجًا لنزف النساء مهما كانت الأسباب . (يشرب فنجان صغير ثلاث مرات يوميًا) .
- تستخدم الصبغة لعلاج المشكلات الهضمية مثل فقر الدم .
- يشرب المغلي بعد الولادة ليساعد على تنظيف الرحم ، واستعماله في بداية الولادة يقوي الطلق ، ويسهل الوضع (يشرب فنجان ثلاث مرات يوميًا) ، ويشرب المغلي في حالات عسر الهضم والعصاب المعدي وتقوية المعدة ، ولطرد الغازات وتقوية الذاكرة ، وتقليل النسيان والشعور بالخجل .
- تستعمل حمامات الأفسنتين لتسكين الحكّة مع استعمال المغلي نفسه من الداخل لمعالجة اضطراب الكبد نفسه .
- يساعد شرب مغلي الأوراق في تفتيت حصوات الكُلى والمرارة والمغص الكلوي ، وفي حالات البول السكري وتخفيض السكر في الدم ، ويشرب المغلي بإضافة ملعقة صغيرة لكوب ماء كبير ، يُصفى بعد ربع ساعة ويؤخذ بمقدار فنجان صغير ثلاث مرات يوميًا .

(٨٢) قوباء الرأس : إصابة فطرية قشرية في فروة الرأس ،لونها أبيض أو أسود .

٥- الحنظل *Citrullus Colocynth*

الحنظل نبات عشبي زاحف معمر ، ينمو في المناطق الصحراوية ، وهو من النباتات الشديدة المرارة وله أزهار صفراء وثمار تشبه في حجمها البرتقالة أو التفاحة ذات لون مخضر مخطط ببياض قبل النضج ثم تتحول إلى اللون الأصفر . والثمرة ملساء ، تحتوي على لب إسفنجي وهو الذي يعزى إليه التأثير المسهل القوي ، ويعتبر الحنظل من أقوى المسهِّلات على الإطلاق كما يحتوي على عدد كبير من البذور بين اللب الأسفنجي وتسمى بذور الحنظل «هبيد» .

يعرف الحنظل بعدة أسماء مثل العلقم ، الشري ، الصادي ، حدج ، مرارة الصحاري ، التفاح المر ، القرع أو اليقطين البري ، وهو أحادي المسكن تمتد سيقانه زاحفة على الأرض بطول مترين ، ويمتد بشكل زوايا خشنة الملمس مع شعيرات حادة ، أوراقه مثلثة الشكل ذات فصوص ريشية خشنة الملمس . والثمرة كبيرة كروية الشكل تشبه البرتقالة في شكلها وحجمها ، ذات لون ضارب إلى الخضرة مع خطوط صفراء . ويتغير لونها إلى الأصفر عند نضجها والثمرة لا تنفتح إلا إذا دهس عليها وتحتوي بذورًا كثيرة بيضاوية الشكل منضغطة ، لونها بني ضارب إلى الصفرة ، ناعمة . تحتوي الثمرة على لب إسفنجي شديد المرارة .

الأجزاء المستعملة :

تحتوي ثمرة الحنظل على لب هو المادة الفعالة ويحتوي هذا اللب على مواد راتنجية ومن أهم مركباتها ايلاتيرين (A) وايلاتيريسين (B) كما يحتوي على قلويدات وبكتين ومواد صابونية . يستعمل الحنظل كمادة مسهلة قوية ولكن بالنسبة للبواسير فإن الاستعمال يختلف حيث تؤخذ الثمرة قبل النضج وهي مازالت خضراء ثم تقسم إلى أربع قطع وتستعمل كل قطعة لدهن البواسير .

يتميز الحنظل بالكثير من الخصائص العلاجية ، فعلى سبيل المثال لب ثمار الحنظل وبذوره تستخدم كمسهل ، وتعالج مرض «اللَّقْوَة»[٨٣] ، و«الفالج»[٨٤] ، ويعالج

(٨٣) اللقوة : أي اختلاط العقل ، ويطلق علي شلل العصب الوجهي .
(٨٤) الفالج : وهو مرض يصيب الجهاز العصبي .

أيضًا مرضى «الشقاق» و«الشقيقة»[٨٥] ، كما أثبت نجاحًا في علاج مرض (عرق النساء) ، وآلام المفاصل والظهر ، والفخذ . ورماد ثمار الحنظل يرد ألوان العين إلى السواد ويزيل حُمرة العين . ومعروف أن بعض أهل السودان يقومون بتقطير بذور الحنظل بطريقة بدائية فتخرج نتيجة لذلك خلاصة ممزوجة بالكربون تسمى (قطران الحنظل) ، كما يستخدم في علاج الحيوانات ، خاصة الإبل من (الجَرَب) ، و(القراد)[٨٦] ، بجانب معالجة الجروح القديمة عند الإنسان! ومن أسرار نبات الحنظل العلاجية مساعدته في علاج مرض الجذام ، والصمم ، واليرقان[٨٧] . وبعض النسوة في بعض القبائل يستخدمنه لإضفاء السواد على شعورهن ، وتأخير ظهور الشيب!! ولكن للأسف نبات الحنظل السوداني وبالرغم من كل خصائصه وأسراره العلاجية التي يتميز بها ، إلا أنه يُعد أحد أركان الثروة القومية النباتية المهملة والضائعة!

يستعمل المنقوع المائي لثمار ولب الحنظل كمشروب شعبي لإزالة حالات الإمساك المزمن ، ولتنشيط حركة الأمعاء والمعدة مما يساعد على سهولة الهضم وتقليل الغازات الناتجة ، والزيت المستخرج من بذور الحنظل يفيد في علاج بعض الأمراض الجلدية ومنها مرض الجرب ، ويستخدم في طرد القراد العالق بجلد الحيوانات والمواشي الزراعية والطيور المنزلية .

٦- الكركديه *Hibiscus subdariffa*

نبات الكركديه عبارة عن شجرة يصل ارتفاعها إلى حوالي مترين وسيقانها حمراء ، والجزء المستعمل هو السبلات التي تحيط بالزهرة ولونها إما أحمر داكن أو فاتح . تحتوى سبلات الكركديه على جلوكوسيدات بالإضافة إلى مواد ملونة وأملاح أكسالات الكلسيوم وفيتامين (ج) ، ويتلون الكركديه باللون الأحمر الداكن في الوسط الحمضي بسبب وجود مركبات بيتاسيانينية كما يحتوى على مواد هلامية .

(٨٥) الشقاق والشقيقة : الصداع النصفي .
(٨٦) القراد : يعيش القراد على الأشجار والحشائش ومتطفلاً على الحيوانات الأليفة مثل القطط والكلاب . ويعيش كذلك في المنازل المهجورة . يلتصق القراد بجلد الإنسان حيث يمتص الدم من الشعيرات الدموية من تحت سطح الجلد ، وبعدما تمتلئ القرادة بالدم بعد حوالي أسبوعين تقريبًا ، ثم تترك الجلد من تلقاء نفسها .
(٨٧) اليرقان : اليرقان أو الصفار أو الصفراء (بالإنجليزية : Jaundice) هو اصفرار الجلد والملتحمة والأغشية المخاطية نتيجة لزيادة نسبة الصبغة الصفراوية (البيليروبين) في الدم في جسم الإنسان .

الفوائد الطبية لمشروب الكركديه

ثبت علميًا أن شراب الكركديه يخفض ضغط الدم المرتفع ويزيد من سرعة دوران الدم ويقوي ضربات القلب ويقتل الميكروبات مما يجعله مفيدًا في علاج الحميات وعدوى الميكروبات وأوبئة الكوليرا حيث إنه حمضي بطبيعته ، ومن خواصه أنه مرطب ومنشط للهضم . كما بدأت مصانع الأدوية ومستحضرات التجميل والحلوى والصابون تستعمل المواد الملونة المستخلصة من زهر الكركديه في منتجاتها بعد أن استبعدت الألوان الكيميائية لما لها من آثار جانبية ضارة . ويستعمل كصبغة طبيعية للأدوية والأغذية وأدوات التجميل التي تستخدمها مثل أحمر الشفاه ومساحيق التجميل وشامبوهات الشعر وصابون الحمام .

استعمالاته :

يستعمل الكركديه عادة على عدة أشكال : فيؤكل نيئا مع السلطات ويضاف إلى الحساء ويمكن أن يطبخ لوحده مع الزبد أو الزيت أو مع البيض ويستعمل الكركديه داخليًا لعلاج الكحة وارتفاع الحرارة والسل الرئوي وارتفاع ضغط الدم ولإبادة الديدان الشريطية والاسطوانية . أما الاستخدامات الخارجية للكركديه فلزيادة تثبيت لون الشعر وإكسابه لونًا نحاسيًا براقًا ، ولذلك يستعمل مغلي أزهار الكركدية ويضاف إلى مسحوق الحنّة وأزهار البابونج على شكل عجينة توزع على خصلات الشعر .

عرف الفراعنة زراعة نبات الكركديه واستعملوا أزهاره ضمن بعض الوصفات العلاجية وبالأخص كشراب مسكن لآلام الرأس وكطارد للديدان ومنذ نهاية القرن التاسع عشر ونبات الكركديه يعتبر مصدرًا رئيسيًا من المصادر الطبيعية لإنتاج الألياف النباتية اللازمة لصناعة الحبال والورق والسليلوز النقي وقد أصبح الكركديه حاليًا من أهم النباتات الاقتصادية في الصناعات الغذائية والدوائية حيث إن مستخلصه المائي على البارد أو الساخن لكؤوس الأزهار يستعمل كمشروب منعش جدًا خاصة بعد تحليته بالسكر كما أن هذا المستخلص بعد تركيزه يعتبر كمادة ملونة ومكسبة للطعم المميز له لدخوله في صناعة المشروبات الغذائية والجلي والحلويات .

وقد أثبت البحث العلمي الحديث أن خلاصة أزهار الكركديه لها تأثير فعال في إبادة ميكروب السل ولديها القدرة على قتل الميكروبات وخاصة لكثير من السلالات البكتيرية .

٧- العاقول (الحاج) *Alhagi graecorum*

الحاقول أو العاقول نبات عشبي معمر دائم الخضرة شوكي يصل ارتفاعه إلى ٦٠سم ، الزهرة صغيرة حمراء قرمزية تخرج من جوانب الأشواك ، والثمرة قرنية داكنة اللون أسفنجية يظهر عليها تخصرات بين مواقع البذور .

يحتوي نبات العاقول على مواد كربوهيدراتية وجلوكوزيدات وفلافونيدات ومواد عفصية (قابضة) وستيرولات غير مشبعة ومواد راتنجية وسكر مختزل وزيت طيار ، ولكن الجذور لا تحتوي على أي نسبة من الزيت الطيار كما يحتوي النبات على مواد انثراكينونية ومواد صابونية .

استعمالاته :

للعاقول استعمالات طبية شعبية كثيرة ، فقد قال داوود الأنطاكي سنة ١٠٠٨هـ في العاقول إنه شوك الجمال وهو نبت كثير الأشواك له زهر أبيض وأصفر وحبه مستدير ، سائر أجزاء هذا النبات تبرئ البواسير شربًا وبخورًا وطلاء ولو برماده . ويستخدم حاليًا في الطب الشعبي في علاج الروماتيزم وحالات حصى الكلى ، والعاقول ملين ومقيئ ومدر للبول ومطهر للجهاز الهضمي .

كما يستعمل في عمل نشوق ضد آلام الشقيقة (الصداع النصفي) ، والمستخلص الذي ينتج عن تبخير مغلي النبات يستعمل كمسكن أو ملطف للحكة وبالأخص عند الأطفال ، أما المادة الإفرازية التي تخرج من أوراق النبات فلها تأثير منشط للجنس وتكسب الجسم حيوية وهي مسهلة ومدرة للصفراء ومدرة للبول ومنقية للدم ، وفي الصيف تغطى الأوراق والأفرع بنقط من سائل في قوام العسل ، ثم يأخذ هذا السائل في التحول إلى مادة شديدة اللزوجة تستخدم في تجفيف الجروح ، كما يستعمل النبات كمسهل . والبدو في الصحراء المصرية يستخدمون العاقول كملين ، كما أن الزيت المستخلص من الأوراق يستخدم في علاج الروماتزم وتستخدم الأزهار في علاج النزيف .

٨- السواك *Salvadore persica*

السواك هو قطعة خشبية من غصون شجر الأراك وهي شجيرة دائمة الخضرة. والسواك مشهور جدًا في البلاد الإسلامية[٨٨] فهو يعطي الفم رائحة طيبة ومستحبة ، كما يستعمل السواك لتنظيف الأسنان بعد الأكل أو في أي وقت آخر .

يحتوي السواك على مواد طبيعية مضادة للميكروبات تمنع إصابة الفم بالأمراض ، وتقلل ظهور التجاويف في الأسنان وأمراض اللثة . وأوضح أطباء الأسنان أن أعواد السواك التي عادة ما تستخلص من جذور أو سيقان الأشجار والشجيرات المحلية في البلدان التي تستخدمها ، وتُستعمل بعد مضغ أطرافها حتى تُهْتَرأ ، ثم تستخدم كفرشاة لتنظيف الأسنان ، فعالة كفرشاة الأسنان تمامًا في إزالة طبقة (البلاك) المتراكمة على الأسنان وتدليك اللثة ، مشيرين إلى أن هذه الأعواد تمثل بديلاً أرخص ثمنًا لسكان العالم الثالث ، حيث لا تتوافر فرش الأسنان . وأشار الخبراء إلي أن معدلات تسوس الأسنان بين مستخدمي السواك أقل بالرغم من تناولهم أغذية غنية بالسكريات والنشويات ، كما أثبتت دراسات أخرى أن آثاره المزيلة لطبقة البلاك تعادل آثار فرش الأسنان المستخدمة لنفس الهدف .

تركيب السواك[٨٩]

١- يحتوي السواك على مادة حمض التنيك (Tannic acid) ولهذه المادة تأثير مضاد للتعفنات كما أنه يعد مطهرًا ، وله استعمالات مشهورة ضد نزيف الدم ، كما يطهر اللثة والأسنان ويشفي جروحها الصغيرة ، ويمنع نزف الدم منها وبه مادة من مشتقات الخردل تساعد على قتل الجراثيم .

(٨٨) السواك : ورد ما يشير إلى أن الرسول ﷺ ، قد حثّ على استخدامها فقال (لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) ، وفي قوله أيضًا (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) .

(٨٩) دخل سيدنا عليّ بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، علي السيدة فاطمة الزهراء ، رضي الله عنها ، فوجدها تستعمل السواك فقال :

وحظيتَ يا عودَ الأراكِ بثغرها — أما خِفت يا عودَ الأراكِ أراكَ
لو كنت أهلاً للقتال قتلتُك — ما فاز مني يا سواكُ سواكَ

٢- تحتوي ألياف السواك على بيكربونات الصوديوم وهي المادة المفضلة في تكوين معجون الأسنان (صناعيًا) والتي أوصت بها جمعية طب الأسنان الأمريكية . (A. D. A)

٣- يحتوي السواك على مادة تمنع تسوس الأسنان وهي تتكون كيميائيًا من ألياف السيليلوز وبعض الزيوت الطيارة وبه راتنج عطري ومركبات أخرى .

ومن فوائد السواك المكتشفة حديثًا :

- أفضل علاج وقائي لتسوس أسنان الأطفال لاحتوائه مادة الفلورايد .
- يزيل الصبغ والبقع لاحتوائه مادة الكلور .
- يبيض الأسنان لاحتوائه مادة السليكا .
- يحمي الأسنان من البكتريا المسببة للتسوس لاحتوائه مادة الكبريت والمادة القلوية (أو القلوانية) .
- يفيد في التئام الجروح وشقوق اللثة وعلى نموها نموًا سليمًا لاحتوائه مادة تراي مثيل أمين وفيتامين (ج) .
- أفضل علاج لترك التدخين .

استخدامات نباتات المحيط الحيوي بوادي العلاقى

تتعدد الأغراض التي تستخدم فيها النباتات المنزرعة في المحيط الحيوي بوادي العلاقى ، فمنها ما يشكل غذاءً أساسيا للإنسان وللحيوان ومنها ما اشتهر كمصدر للطاقة مثل الفحم النباتي الذي يباع بكثرة في أسواق أسوان ، ومنها ما يستخدم كدواء ؛ وللبدو في ذلك تاريخ حافل بالاستخدامات الطبية لبعض نباتات وادي العلاقى . ويضم الجدول رقم (٩-٢) قائمة بأهم النباتات التي تنمو بالوادي واستخدامها في النواحي الحياتية ، والجدير بالذكر أن وحدة الدراسات البيئية والتنمية التابعة لجامعة جنوب الوادي بأسوان والتي كانت حتى عام ١٩٩٦ فرعًا لجامعة أسيوط تُولي هذا الموضوع اهتمامًا كبيرًا وخصصت له أرضًا في الوادي وأخري في الحرم الجامعي بمدينة أسوان ، ونتائج الدراسات التي يتوصل إليها علماء الوحدة وبعض الزوار الأجانب قلما تخلو منها مجلة علمية متخصصة .

هذا المجال الواسع من التنوع النباتي يمثل مصدراً مهماً من مصادر التداوي بالأعشاب للبدو ساكني المنطقة، الذين لا يعرفون الأطباء ولا العقاقير الطبية. فهناك نبات يشفي مرض السكر، أو نبات يعالج حساسية الجلد والتهاباته. والتعرف على النبات أكثر تعقيداً مما نظن، فالمتخصصون في علم النبات أنفسهم لا يقطعون باسم النبات من شكله الخارجي فقط، فقد يتشابه نباتان في شكل الأوراق والسيقان، لكن شكل البذور داخل الثمرة هو الذي يعطي للنبات اسمه الحقيقي. وهذه النباتات يعرفها البدو بحاستهم الفطرية التي صقلتها التجارب الطبية. والنبات الواحد قد يمثل أحد أجزائه ترياقاً ويمثل جزء آخر سماً.

جدول (٤-٢): استخدامات نباتات المحيط الحيوي بوادي العلاقي (من مصادر مختلفة).

النوع	طبي	أخشاب	مرعى	غذاء إنساني	وقود	فحم نباتي	أثري
Acaca ehrenbergiana	-	-	X	-	X	X	-
Acaca nilotica	X	X	X	-	X	X	X
Acaca raddiana	X	X	X	-	X	X	X
Acaca tortilis	X	X	X	-	X	X	X
Aerva javanica	X	-	X	-	-	-	-
Alhagi graecorum	X	-	X	X	X	-	-
Amaranthus graecizans	X	-	-	-	-	-	-
Aristida adscensionis	-	-	X	-	-	-	-
Aristida funiculate	-	-	X	-	-	-	-
Aristida mutabilis	-	-	X	-	-	-	-
Arnebia hispidissima	X	-	X	-	-	-	-
Asphodelus tenuifolius	X	-	-	X	-	-	-
Astragalus eremophilus	-	-	X	-	-	-	-
Astragalus vogelii	-	-	X	-	-	-	-
Balanites aegyptiaca	X	X	X	X	X	X	X
Boerhavia coccinea	X	-	X	-	-	-	-
Calotropis procera	X	-	-	-	X	-	X
Capparis deciduas	X	-	-	X	X	-	-
Cassia italica	X	-	-	-	X	-	-
Cassia senna	X	-	-	-	X	-	-
Citrullus colocynthis	X	-	X	-	-	-	-
Cistanche phelypaea	X	-	-	X	-	-	-
Chenopodium murale	-	-	-	-	-	-	-
Chrozophora obliqua	-	-	X	-	-	-	X
Cleome amblyocarpa	X	-	-	-	-	-	-
Cleome droserifolia	X	-	-	-	-	-	-
Cocculus pendulus	X	-	-	X	X	-	-
Convolvulus prostratus	X	-	-	-	-	-	-
Cornulaca monacantha	X	-	-	-	-	-	-
Cotula cinerea	X	-	-	-	-	-	X
Crotalaria aegyptiaca	-	-	X	-	-	-	-
Cucumis prophetarum	X	-	X	-	-	-	-
Cymbopogon proximus	X	-	X	-	-	-	-
Cyperus pygmaeus	X	-	X	-	-	-	-
Dipterygium glaucum	-	-	X	-	-	-	-
Dichanthium foveolatum	-	-	X	-	X	-	-
Eragrostis aegyptiaca	-	-	-	-	-	-	-
Eragrostis ciliaris	-	-	X	-	-	-	-
Euphorbia granulata	-	-	X	-	-	-	-
Faidherbia albida (Acacia albida)	X	-	X	-	-	-	-
Fagonia bruguieri	X	-	-	-	-	-	-
Fagonia glutinosa	-	-	X	-	-	-	-
Fagonia indica	-	-	X	-	-	-	-
Farsetia aegyptia	-	-	X	-	-	-	-
Glinus lotoides	X	-	X	-	-	-	-
Heliotropium bacciferum	X	-	-	-	-	-	-
Heliotropium supinum	X	-	-	-	-	-	-
Hyoscyamus muticus	X	-	-	-	-	-	-
Hyphaene thebaica	X	X	-	X	-	-	X
Indigofera argentea	-	-	X	-	-	-	-
Indigofera hochstetteri	-	-	X	-	-	-	-
Imperata cylindrica	X	-	X	-	-	-	X
Ifloga spicata	-	-	X	-	-	-	-
Launaea capitata	-	-	-	X	-	-	-
Launaea mucronata	X	-	-	-	-	-	-
Leptadenia pyrotechnica	X	-	X	X	X	-	X
Lotononis platycarpa	-	-	X	-	-	-	-
Lupinus varius	-			X			X
Lycium shawii	-	-	-	-	X	-	-
Maerua crassifolia	X	X	X	-	X	-	-
Moretia philaeana	-	-	X	-	-	-	-
Panicum turgidum	X	-	X	X	-	-	-
Pergularia tomentosa	X	-	-	X	-	-	-
Phragmites australis	X	-	X	X	-	-	X
Polycarpaea repens	X	-	-	-	-	-	-
Polygala erioptera	X	-	-	-	-	-	-
Portulaca oleracea	X	-	X	X	-	-	-
Psoralea plicata	X	-	X	-	-	-	-
Pulicaria crispa	X	-	X	-	X	-	-
Pulicaria incisa	X	-	-	X	-	-	-
Ricinus communis	X	-	-	X	X	-	X
Rumex cyprius	-	-	-	X	-	-	-
Rumex vesicarius	X	-	-	X	-	-	-
Salsola baryosma	-	-	-	-	X	-	-
Salvadora persica	X	X	X	X	X	-	X
Schouwia purpurea	-	-	X	X	-	-	-
Sesamum alatum	-	-	-	X	-	-	-
Sesbania sesban	X	X	X	-	X	-	X
Solenostemma oleifolium	X	-	-	-	-	-	-
Stipagrostis plumosa	-	-	X	-	-	-	-
Tamarix nilotica	X	-	X	-	X	-	X
Tephrosia apollinea	-	-	X	-	-	-	-
Tragus berteronianus	-	-	X	-	-	-	-
Trianthema crystalline	-	-	X	-	-	-	-
Tribulus mollis	-	-	X	-	-	-	-
Tribulus terrestra	X	-	X	X	-	-	-
Zilla spinosa	X	-	X	-	X	-	-
Ziziphus spina-christi	X	X	X	X	X	-	X
Zygophyllum simplex	-	-	X	-	-	-	-

إعادة تقويم أشجار السيال

شجرة السيال شوكية تنمو في وديان المناطق الصحراوية . وجذور السيال تدخل إلى أعماق التربة بحثًا عن الرطوبة . لشجرة السيال جذع قوي من فوقه تتفرع سيقان وأوراق على شكل مظلة ولذلك فهي تستطيع أن تقف أمام الفيضانات في الشتاء .

إن البدو عادة لا يقومون بقص أشجار السيال واستعمالها كوقود لأنها تستعمل غذاءً للماعز والإبل وخاصة الثمرة والأزهار التي تزهر في السنوات الجافة . ويصل ارتفاع الشجرة إلى ٦ أمتار ، وأغصانها صغيرة وذلك يجعلها ملائمة للحياة في ظروف الجفاف الصحراوية . الأوراق والثمار ملساء والثمرة عبارة عن قرون ملتوية ، وتعتبر غذاءً طيبًا للماعز ، والوعول ، والغزلان والإبل .

أشجار (السيال) القوية لها أكثر من نوع ، فيطلق السكان المحليون علي بعضها اسم (السيالة) ، وعلى أخرى (الطلح) ، وهناك أيضا (السنط) ، أو (الصمغ العربي) والذي يعرف عند العطارين باسم (القرض أو السيال) نموذج آخر لتعدد فوائد النبات الطبية باستخدام أجزائه المختلفة ، فمن تجريح سيقان (السيالة) يستخرج سائل صمغي يستخدم كمرطب وملطف للجلد ، ويستخدم القلف بما له من خواص قابضة لعلاج الدوسنتاريا . (القرض) أو (السنط) يستخدم مغلي ثماره لعلاج تشققات القدمين ومسحوق الثمار لعلاج نزيف اللثة بالدلك ، كما يعالج هذا المسحوق بعد خلطه بمسحوق (الحنّة)[٩٠] تينيا ما بين الأصابع . ويستخدم مغلي ثمار (الطلح) لعلاج الالتهابات الجلدية ، وكملطف ، ومقوٍ .

(٩٠) الحنة : أو الحناء *Lawsonia inermis - Henna* شجرة معمرة متساقطة الأوراق من موسم لآخر ، قد يصل علوها أحيانا إلى زهاء سبعة أمتار ، موطنها الأصلي مصر القديمة وبلاد فارس . الحناء من النباتات التي كثر استعمالها عند قدماء المصريين ، ويوجد منها أصناف كثيرة مثل البلدي ، الشامي ، البغدادي ، الشائكة ، والحناء البلدي هي أغنى الأنواع بالمواد الملونة . وتحتوى الحناء على المادة القابضة المعروفة باسم زالثانينس . للحناء عديد من الفوائد ، فهي تخفف حرارة الرأس ، وتنقي فروة الشعر من الميكروبات والطفيليات ، ومن الإفرازات الزائدة من الدهون ، ويقضي معجون الحناء على الطفيليات التي تسبب الحساسية ، سواء بين أصابع الأرجل أو ثنايا الجسم ، فهي تقضي على فطر التينيا الذي يصيب الأقدام وبين الأصابع .

وقد أثبتت مجموعة من الأبحاث أن الصمغ العربي الذي يستخرج من أشجار السيال *Acasia Seyal* له استخدامات طبية عديدة بجانب استخداماته من الناحية الصناعية خاصة الصناعات الغذائية . وتستخرج المادة الفعالة من اللحاق وهي عبارة عن خليط من مركبات *Glycoproteins - Sacharid* (البروتين السكري) وغيرها من المركبات التي تعالج الكثير من الأمراض ، فهو يعالج نزلات البرد والكحة والالتهاب والدوسنتاريا كما أنه يخفض بكفاءة عالية الكولسترول ، وهذا الصمغ محضر علي هيئة مسحوق أو علي هيئة لبان أو شراب في الأسواق الخارجية حيث إنه فعّال وليس له آثار جانبية ، ويحذر العلماء من استخدامه بدون تحضير طبي عالي الجودة .

تعيش أنواع عديدة من السيال في المناطق الجافة ودون الرطبة بمصر ، لكنها عانت كثيرًا بسبب الجفاف والأنشطة التي يقوم بها الإنسان في الغالب من قطعها للاستخدام كوقود وأشكال أخرى من تدمير البيئة . وقد عمل قطاع الحفاظ علي البيئة جاهدًا لإعادة زراعتها بدعم من المجتمع العلمي والمجتمعات المحلية ، وعُين فريق من الدارسين لحصر أماكن السيال وأعدادها ووفرتها ، وتجميع المعلومات عن مواقيت إزهارها وإنتاجها للبذور ، وقد قام الفريق أيضًا بدراسة خواص التربة الكيميائية والبيولوجية والمياه المطلوبة لزراعة السيال .

وقد حقق برنامج إعادة تقويم أشجار السيال نجاحًا كبيرًا ، حيث نجحت عدة مشروعات أسسها متبرعون ووكالات عالمية في زراعة أكثر من ٦٠٫٠٠٠ شجرة بسانت كاترين والزرانيق والعميد ووادي العلاقى .

١٠- جيولوجية وهيدرولوجية وادى العلاقى

«بصعيد مصر من جنوب النيل معدن الزبرجد في برية منقطعة عن العمارة ويكون من حد بني حمدان إلي نواحي عيذاب . . .ومعادن الذهب في حدود البجة . ومستحق المكان من الإقليم الثاني من قسمة الفلك ، وكذلك التبر في جميع الأرض فهو بالإقليم الأول والثاني» .

(من كتاب بن حوقل "صورة الأرض")

العلاقى اسم يطلق علي سلسلة من الجبال تبدأ من شرقي القرقة ويخترق التلال العالية في الصحراء الشرقية في اتجاه شواطئ البحر الأحمر . وتحتوي الجبال علي العديد من مناجم الذهب ، وكان النهر يحمل قدرًا كبيرًا من الرمل المختلط بمعدن الميكا[٩١] مما أثار اهتمام الكثير من الحكام والذي جعل من منطقة العلاقى هدفًا للكثير من المهتمين باستخراج الذهب والأحجار الكريمة .

جيولوجية وادي العلاقى : نظرة عامة

يقع وادي العلاقى علي فاصل جيولوجي هام بين صخور الركيزة المعقدة المكونة من الصخور النارية والمتحولة(*Basement Complex*) شرقًا وصخور الحجر الرملي النوبي غربًا . ويرقد فوق الصخور الصلبة في الوادي غطاء من الصخور السطحية التي تكونت من الرواسب النهرية والرمال المنقولة بالرياح والفتات الناتج عن جرف السيول لكسر الصخور ، وتدل القطاعات الرأسية في هذه الرواسب والتي تظهر خاصة في الآبار علي أن سمك هذه الرواسب يتراوح من ١٠ إلي ٢٠ مترًا ، كما تدل الطباقية في الرواسب والتصنيف الحبيبي علي الدور الكبير الذي لعبته المياه في تكوين هذه الرواسب ، والتي غالبًا ترسبت في بادئ الأمر أثناء فترة رطبة خلال الزمن الحديث (الهولوسين *Holocene*) ، وقد حدث هذا منذ حوالي ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، ومن النادر أن

(٩١) الميكا : عائلة كاملة من المعادن المكونة للصخور ، وهي مكونة من الماسكوفيت والفلوجوبيت والبيدولايت ، ويمكن طرق جميع أنواع الميكا إلى صفيحات رقيقة ، وهي لينة جدًا ويمكن خدشها بواسطة أظافر اليد ، ويتراوح لونها ما بين عديم اللون إلى ظلال الأصفر والأخضر والأحمر والبني والأسود . وتوجد الميكا في كثير من صخور القشرة الأرضية فهي تمثل جزءًا هامًا من الصخور النارية .

الفيضانات والسيول المعاصرة استطاعت أن تفعل مثل ما حدث في أغسطس عام ١٩٨٨م .

والأرجح أن العمليات الجيولوجية كانت ذات نشاط محلي أكثر منه إقليمي ، وكانت عمليات الجرف والتنظيف في أودية الفيضانات يصحبها غسيل للصخور وإعادة ترسيب علي أطراف الوادي أو أكثر علي القطاعات المسطحة من الوادي ، وكان الانحدار علي امتداد الوادي طفيفًا جدًا ولا يتجاوز ١ : ٢٠٠ .

وتوجد هناك أماكن شديدة الانحدار تظهر فيها صخور الأساس ، وفي هذه الأماكن تتجمع كميات كبيرة من الرمال المنقولة بالرياح . والمساحات شبه المسطحة والتي تكونت من الترسيب في الأنهار علي قاع الوادي سمحت بنمو النباتات البرية وبعض المحاصيل ، فهذه الرواسب النهرية السطحية تكون تربة صالحة للزراعة عندما تتوافر المياه ، والدليل علي ذلك ازدهار أنواع من النباتات وتجمعات أخري من النباتات مثل الأثل *Tamarix nilotica* علي الوادي من شاطئ بحيرة ناصر علي خلاف النباتات الصحراوية الحقيقية والتي يغلب عليها نوع *Pulicaria crispa* (شاي الجبل) . وقد سُجل هذا النمو النباتي في السنوات الأخيرة وحيث توجد كميات كبيرة من زراعات الحدائق الصغيرة التي قام البدو بزراعتها باستخدام التربة النهرية والمياه من الآبار الضحلة . ومن الجدير بالذكر أنه توجد حوالي ٢٠٠ كم^2 من أرض الوادي صالحة للزراعة ، والجزء الأكبر من الوادي والذي يقع فوق منسوب خط الشاطئ مغطي الآن بكثافة عالية من شجيرات الأثل الخشبية والتي تعتبر طعامًا هامًا للإبل .

يتذبذب مستوي بحيرة ناصر موسميًا وسنويًا ويعتمد التغير علي تدفق المياه من والي الخزان المائي ، ويغير كثيرًا في شكل الشاطئ ، وبمرور الوقت يسبب تأثيرًا كبيرًا علي هيدروجيولوجية المنطقة ، ولذلك فالخواص الجيولوجية للوادي تعتمد علي خواص الصخور الصلبة والرواسب السطحية معًا .

ومن المعروف أن الحجر الرملي النوبي يحتوي علي كميات كبيرة من الماء في العمق ، وهذا الماء قديم بلا شك ومن عمر الرواسب النهرية في الوادي علي الأقل ؛ وصخور الأساس ، بالرغم من أنها متبلورة وغير منفذة ، فإنها تحتوي علي بعض الماء خاصة في الأجزاء المهشمة والمتشققة كلما اقتربنا من السطح . والماء ينتقل بسرعة

خلال الرواسب النهرية في اتجاه رأسي ويمكن ملاحظة ذلك عندما نتابع شاطئ البحيرة عندما يبدو أن سطح الماء ينخفض بمعدل متر واحد في الشهر . والمعروف عن التحركات الجانبية لمنسوب المياه الجوفية التي تغذيها بحيرة ناصر أنها قليلة جداً، ويبدو أن التأثير بطئ نوعًا ما ولكن استمرار التغذية بالماء من البحيرة يؤدي إلي تأثير ملحوظ في المدى الطويل (Dickenson, 1988).

العمود الجيولوجي

يتكون العمود الجيولوجي في وادي العلاقى - بالإضافة إلي الرواسب السطحية الحديثة - من التتابع التالي من الأحدث إلي الأقدم :

٦- الحجر الرملي النوبي . أحدث

٥- الجرانيت الحديث .

٤- الجرانيت القديم .

٣- صخور الأفيوليت والسربنتينيت والصخور الكربوناتية المصاحبة لهم .

٢- صخور البركانيات المتحولة من الرايوليت والداسيت والانديزيت والبازلت . . .الخ .

١- صخور الرماد البركاني المتحول إلي شست هورنبلندي وبيوتيتي وجرافيتي ، وبعض الإردواز والكنجلوميرات ، وكان المعتقد سابقًا أنها صخور رسوبية خفيفة التحول . *Metasediments* أقدم

تشكل الصخور البركانية المتحولة أكثر من ٥٠٪ من صخور المنطقة وغالبًا ما تكون مصاحبة للفتات البركاني المرافق لها وتوجد في صورة صلبة وأحيانًا في صورة عالية التشوه وتتكون هذه البركانيات من صخور البازلت والأنديزيت - داسيت والريوداسيت - رايوليت ، وبها بعض التراكيب الثانوية مثل الصدوع (الفوالق) والفواصل والكسور والتموجات (الطيات) ، وفي بعض الأحيان تتداخل صخور الجابرو - ديوريت المتحولة والصخور الجرانيتية في الصخور البركانية المتحولة والفتات البركاني المتحول ، وتتواجد في الجزء الأوسط من الوادي والشمالي الشرقي والجنوبي الغربي .

وتنقسم الصخور الجرانيتية إلي جرانيت قديم مثل الموجود في جبل العطشان وآخر حديث مثل الموجود في جبل فيلات في الجزء الجنوبي من الوادي . ومن الناحية الطبوغرافية فهذه الصخور تتواجد مرتفعة نسبيًا عما حولها من الصخور البركانية وصخور الجابرو - ديوريت المتحولة حيث تكون هذه الصخور الجرانيتية من نوع التوناليت والجرانيت القلوي والمسكوفيتي حيث تتداخل في الصخور البركانية المتحولة والفتات البركاني المصاحب لها . وقد تأثرت صخور المنطقة بالعديد من القواطع والعروق ذات التركيب القاعدي والحمضي .

وقد تم تقدير عمر عدد من صخور الركيزة المعقدة بوادي العلاقي بطريقة الروبيديوم/سترونشيوم وأعطت نتائج تتراوح بين ٦٠٠- ١٢٩٠ مليون سنة (جدول ١٠-١) .

جدول (١٠-١): أعمار بعض صخور وادي العلاقى (من مراجع مختلفة)

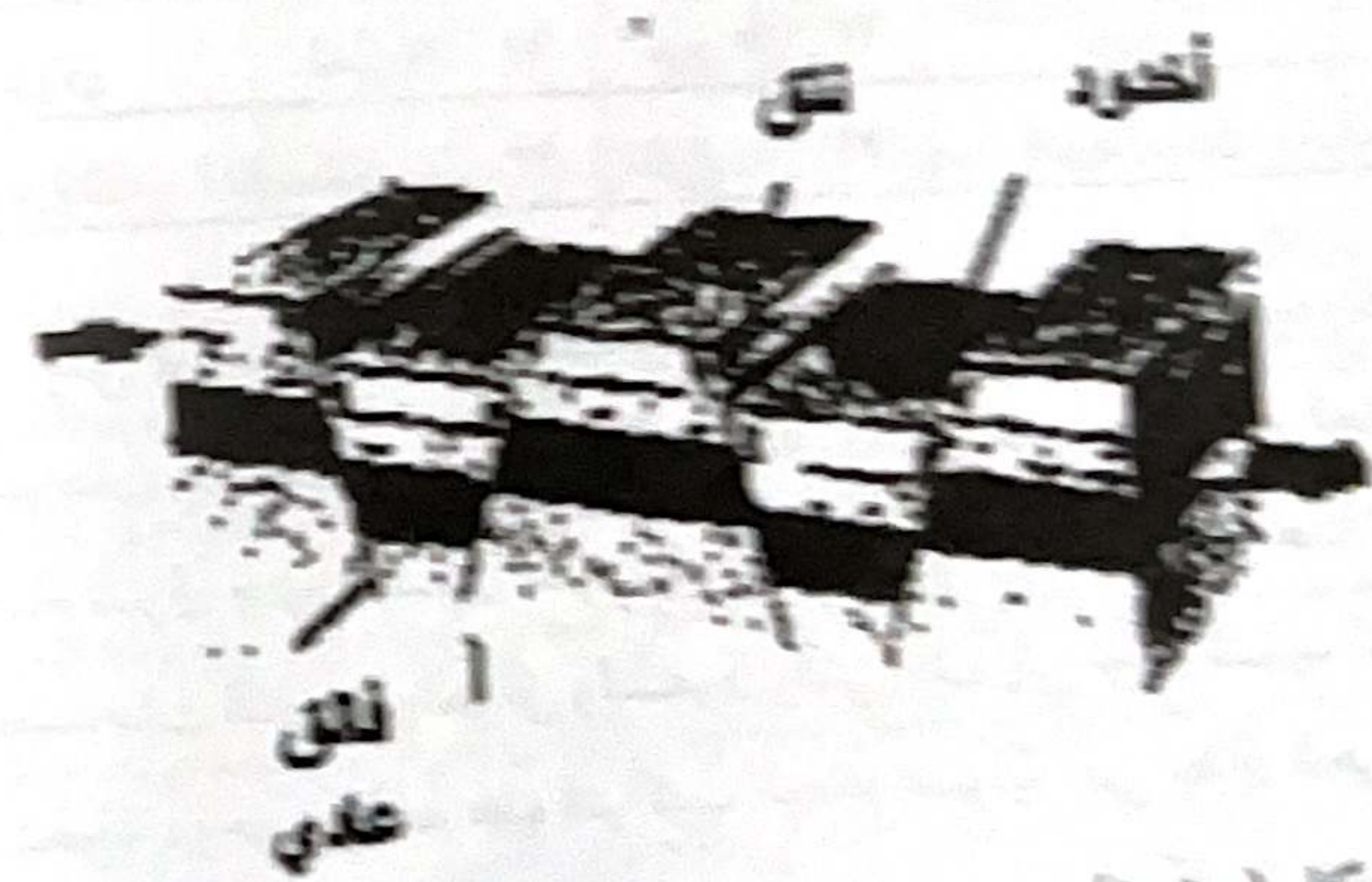
المنطقة	خط العرض	خط الطول	نوع الصخر	العمر (مليون سنة)
ابو سويل	شمال ٥٠َ ٢٢ْ	شرق ٤٣َ ٣٣ْ	ريوليت	٦٥٤
وادي نجيب	شمال ٤٩َ ٢٢ْ	شرق ٤٤َ ٣٣ْ	جرانيت	٨٩٠
منجم ابو سويل	شمال ٤٧َ ٢٢ْ	شرق ٣٨َ ٣٣ْ	شست	١١٩٥
بئر حيمور	شمال ٤٣َ ٢٢ْ	شرق ٤٦َ ٣٣ْ	ريوليت	٦٦٥
ام شيلمان	شمال ٤٠َ ٣٤ْ	شرق ٣٤َ ٣٣ْ	اداملليت	٦٠٥
وادي حيمور	شمال ٤٠َ ٢٢ْ	شرق ٢٨َ ٣٣ْ	شست	١٢٩٣
ام كروش	شمال ٣٩َ ٢٢ْ	شرق ٤٣َ ٣٣ْ	ديوريت	٨٩٠
ام جرايات	شمال ١٠َ ٢٢ْ	شرق ٠٠َ ٣٤ْ	انديزيت متحول	٩٣٨

ومن الناحية التركيبية فالصخور البركانية المتحولة عالية التشوه والتصفح وبها بعض التموجات والانحراف الناتج من تأثير نطاق الجز والقص في وادي العلاقي والذي يأخذ اتجاه شرق جنوب شرق-غرب شمال غرب ، وقد نتج عن هذا الجز أيضًا بعض التصدعات الثانوية والفوالق والشقوق والتي أدت إلي تورق شديد للصخور البركانية المتحولة ، وحيث تأخذ هذه التراكيب اتجاهًا عموديًا علي نطاق الجز في وادي العلاقى متمثلاً ذلك في معظم الوديان والتي يأخذ بعضها الشكل السلمي لبعض الصدوع (الصباغ ، ٢٠٠١) .

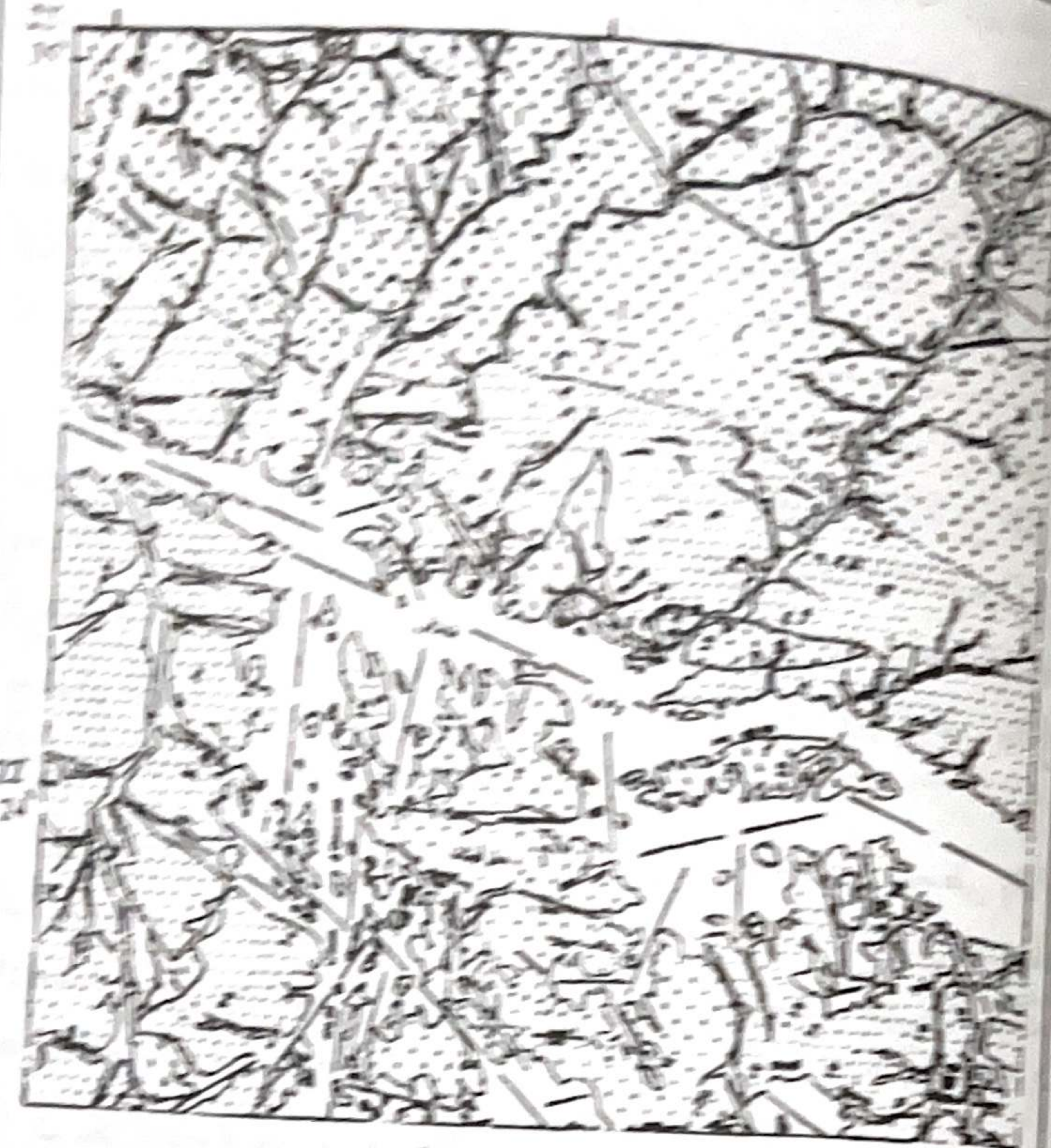
التراكيب الجيولوجية

يوجد في وادي العلاقي تراكيب جيولوجية على هيئة طيات كبيرة يمتد محورها في الاتجاه الشمال الغربي، وتظهر هذه الطيات جلياً في الجزء الجنوبي من وادي العلاقي. كما أن هناك أيضاً أحواضاً وقباباً تركيبية مقفلة. تمتد الكسور في اتجاهات متعددة. ومن الجدير بالذكر أن تواجدات الذهب في منطقة أم جرايات، وكذلك وادي السيل ومحاريق، والعطشان تقع كلها على خط مستقيم مواز لوادي السيل، ويوجد أيضاً تخطيط *Lineament* عام يمتد في الاتجاه شرق ٣٦-٢٦ غرب.

وفي الجنوب الشرقي للمنطقة يوجد فالقات متوازية بأحقاف اتجاه البحر الأحمر والكتلة التي تحركت إلى أسفل هي الكتلة الشمالية الشرقية، كما يلاحظ أيضاً اتجاهات عرضية للفوالق وخاصة في وادي حسير ووادي مرة. وقد أمكن أيضاً تسجيل صدوع تأخذ اتجاه شمال - شمال شرق وغرب - شرق. والفوالق من النوع الأول تمر بمناطق تهشيم قوية تمتد شمال - شمال شرق من وادي العلاقي ونتج عنها قص شديد في الصخور البركانية المتحولة، وهذه الاتجاهات تتفق مع اتجاه خليج العقبة - البحر الميت. والفوالق الشرقية والغربية هي السائدة في الجزء الجنوبي الغربي من مصر حيث سجل عيسوي (١٩٧٦) عدداً كبيراً من الفوالق العادية بعضها يصل امتداده إلى ٢٠٠ كم في الطول، والتي تقسم المنطقة إلى بلوكات وأخاديد *Grabens* وتلال *Horsts* (شكل ١٠-١، ١٠-٢). وبعض الفوالق شرق - غرب تمت إزاحتها بواسطة الفوالق التي تمتد شمال - جنوب.



شكل (١٠-١): مجسم يوضح تراكيب الأخاديد والتل.



شكل (10-2): خريطة جيولوجية للمنطقة الواقعة بين وادي محاريق ووادي بنكيت، وادي العلاقي، الصحراء الشرقية، مصر (عن Mansour and Romani, 1979).

الثروة المعدنية في وادي العلاقي

المعادن الاقتصادية

اشتهرت الصحراء الشرقية وبلاد النوبة منذ قديم الزمان بأنها من أهم مناطق التعدين في العالم ، ولقد امتلأت خزائن الفراعنة بالذهب من مناجم البجه . ويحدثنا التاريخ أن الفرعون سنفرو هو أول من استطاع استغلال مناجم البجة تجاريًا ، كما قام بتسخير البجة في أعمال التعدين .

ذكر بول Ball الجيولوجي والجغرافي البريطاني الشهير عام (١٩٠٦) أن بعض المصادر ترى أن اكتشاف الذهب في الجبال التي تقطنها قبائل البجة كان في الفترة من ٣٠٠٠ إلى ٢٥٠٠ قبل الميلاد ويعتقد أيضا أن أول حملة لاستغلال الذهب في جبال البجة كانت على يد الأسرة الفرعونية الخامسة (٢٧٤٥ قبل الميلاد) . تزامنت هذه الفترة مع حكم بيبي الثاني عام ٢٦٤٤ قبل الميلاد ، والذي أرسل جنوده إلى الجنوب والجنوب الشرقي للمنطقة التي سميت فيما بعد بلاد الإلهة بنط .

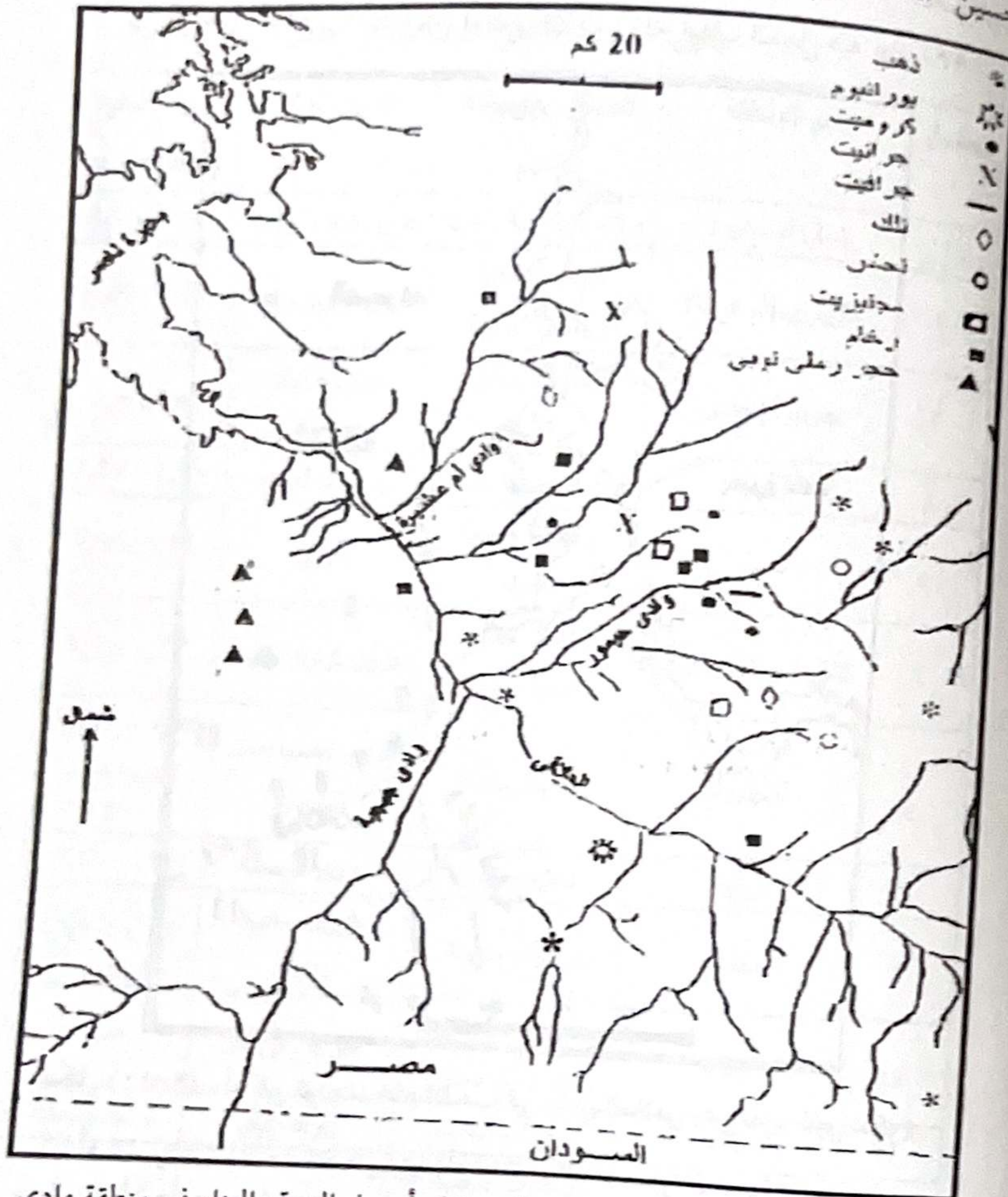
وشهدت مناجم البجة نشاطًا متزايدًا أثناء حكم الإمبراطورية الوسطى (الأسرة الثانية عشر - الأسرة الرابعة عشر ٢٠٠٠ -١٥٨٠ قبل الميلاد) ، وفي تلك الفترة بالتحديد عرف البجاوي لأول مرة لدى الأسرة الثانية عشر حيث ظهرت صورته في إحدى المقابر في مير[٩٢] بمصر العليا .

لم يكن إنتاج الذهب في فترة الأسرة الخامسة عشر بالمستوى المطلوب . غير أن مجيء تحتمس ، فرعون الأسرة الثامنة عشر حوالي ١٤٢٠ قبل الميلاد ، أعطى دفعة وقوة جديدة للعمل بمناجم الذهب في المنطقة . انخفض إنتاج الذهب في عام ١٣٠٠ قبل الميلاد ، ولكن مجيء سيتي الأول ، الأسرة التاسعة عشر ١٣٢٠ - ١٣٠٠ قبل الميلاد ، رفع الإنتاج مرة أخرى وحاول دون جدوى تطوير مناجم درهيب في وادي العلاقي ؛ إضافة لذلك يرجع له الفضل في وضع أقدم خريطة في التاريخ لمناجم درهيب ووادي الحمامات منجم الفواخير[٩٣] .

(٩٢) مير : مدينة تقع على البر الغربي للنيل بالقرب من القوصية وعلى بعد حوالي ١٥ كم شمال مدينة أسيوط وتضم جبانة حكام الإقليم الرابع عشر من أقاليم مصر العليا .

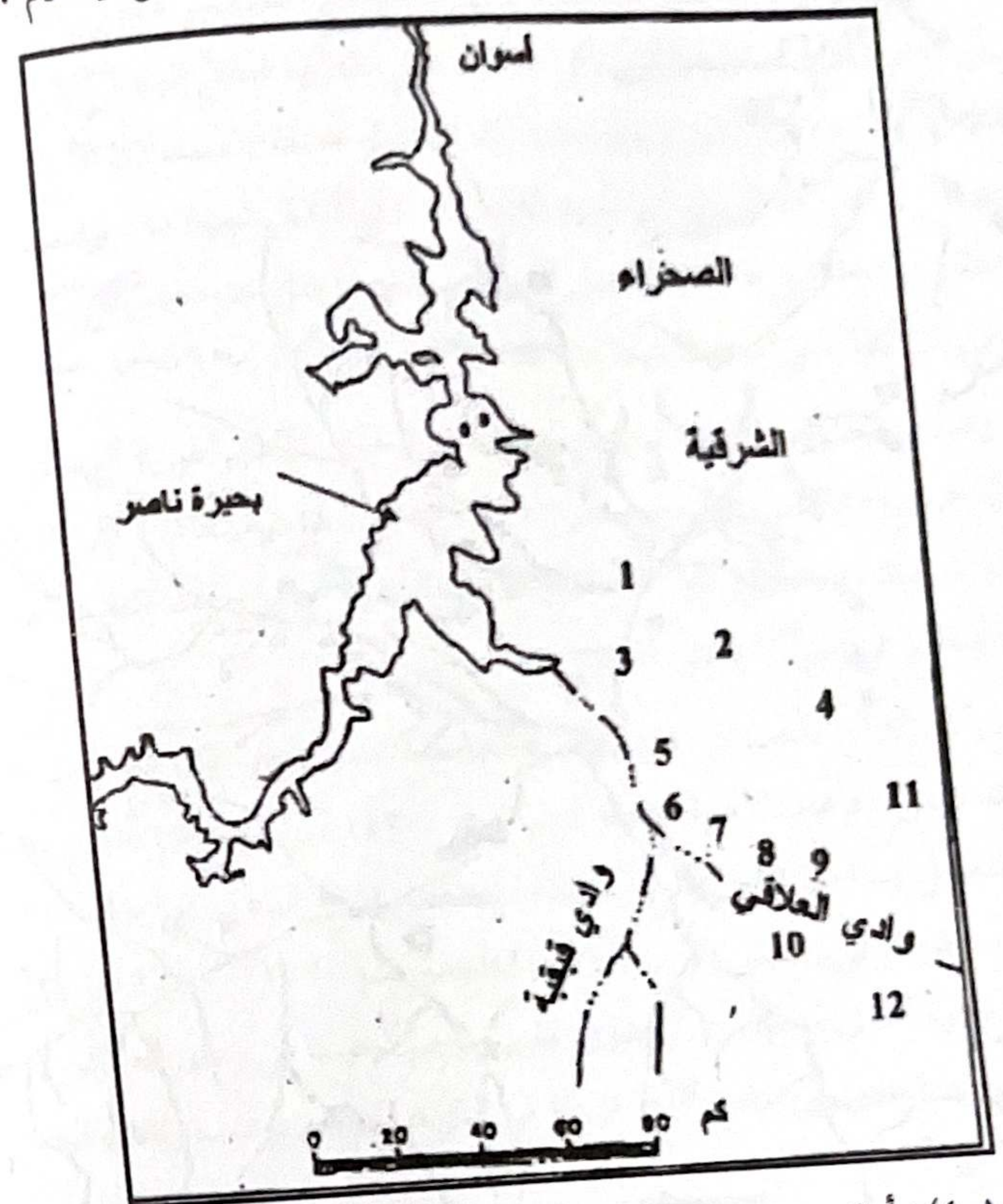
(٩٣) الفواخير : منجم ذهب يقع في منتصف المسافة تقريبًا بين قنا والقصير ، ظل المنجم ينتج حتى مطلع الستينات ثم أغلق عقب قرارات التأميم . خريطة المنجم هي أقدم خريطة رسمها الإنسان لمنجم ومحفوظة في متحف تورينو بإيطاليا .

تحتوي صخور وادي العلاقى علي خامات معدنية هامة شكل (١٠-٣) ، .ويطلق علي جبال وادي العلاقى جبال الذهب ، وكان الوادي - الذي كان يسمي وادي المعدن- منذ زمن طويل ملهمًا للباحثين والخبراء والعلماء ، وتتميز المنطقة بالطبيعة الخلابة والشواطئ والنخيل العالية ، وفي الطريق جنوبًا من الشلال يمر المسافر إلي دابود - دهميت - أمبركاب - كلابشة - خور رحمة- أبو هور - مرواو- ماريا - قرشة وجرف حسين- الدكة - ثم إلي نهاية الرحلة العلاقى عبر مسافة ١١٠كم جنوب السد والشلال .



شكل (١٠-٣) : خريطة مواقع الخامات المعدنية وأحجار الزينة والبناء في منطقة وادي العلاقى (عن Mekki and, Dickenson, 1990 بتصرف) .

١- الذهب : يوجد الذهب في وادي العلاقى في عروق رفيعة من الكوارتز المتداخلة في صخور البركانيات المتحولة (Metavolcanics) التي غالبًا ما تكون قاعدية ، وأحيانا في بعض الرسوبيات المتحولة (Metasediments) والتي تفسر حاليًا كنوع من الرماد البركاني المتحول . ومناطق الذهب الرئيسية سبع (شكل ١٠-٤) وهي : أم جرايات (منجم كبير قديم) ، حيمور ، أبو فاس ، فيلات ، مراهيك ، مُرّة والنجيب ، وكانت هذه المناجم تستغل منذ زمن الفراعنة (جدول ١٠-٢) ، وقد جاء ذكر منجم حيمور في الإنجيل(Mekki and Dickinson, 1990) ، وقد توقف العمل فيه عام ١٩٣٠م .



شكل (١٠-٤) : أماكن تواجد خام الذهب في وادي العلاقى (عن تقرير لليونسكو) .
١- أم عشيرة الشمالية ، ٢- هارباري (أم اراكا) ، ٣- أم عشيرة الجنوبية ، ٤- نجيب ، ٥- حيمور ، ٦- كتلة وادي النيل الشرقية ، ٧- أم جرايات ، ٨- مراحيك ، ٩- عطشاني ، ١٠- فيلات ، ١١- مرة ، ١٢- أبو فاس .

ويتراوح سمك العروق الحاوية للذهب من عدة سنتيمترات إلي ٥ متر باستثناء منطقة أم جرايات التي يصل فيها سمك عرق الكوارتز إلي حوالي ١٠م ، كما يوجد الذهب في حبيبات صغيرة في رواقد الوديان (*Placers*) بكميات قليلة لم تشجع على الاستمرار في التنقيب . توجد آثار لأعمال منجمية قديمة يمتد عمرها حتى زمن الفراعنة والرومان ، وبعض الأعمال الأحدث في زمن الفتح الإسلامي والقرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين (UN, 1986) .

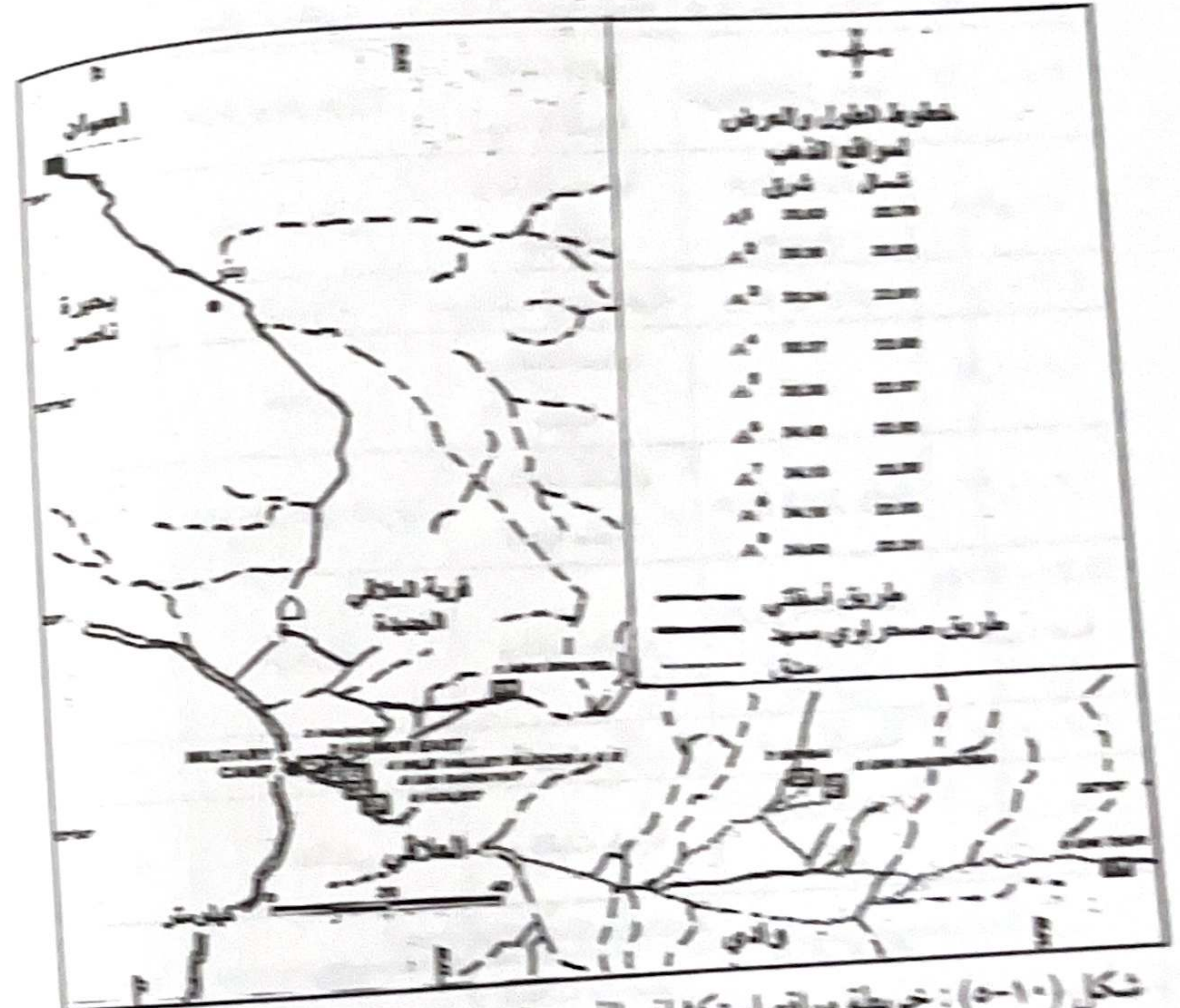
جدول(١٠-٢): مناطق الذهب بوادي العلاقى.

مسلسل	اسم المنطقة	الصخور المحيطة بالخام	تواجد الخام	نسبة الذهب جم/طن متري
١	شمال أم عشيرة	بركانيات قاعدية متحولة	عروق كوارتز رفيعة	١,٠ - ٠,٥٥
٢	هاريباري (أم عركة)	بركانيات قاعدية وحمضية متحولة	عروق كوارتز رفيعة	٣,٧ - ٠,٢٧
٣	جنوب أم عشيرة	بركانيات حمضية متحولة	عروق كوارتز صغيرة	حوالي ١,٠
٤	نجيب	بركانيات قاعدية متحولة	رواقد في الوادي	٢,٢٧ - ١,٧٠
٥	حيمور	بركانيات حمضية متحولة	عروق	٠,٧ - ٠,٢٤
٦	كتلة وادي النيل الشرقية	بركانيات خضراء قاعدية متحولة	عروق كوارتز رفيعة	١,٢ - ٠,٣٣
٧	أم جرايات	بركانيات متحولة	عروق بعضها يصل إلي ١٠م	١٥,٥٠ - ٧,٧٥ ذهب : فضة ١ : ٦,٥
٨	مراهيك	أنديزيت متحول	عروق متوسطة	٣,٧ - ٠,٢٧
٩	عطشاني	بركانيات متحولة	عروق صغيرة ورواقد	٠,٦٢ - ٠,١١
١٠	فيلات	بركانيات قاعدية متحولة تداخلات من الجابرو	آثار في الرواقد	--
١١	مُرة	بركانيات متحولة	رواقد، آثار	تواجد ضعيف
١٢	أم فاس	بركانيات حمضية متحولة	عروق	١,٤ - ٠,٩٤

النشاط التعديني الجاري لاستكشاف الذهب بوادي العلاقي

توجد في وادي العلاقي ثماني مناطق للذهب (كل واحدة مساحتها ١٦ كم² بالإضافة إلي منطقة بها تمعدن النحاس والنيكل تابعة لشركة جيبسي لاند المحدودة، والتي تقوم أيضا بدراسة خامات التالم الموجود في وادي أبو ديباب (شكل ١٠-٥).

وقد تم توقيع عقد حفر حوالي ١٤٠٠٠ متراً مع احدي الشركات الأسترالية . ويتم برنامج لعمل حفر تفصيلي لاختيار ١١ موقعًا تاريخيًا كان يستخرج منه الذهب علاوة علي بعض المناطق التي تم التعرف عليها حديثًا ، والأعمال التاريخية تعود لأواخر عام ١٨٠٠ إلي عام ١٩٢٠ والتي قامت بها شركات بريطانية ، وعلي أي حال فهناك شواهد مؤكدة علي نشاط تعدين فرعوني يرجع إلي ٢٠٠٠ سنة .



شكل (١٠-٥): خريطة مواقع استكشاف الذهب في وادي العلاقي والوصول إليها من أسوان (عن شركة Gippsland Limited) .

١ = أبو سويل ، ٢ = حيمور ، ٣= حيمور شرق ، ٤= بلوكات وادي النيل ، ٥ = أم جرايات ، ٦ = كوليت ، ٧ = سيجا ، ٨ = أم شاشويا ، ٩ = أم طيور .

والأولوية في البحث سوف تكون لمنطقة سيجه حيث من المخطط البدء بحفر ١٢ قطاعا ومن المناطق الواعدة منطقة أم شاشويه القريبة حيث يتم حفر ٨ قطاعات ، وقد أعطت نتائج تحليل لعض العينات في منطقة حيمور التعدينية القديمة أرقاما مشجعة ، ويجري الإعداد لحفر حوالي ٢٢٦٠ مترا تعتمد علي النتائج التي يتوصل إليها العمل الحقلي . كما يجري اختيار منطقة شرق أم جرايات التاريخية ومنطقة أم طيور .

وجميع المناطق الثمانية المستهدفة في وادي العلاقي غير مأهولة بالسكان ، وأقرب مكان يعيش فيه البدو يقع علي بعد ٤٠ كم شمال مصب الوادي في بحيرة ناصر ، والجدير بالذكر أن برنامج التنقيب أخذ في الاعتبار المشاكل البيئية التي تصاحب عادة نشاط البحث عن الذهب ، ومن أهمها الحفاظ علي التراث القديم وعدم تعريضه للدمار

٢- النحاس ، والنحاس / النيكل : وهذه الخامات موجودة علي بعد ٧ كم شمال وادي العلاقي و١٨كم شرق-جنوب شرق منجم أم جرايات للذهب وفي منطقة أبو سويل ، وتتراوح نسبة النحاس من ٢ إلي ٥ جم في الطن وقد استغلت هذه المناجم فترة طويلة ولا زالت آثار ومخلفات عمليات التعدين باقية حتى الآن في المنطقة .

٣- الكروميت : ويوجد في منطقة أم شلمان والقليب وحيمور والمقُسم والتمعدن عبارة عن عدسات صغيرة مبعثرة لم تثبت جدواها الاقتصادية (*Hudson et al., 1983*)

٤- اليورانيوم : يوجد في جبل أم آري جنوب أبو سويل وفي أماكن أخري كثيرة متفرقة قريبة من وادي العلاقي مثل جبل الهودي ووادي أبو عجاج ، وهو موجود في عروق قاطعة للصخور البركانية المتحولة وبعض صخور الجرانيت ، وتدل قياسات الإشعاع علي شذوذ يبلغ حوالي أربع مرات الموجود في الصخور المحيطة ، كما تم رصد معدن الثوريوم (حوالي ٢٢ جزءاً في المليون) واليورانيوم (حوالي ٢١ جزءاً في المليون) . كما يوجد في صخور الجرانيت الوردي المنتشرة في وادي الشوم (٦٥ كم جنوب شرق أسوان) وقد سجلت أعلي درجات الشذوذ بالقرب من الحجر الرمل النوبي حيث وصلت إلي ٧٤٠ مرة النسبة الموجودة في الصخور المحيطة بحوالي ٢٩٠٠ جزءاً في المليون . وفي جبل أم آري جنوب أبو سويل يوجد أعلي شذوذ لليورانيوم ، وقد قدر الاحتياطي الجيولوجي في هذه المنطقة بحوالي ٤ آلاف طن (عافية ، ٢٠٠٦) . وقد سجل *Hudson* وآخرون (٨٣١٩) أعلي درجة إشعاع في قاطع

من الجرانيت موجود في الجزء الغربي أعلي وادي أم دويلة جنوب وادي العلاقي ، و دقيق القاطع طوله عدة كيلومترات ويمتد شمال ٣٧ شرق(*UN, 1986*).

٥- **التلك** : يوجد التلك بكميات كبيرة في وادي حيمور ووادي قليب ووادي أم عراكة مصاحبًا لصخور السربنتينيت ، أما في أم أري فيتواجد التلك بكميات صغيرة مع الصخور البركانية المتحولة القاعدية .

٦- **الجرافيت** : ويوجد في منطقتين : الأولي في وادي حيمور .ناحية أبو سويل حيث يوجد الجرافيت علي هيئة عدسات في الصخور المتحولة ، والمنطقة الثانية توجد علي بعد ٢كم شمال شرق جبل غدير بالقرب من وادي حيمور ، حيث يوجد الجرافيت في طبقة سمكها حوالي ٣٠سم وتمتد لمسافة حوالي كيلومتر واحد .

أحجار الزينة والبناء

يوجد الكثير من صخور الزينة والبناء وكانت تستغل منذ وقت الفراعنة ، وتعتبر مصدرًا للثروة الحجرية في المنطقة في الوقت الحالي حيث توجد العشرات من المحاجر المتوسطة والصغيرة والتي تقدم فرص عمل لأهالي النوبة والبدو ، وقد تم تمهيد طريق بين أسوان ووادي العلاقى لسهولة نقل هذه الأحجار .

١- **الرخام** : وأهم الأحجار التي تستخرج حاليًا الرخام الموجود بكميات كبيرة في منطقة أم عراكة ووادي العلاقى نفسه وقوليب وحيمور وأم شلمان وأبو سويل . ويمكن تمييز الرخام إلي ٧ أنواع ، وهي : التريموليت ، الجرافيت ، الجرافيت التريموليتي ، الفورستيريت ، التريموليت- فورستيريت جرافيتي والكوارتز النقي ، وقد قدرت الأرصدة الموجودة بحوالي ٣٠٠ مليون متر مكعب من الرخام ذي الألوان الأبيض والأسود والأخضر والأصفر والوردي والرمادي المخطط والمقلم .

توجد شركة مشتركة حكومية/قطاع خاص (*Marnite*)[٩٤] تقوم باستخراج هذه الرخام من سبعة محاجر موضحة بالجدول رقم (١٠-٣) ، بالإضافة إلي بعض بلوكات الجرانيت والديوريت .

(٩٤) اختصار لكلمتي رخام ***Marble*** وجرانيت ***Granite***.

جدول(١٠-٣): محاجر الرخام بمنطقة وادي العلاقى (عن جهاز تخطيط أسوان).

اسم المحجر	المسافة إلي أسوان بالكيلومتر	ألوان الرخام	الاحتياطي بالمتر المكعب
العلاقى	٢٠٠	متدرج بعروق ملونة	٣٦٦١٠٠
القوليب	١٨٩	أبيض ورمادي	١٦٦٥٢٧٥
ام عركه	١٧٦	متدرج من الأبيض إلي الأسود	١٠٠٦٦٥٣٩٧
ابو مره	١٣٦	رمادي مع أخضر وأصفر	٤٠٣٨٠١
وادي شلمان	١٤٥	متدرج من الأبيض إلي الأسود	٢٣٠٠٠٠٠٠
وادي حيمور	١٨٦	متدرج بعروق ملونة	١٤٠٠٠٠٠
وادي أبو سويل	١٨٥	متدرج من الأبيض إلي الأسود	٥٠٠٠٠٠٠

يوجد الرخام في هذه المنطقة علي هيئة شرائط مصاحبة لصخور الشست الملامسة لصخور السربنتينيت . وتستخرج الشركة حوالي ألفين متر مكعب سنويًا من هذه المحاجر ، وإجمالي الاحتياطي يبلغ حوالي ٣٥٨ ٠٠٠ ٠٠٠ م٣ ، وقد بدأت عملية التصدير وخاصة للصين التي أقامت قاطعات للبلوكات في منطقة شق الثعبان علي الطريق الدائري (الأوتوستراد) جنوب المعادي ، شمالي حلوان .

٢- **الكوارتز النقي (المرو)** : توجد بعض محاجر الكوارتز جنوب شرق مدينة أسوان في منطقة بير الهمر[٩٥] ، والوصول إليها عن طريق مدقات صحراوية . ويوجد الكوارتز علي هيئة عروق وكتل وقواطع تقطع الصخور الجرانيتية والمتحولة ، وتغطي مساحة قدرها ٤٠هكتار وتمتد لمسافة حوالي ١٠٠م وسمكها يتراوح من متر إلي أربعة أمتار بمتوسط ١,٥ - ٢,٠م ، ويبلغ احتياطي كل محجر حوالي ٦٠٠٠طن متري .

٣- **الجرانيت** : نشطت منطقة وادي العلاقي لمحاجر الجرانيت السابق التعامل معها منذ عهد الفراعنة والمشيد بها الكثير من معابدهم حتي بلغ ذروته للإنتاج في عام ١٩٩٦ ، وكانت أنواع الجرانيت المستخرجة لا تتجاوز ٤ أنواع فقط حتي عام ٨٧ ، وصلت أنواع الجرانيت الآن إلي أكثر من ٤٠ نوعا . ومن أشهر إنتاجها نوع من الجرانيت يسمي (جيرتي) *Gerty* والذي سُمي علي اسم الجيولوجية الرائدة

(٩٥) الهمر : اسم يطلقه سكان الصحراء الشرقية علي التلك .

جيرترود لبيب نسيم[٩٦] ، والتي كانت تعمل في المنطقة مع والدها في النصف الأول من القرن العشرين .

٣- **صخور انشائية أخري** : ويوجد علاوة علي ما سبق ذكره من الأحجار الحجر الرملي النوبي ، والرمال ، والزلط الصالح لأعمال البناء ، والكاولين[٩٧] والفلسبار والكوارتزيت ، كما يوجد علي الطريق بين العلاقى وأسوان بعض المحاجر الصغيرة والتي يستخرج منها الباريت[٩٨] (كبريتات الباريوم) . وقد غمرت بعض هذه المحاجر الصغيرة بمياه بحيرة ناصر .

جيولوجيا المياه الأرضية

معظم الآبار الموجودة في وادي العلاقى مياهها مالحة قليلاً ، وفي فتحات المناجم المهجورة في منطقة أبو سويل وأم جرايات توجد مياه علي أعماق كبيرة ليس من اليسير الوصول إليها ، ويوضح الجدول رقم (١٠-٤) مواقع وعمق الآبار التي تم فحصها في وادي العلاقى . ومعظم الآبار الضحلة الموجودة بالوادي بعضها مؤقت ويحتوي علي مياه مصدرها بحيرة ناصر ، ومنسوب الماء بها ينخفض بسرعة بالجاذبية الأرضية ويتداخل مع خزان الحجر الرملي النوبي العميق . ونوعية الماء بصفة عامة جيدة وصالحة للشرب والري .

وقد كشفت المياه الأرضية في البئر الرئيسي لمنجم أبو سويل للنحاس والنيكل أثناء الأعمال المنجمية لتعميق هذا البئر ، وبلغ عمق هذه البئر ٦٨,٥ مترًا وقد قابلت هذه البئر المياه الأرضية علي أعماق ٢٤ ، و٥١,٥ ، و٥٥ و٦١ مترًا علي التوالي حيث كانت تتسرب من صخور الشست الألمندينى (*Almandine schist*) المليئة بالفواصل والكسور وتختزن المياه الأرضية .

(٩٦) جيرترود : ابنة الجيولوجي الشهير لبيب نسيم الذي كان يدير عدداً من المناجم الصغيرة في الصحراء الشرقية مطلع القرن العشرين .

(٩٧) الكاولين : صخر طيني دقيق الحبيبات غالبًا ما يكون أبيض اللون ويتدرج إلى اللون الرمادي ثم الأصفر ويحتوي على مجموعة من المعادن الطينية تسمى مجموعة الكاولين ، وينشأ في موضعه الأصلي نتيجة لتحلل المعادن الحاوية للألومينا مثل الفلسبار والميكا في صخور الجرانيت ، ويتكون من سيليكات الألومينا المائية ، وغالبًا ما يحتوي على كمية قليلة من الحديد ، لونه أبيض أو رمادي .

(٩٨) الباريت : يوجد الباريت فى مصر في أكثر من ١٠ مواقع منتشرة بالصحراء الشرقية والغربية ، وبعض هذه المواقع قابلة للاستغلال الإقتصادى . ومن أهم هذه المواقع جبل الهودى شرق أسوان وحماطه ووادى دبب ووادى شعيت وجبل علبه بالقرب من الحدود السودانية . ويستخدم الباريت بصفة أساسية فى سوائل حفر آبار البترول وفى تحضير مركبات الباريوم وفى صناعة الطلاء والمنسوجات والورق وبعض العقاقير الطبية .

والبئر الرئيسي لمنجم أم جرايات للذهب يقع علي بعد ٥٠كم جنوب شرق منجم أبو سويل ، حيث تخزن المياه في الكسور والفواصل الموجودة في الشست وتحجز بحاجز أصم من عروق المرو حامل للذهب ، سمكه يتراوح من ٥٠ إلي ١٠٠ سم ويمتد شرق - غرب ويميل ٨٥ غربًا .

أما في الآبار الأخرى مثل حيمور والقليب فالمياه الأرضية تتجمع في مجاري الوديان ، وتقع آبار حيمور في الأجزاء العليا من الوادي علي بعد حوالي ٢٠كم جنوب شرق منجم أبو سويل ويبلغ عمق المياه حوالي ٢م ، أما بئر القليب فإنها تقع علي بعد حوالي ٥٠ كم من منجم أبو سويل بوادي أم عركه المتفرع من وادي القليب (شكل ١٠-٦) .

جدول (١٠-٤): التحليل الكيميائي لمياه الآبار الرئيسية في وادي العلاقي وروافده (الشاذلي وآخرون، ١٩٧٠).

العناصر	بئر منجم أبو سويل	بئر حيمور الجنوبي	بئر أم جرايات	بئر القليب
	جزء في المليون			
المواد المذابة الكلية	١٧٦٤	٧٠٤٢٢	٦١٠	٢٠٩٠
المواد العضوية	١٧٣	٤٢٥	١٤٠	٢٢٠
Cl	٨٨٥,٦	٤٥٠	٥٩	٩٦
SO_4	٨٨٧	٧٨٧	١٤٦	٦٩٩
H_2S	٢,٠٢	١,٢٢	٢,٠٢	٢,٠٢
$CaSO_3$	١٦٠٠	١٦٢٠	٢٩٠	٧٥٠
$CaSO_2$	١٠٠٠	١١٢٠	٢٢٠	٥٤٠
مغنسيوم	٦٠٠	٥٠٠	٧٠	٢١٠
قلوية ميثيل برتقالي	١٩٢	٦٨	١٢٦	٢٥
قلوية فينولفثالين	-	١٣	-	٨,٥
الأس الهيدروجيني	٧,٧	٧,٣	٧,٥	٧,٤٢
اكسجين ممتص علي مادة غير عضوية	٠٥.	٠.٢٥	٠.٢٥	٠.٢
اكسجين ممتص علي مادة عضوية ٠,٥	٢,٠	١,٧٥	١,٠	١,٠٥
نشادر حر	٠,٠١٢	٠,٠١٢	٠,٤٢	٠,٠٤١
نشادر ألبيوموانى	٠,٠٢	٠,٠٢٢	٠,٠٤	٠,٠٤
نتريت	٠,٠٤	٠,٠٨	٠,٠٠١	-
نترات	١,٠	١٠	٠,٠١	-
نحاس	٠,٣	٠,١	٠,١٥	٠,١٥
نيكل	٦٨,١	٠,٠١٣	-	٠,٠٢
زنك	-	٠,٠١٢	٠,٠٢	-
رصاص	-	٠,٠١٦	٠,٠٢	٠,٠١٦
كوبالت	٠,٠٢	٠,٠١٦	٠,٠٠٨	-
حديد	٠,١	٠,٠٦	٠,٠٦	٠,١٢
بورون	٢,٠	٢,٢	١,٠	١,١
فلور	٦,٨	١٣,٧	٢,٥	٥,٧
صوديوم	٩٤٠	١٠٦٠	١٠٠	٤٤٠
بوتاسيوم	٢٠	٢٠	١٠	٢٠
سيليكا	٢٧,٥	١٧,٧٥	٢٢,٥	١٨,٢٥
الصلاحية	غير صالح للإنسان وصالح للحيوان	غير صالح للإنسان وصالح للحيوان	صالح للشرب، اسن قليلا	غير صالح للإنسان وصالح للحيوان
عمق الماء بالمتر	٢٥	-	٢٥	٨

شكل (١٠-٦) : آبار المياه بوادي العلاقي .

وقد تم – بالإضافة للمعلومات السابقة– جمع بيانات من ١٧ بئرًا ضحلة قام بحفرها العبابدة والبشارية أواخر القرن العشرين بالرغم من الظروف المتغيرة لشواطئ البحيرة وغمر مساحات كبيرة بماء البحيرة ، وهذه الآبار الضحلة المؤقتة تحتوي علي مياه مصدرها بحيرة ناصر ، والماء عادة يهبط سريعًا بسبب الجاذبية الأرضية أسفل قاع البئر ويتسرب إلي خزان الحجر الرملي النوبي العميق . وتدل مواصفات المياه التالية علي أنها من نوعية ممتازة وصالحة للشرب والزراعة :

١- التوصيل الكهربائي في الرواسب المشبعة بالماء mm hos/cm 750 في درجة حرارة ٢٥ مئوية .

٢- الملوحة من ٣٠٠ إلي ٤٠٠ جزء في المليون .

٣- الأس الهيدروجيني pH أقل من ٧,٥ .

ومتوسط عمق هذه البئر ٢,٥م ولكن متوسط عمق عمود الماء في الآبار ١٠سم فقط ، وبالرغم من أنها قريبة من شاطئ البحيرة فإن لها أعمق أعمدة من المياه . وأقصي مسافة بين الآبار الحاوية للماء وشاطئ البحيرة كان ١,٥ كم والآبار الموجودة علي مسافة ٢كم أو أكثر من الشاطئ كانت جافة (Mekki & Dickenson, 1990).

يعتمد التغير الموسمي للمياه في هذه الآبار علي : منسوب مياه البحيرة وعمق البئر والمسافة من البحيرة وأنواع الصخور وتركيبها ومسامية ونفاذية الطبقات الحاملة للماء .

وفي الآبار الضحلة يكون الماء شائعًا في المناطق التي تتكون من الرمال والزلط المترسب فوقها رواسب حبيباتها أكثر دقة . وتوجد أسفل وادي العلاقي طبقة رملية علي عمق حوالي ٢م يقع فوقها رواسب حديثة تكونت في البرك والبحيرات Lacustrine من الطفلة والطمي وحتى خط كنتور ١٧٩م . وطبيعة الرواسب غير المتماسكة والتي حفرت فيها الآبار تسببت في انهيار الأجزاء السفلية من الآبار مما يستلزم عمل تكسيه لجدران الآبار .

والجدير بالذكر أنه يمكن الحصول علي نتائج أفضل من تدفق مياه مستمر إذا كانت هذه الآبار قد حفرت لأعماق أكبر (١٠م أو أكثر) ، وهذا بطبيعة الحال ، يستوجب تركيب طلمبات لرفع الماء ، ويمكن – في حالة عدم توافر الوقود – تشغيل هذه الطلمبات يدويًا لتجنب المشاكل التي تنشأ من عمليات الصيانة الميكانيكية .

وتقوم الجهات المختصة بعمل دراسات مستفيضة عن استغلال المياه المخزونة في الحجر الرملي النوبي ، وتشير الدراسات الأولية أن حجم الماء المتوقع وجوده في هذه الصخور يصل إلي حوالي ٦٠ مليون م٣ من الماء ومصير المياه الضحلة المصاحبة لبحيرة ناصر هو التسرب إلي الخزانات العميقة الواقعة بين ٦٠ و٢٤٠م تحت سطح الأرض .

يمثل وادي العلاقي منطقة تصريف مكثفة في الصحراء الشرقية المصرية وشمال السودان ، وتوضح نتائج النموذج الرياضي لبحيرة ناصر من خلال نتائج مشروع «دراسة الخزانات الإقليمية بشمال شرق افريقيا (UN, 1988) أن ما يقرب من ٢٩ مليون م٣/سنة يمكن سحبها من المياه الجوفية في الوادي ، وأيضا هناك حول بحيرة ناصر تغذية من البحيرة ، والمشروع الرائد المقترح لتنمية المنطقة سوف يعتمد أساسًا علي المياه الجوفية ، حيث إن تغير مناسيب البحيرة يمكن أن يسبب صعوبات فنية كثيرة بالإضافة إلي أن الزمن اللازم لتنفيذ آبار مياه أقل بكثير من نقل المياه السطحية (شكل ١٠-٧ ، حفني وشطا) .



شكل (١٠-٧) : مناطق الاستصلاح الواعدة للتنمية الزراعية باستخدام المياه الجوفية في منطقة وادي العلاقي في النوبة المصرية وشمال السودان (UN, 1988).

١١- عادات وتقاليد المجتمع البدوي في وادي العلاقي

تحدر النيل من علياء ربوته ... يحدوا ركاب الليالي وهو عجلان

ما مل طول السري يومًا ... وقد دفنت على المدارج أزمان وأزمان

(الشاعر السوداني إدريس جماع)

المجتمع البدوي أناس بسطاء في كل شيء ، يميزهم الهدوء والسكينة والاستقامة والأمانة ، والروابط والتعاطف والتواد الذي يتميزون به يندر وجودها في مجتمعات أخرى ، وقد كان لعزلة منطقة جنوب الصحراء الشرقية الأثر الأكبر في احتفاظها بتقاليدها وعادات سكانها . والمنطقة المحيطة بوادي النيل كان يسكنها شعب النوبة العظيم ، ومن الصعب أن تفرق بين عادات وتقاليد البدو الرحل أو من استقر منهم وعادات أهل النوبة الكرام . لقد حتّمت ظروف منطقة النوبة القديمة على سكانها الاستعداد الدائم لاستقبال الضيوف واستضافتهم طوال إقامتهم بالمنطقة ، وذلك يرجع إلى ندرة المواصلات وعدم وجود وسائل معيشة أخرى مثل الفنادق مما أدى إلى شهرة النوبي بكرم الضيافة الذي لا يلمسه إلا من زار النوبة حيث تنحر الذبائح للضيوف ويقابلون بكل الترحاب والكرم .

المجتمع البدوي والنوبي كأي مجتمع له أفراحه في مناسباته وله أغانيه المتنوعة المتعددة وله فنه الشعبي المميز وآلاته الموسيقية مثل الطار (وهو كالرق ولكنه أوسع قطرًا) والطمبورة وهي آلة بدائية تشبه العود ، وتوجد آلات أخرى دخيلة في الوقت الحالي مثل الأورج .

عادات الزواج

يعتبر الزواج من أهم المهام بالنسبة لوالد العريس ، إذ أنه المسئول عن زواجه من حيث التقدم للخطبة وتحمل التكاليف وربما الاختيار أيضًا . وفي الخطبة يتم تقديم هدايا ونقود وثوب أبيض لأهل العروس . ولا يرى الخاطب خطيبته وتتوارى عن أنظاره إذا صادفته في مكان ما . ويكون بيت العروس من سبعة بروش . وهناك أشياء من مسئولية

العروس تجهيزها مثل أواني المطبخ والزينة و(الكرار) برش عليه نقوش و(المفاقر) قماشة مثل المصلاة . والسرير على العريس ، ويكون من جريد شجر الدوم ، ويجلد بجلد الماعز الناعم وتنسجه النساء .

تسمى الخطبة (قريه) ، الزهرة ، أو (حطاي) . وتقدم الهدايا للعريس من النوق ، كما تقدم للخطيبة ناقة هدية . وخلال فترة الخطوبة لا يأكل الخاطب مع نسيبه . ويرتبط موعد الزواج بالنجوم ، ويمتنعون عن الزواج في عيدي الفطر والأضحى وشهر رمضان وصَفَر وأيام الجمع ، ويتزوجون في الأيام التالية من الشهور الهجرية : الثالث والسابع والتاسع والثالث عشر والخامس عشر والسابع عشر والتاسع عشر وذلك تفاؤلاً بهذه الأيام لأنها أحادية . بعد الخطبة تجهز العروس الهودج (الباشور) وتتبخر بالكثير من الدخان وهو نوع من الأخشاب .

من أدوات زينة العروس ، الحجول[٩٩] ، و(مروت بيسوت) وهو من الذهب يلبس على الجبهة ، والزمام[١٠٠] (فاي أنف) والزمام الصغير (مدليت) ، و(شلاشل)[١٠١] ومثلث من الذهب ، وقلائد على العنق ، وعلى الرأس تضع (تليكيت) بها خرز وأحجار كريمة ، وحزام من الجلد والخرز (ديبريت) .

نظرتهم إلي المرأة

ينظر للمرأة البدوية كتابع خاضع للرجل ، فالمرأة هي التي تقوم بمهام رعاية أطفال الأسرة المعيشية وإعداد طعامها ونسج الحصر ، علاوة على بناء الخيمة في الترحال ، وتساهم المرأة أيضًا بشكل مباشر في دخل العائلة ، من خلال إنتاج وبيع منتجات الألبان وبيع القهوة والحصر التي يصنعونها . ومع الزيادة في هجرة الذكور بحثًا عن العمل ، وجدت النساء أنفسهن في وضع المسئول الوحيد عن توفير احتياجات الأسرة .

(٩٩) الحجول : هي الخلاخل التي تلبس في القدم .(وقد نهى الشرع الإسلامي عن إظهار صوتها بين الرجال للمرأة) ، وكانت الحجول تصنع من الفضة مثل الغوايش ، ولكن يكون الحجل مفتوحا من جهة ويلبس في المعصم ، وقديمًا كانت الحجول هي المهر .

(١٠٠) الزمام : قطعةٌ من الذهب الخالص توضع على جانب الأنف زيادةً في الجمال والزينة .

(١٠١) شلاشل : الملحقات المعقودة بالخلخال ، تصطدم فيه فتصدر إيقاعات ورنات .

المهر

هو الصداق ، ويكون خمس أو سبع أو تسع نوق ، بالإضافة إلى الهدايا الأخرى . ويتلقى العريس في معظم الأحيان مساعدة أقربائه ، إذ يهبونه النوق والغنم . ويتم تقسيم الأغنام بين العروسين ، فتأخذ العروس أربع ، ثم ثلاث أخرى إضافية يسهم بها العريس فتصبح الثروة مشتركة بينهما . أما إذا قدم العريس في الصداق ثلاث نياق فقط ، فلا يحق له مشاركتها فيها .

ملابس العريس والاحتفال

تتكون ملابس العريس من جلباب قصير (عراقي) وسروال طويل وصديرية وعمامة وحذاء ويرتدي في يده اليمنى سوارًا من السعف . ويحمل العريس سيفًا لمدة أسبوع ، وتقام الاحتفالات لمدة أسبوع ، ويرقص الرجال والنساء منفصلين عن بعضهم البعض ، ويرقص الرجال رقصة السيف ، والمبارزة بالسيف والدرع (رقصة التربلة) .

ومن الأشياء المرتبطة ببيت الزواج ، بيت البرش ، ويتكون من سبعة بروش مقلوبة وبها علامات مكتوبة بالدم . ويقوم طفل حيّ الأبويين بهدم البيت الأول ، ثم يبنونه ثانية . تزف العروس إلى بيتها الجديد على هودج ، ويسمى **عطفة** . وتكون بداخله أشياء العروس ومنها : مكحلة ، وإناء ، وسلة من الحبال للتعليق ، ووسادة وسلاسل للعطفة (نفايات) ، وأساس البيت ، وحبل ، وشعبات (**تاكيات**) ، وأوتاد ، وعمد ، وبرش مزين (كرار) ، وطست (طيشو) ، وإناء لحلب البقر أو النوق وإناء لحلب الأغنام ، وإناء من السعف ، وسيف ودرع .

تكون الدخلة بالعروس عادة بعد عام من الاحتفالات ، وهي مهلة تستعد فيها العروس لحياتها الجديدة . تتغير طريقة تصفيف شعر العروس عن الفتيات وتعلق حلية من الذهب برأسها ، وترتدي في خصرها حزامًا مزينًا بالسوميت[١٠٢] .

يسمون الزواج (**دُوباتيبْ**) ، ويزوجون أبناءهم وبناتهم في سن مبكرة ، وتكون العروس من داخل الأسرة وغالبًا ابنة العم . وتقدم هدايا في الخطبة (**سِليليتْ**) . وعند حفل الزواج يذبح حمل أبيض ، ويسمى اليوم الأول في الاحتفال (**سنكواب**) . وتدق

(١٠٢) السوميت : خرز من حجر كريم يعتقد بأنه يخفف الألم ويعمل علي التحام الجراح .

النسوة على الطبل، ويتم عقد القران مساءً، وفيه يدفع العريس الصداق الشرعي (تمنيت). وقد يدخل العريس في شراكة مع زوجته بدفع قدر صداقها. أما المهر العرفي، ففيه تأخذ أم العريس ناقة أو قيمتها، ويأخذ الأب جملاً، كذلك يدفع العريس من ٦ إلى ١٢ معزة أو نعجة، ويهب أسهماً سبعاً من الأغنام للسيف وسبعاً للدرع وسبعة للحربة، ويمسح الضيف الذي من قبيلة أخرى مكوساً له الجانب الأيسر من البهيمة.

يلبس العريس شالاً أحمر على رأسه، وعقداً نسائياً من الذهب، ويلبس في يده اليمنى سواراً من الفضة وسواراً من السعف في يده اليسرى كما يلبسه أصدقاؤه. ويحمل العريس سيفاً ويلازمه الثلاثة من أصدقائه الشباب، ويفضل أن يكون أحدهم متزوجاً.

يسمى اليوم الثاني في العرس (تحني) أو (تحوت)، وتذبح فيه الذبائح ويعقد على الطبل مصحوباً بأغاني الفروسية ومسابقات الهجن، إلى جانب العروض الأخرى مثل رقصة العنق، والرقص بالسيف والدرع (أفريت)، والنقر (بيبوب) وعزف الربابة. وهناك أيضاً رقصة الفروسية (هوسيت) بالسيف والدرع، وفي المساء تغني النساء على إيقاع الطبل بحضور الزوج في البيت الجديد، ويزف العريس لزوجها فيلبس جبينها ويتلو بعض الآيات والدعوات.

في اليوم الثالث أو الخامس تذبح الذبائح، وتستمر الاحتفالات لكشف رأس العريس، ويدخل العريس المنزل ويخلع عنه أصدقاؤه المنديل الأحمر وينزع السوار والعقد ويوضع الشحم على رأسه ويتلقى الحضور بالشحم و(الصويرة)[١٠٣] وهي خليط من مسحوق من جذوع الشاف (خشب عطري) والصندل، وصويرة النساء يضاف لها المحلب[١٠٤] ومسك وحيرة وعنبر وبعض العطور المخلوطة بالصندل. وتجلس النسوة عند

(١٠٣) الصويرة (الفريوة): والصويرة مزيج من [illegible]

(١٠٤) المحلب Mahaleb Cherries [illegible]

مدخل البيت ويجلس الزوج وأصدقاؤه بالداخل حيث تدور حوارات طريفة بين الفريقين. وفي اليوم الرابع يهدمون بيت الزوجية ثم يعيدون بناءه بشكله النهائي. ولا يعاشر الزوج زوجته تلك الليلة، وبعدها تأتيه بعد صلاة العشاء وتخرج بعد صلاة الصبح وهكذا حتى تحمل الزوجة.

تتم مراسم كشف الرأس في اليوم الثالث ويذهب العريس بأصحابه (تونكي أر) بعيداً ويذبحون بهيمة يخلطون من شحمها رأس العريس، ويبيتون هناك بعد خلع المنديل والسوار. وفي مساء اليوم الرابع يأتي العريس وأصحابه للبيت الجديد، وتستضيفهم النسوة، ويغادر الأصحاب صبيحة اليوم الخامس ما عدا اثنين منهم، يتركونه في المساء، وبعد أسبوع يغادر العريس لمنزل أبيه وهو لم يقرب عروسه قط، ويعود بعد سنة (واليوم يقال سراح بكسوف، (الاتونت)).

يتم زواج الذكر في سن يتراوح بين ١٨ و٣٠ عاماً تقريباً والأنثى بين ١٥ و٢٠ عاماً. ويعد العريس الجهاز ويقدم الصداق عادة أقل من مؤخره، ويكون بين أسرتي العروسين في العادة اتفاق ضمني على مقدم الصداق وغيره على الرغم من المظاهر والمبالغات والمساومات التي تحدث وتنحر الذبائح بكثرة ملحوظة بمنزلي العروسين، وإذا مر موكب عرس على منزل العروسين قبل الأسبوع فإنهما يخرجان ويصاحبان الموكب، وإذا كانت والدة العريس أو العروس قد سبق لها أن جاملت إحدى الأسر الأخرى بأن شاركت في أفراحها وهي بكامل حليها الذهبية وجب على هذه الأسرة المعاملة بالمثل، والاهتمام بزيارة النيل والتبرك بمائه.

والرجل لا يزوج ابنه إلا بابنة أخيه على شرط أن يدفع الوالد المهر إلا إذا كان الابن غنياً فإنه يضطر أن يخضع لرغبة والده. ويتولى الرجل خطبة المرأة لابنه، وموافقة أم البنت شرط أساسي. ولا يأكل الرجل مع زوجته أو مع أمها، والنسيبة لها احترام خاص عنده، ولا يتلفظ باسم زوجته وكذلك هي لا تلفظ اسم زوجها أو أبيه، وللرجل عند زواجه أصدقاء يسمون وزراء. وإذا كان للرجل قضية ضد أي أحد من القبيلة يرفعها إلى المجالس الخاصة ويجتهد في البعد عن دار الحكومة. وإن مات رجل عظيم منهم تذهب النائحات حاسرات الرؤوس إلى دور الحكومة حيث كان يتردد المتوفى، والرجل لا يرد على المرأة ولو أساءت إليه أو أهانته.

وعلي العريس حمل السيف والكرباج وربط سكين ذي حدين علي الذراع اليسرى منعًا للحسد ، وكذلك تخطية النار الموضوع فوقها البخور والملح ، وتستمر الأفراح من موالد وأناشيد وأغان وأذكار ورقص طوال أيام الأفراح .

تندر حالات الطلاق ، إذ جري العرف علي اعتبار الطلاق مكروهًا كراهية كبيرة ، ولا يطلق الزوج زوجته إلا لأسباب ودوافع قوية كمرض مزمن أو يأس من الإنجاب أو ما شابه ذلك .

الولادة ومراسمها

تتم الولادة في البادية عن طريق الحبل ، فيربط حبل في الشعبة الرئيسية في المسكن لمساعدة الحامل على تحمل آلام الطلق ودفع الجنين إلى أسفل . تمسك الحامل بالحبل وتجلس على سرج الجمل وتستند على امرأة أخرى ذات خبرة باعتبارها مولّدة . بعد خروج الوليد ، وربط سرّته ، يأتي الأب فيعمده بأن يؤذن في أذنه اليمنى ، وينطق بإقامة الصلاة في أذنه اليسرى ، وبعضهم عند التعميد يقول الأب في أذني الوليد ما معناه ، كن رجلاً حامل سيف أو رمح أو درع ، كناية عن الدفاع عن الأسرة والقبيلة . يسمي الأب بعدها ناقة أو جزءًا منها كهبة للوليد .

ومن طقوس ذلك اليوم ، بعد ذبح الكرامة ، التحنيك[١٠٥] ، ويقوم فيه شخص من الأسرة يكون معروفًا بالشجاعة أو الكرم أو الورع بتذوق لبن بقصد مباركته ثم يعطيه للوليد قائلاً كن شبيهًا بي أو أحسن مني . ويسمي المولود ذكرًا كان أو أنثى في اليوم السابع ، وعادة يسميه الأب .

أما قطع السرة فتسمى (أَتَفَاي وَاكْ) ، وتأخذ المشيمة مجموعة من النسوة يمشين في شكل زفة يغنون ، وتدفن سُرّة الأنثى خلف البيت ، للدلالة على رغبتهم في مكوثها في البيت . أما سُرّة الذكر فتدفن قرب مسجد رغبة في تدينه ، أو ترمى في السيل رغبة

(١٠٥) **التحنيك** : مضغ التمرة ، ودَلْكُ حنك المولود بها ، وذلك بوضع جزء من الممضوغ على الأصبع ، وهناك الكثير من الأحاديث النبوية التي استدل بها الفقهاء على استحباب التحنيك ، وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال : ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ ، فسماه إبراهيم وحنكه بتمرة . وزاد البخاري : «ودعا له بالبركة ودفعه إلي» . إن استحباب تحنيك المولود بالتمر هو علاج وقائي بالغ الأهمية وهو إعجاز طبي لم تكن البشرية تعرفه وتعرف مخاطر نقص السكر «الجلوكوز» في دم المولود .

في أن يكون خيّرًا ، تضع الأم المولود الأول والثاني في بيت أمها ، وتظل هناك فترة تسمى (أمنوئِيْنَي) وهي فترة النفاس ولا تقل عن أربعين يومًا لا يراها فيها الزوج وتذبح في نهايتها بهيمة صدقة ويحضر هدايا لزوجته وأمها .

يمر الميلاد بمرحلتين أساسيتين : لحظة الميلاد واختيار الاسم :

أولاً : لحظة الميلاد (الوضع)

هناك قابلة تعرف محليًا بـ (الداية) وتكون لها خبرة طويلة ومعروفة في المنطقة وتسمى (داية الحبل) حيث توضع الحامل على سرير خشبي كبير ، ومعلق من فوقه حبل كي تمسك به الحامل أثناء الوضع ليساعدها . وتضع المرأة دائمًا في بيت أمها ويكون معها القابلة (الداية) والأم وأخواتها ، ولا يمكن للنسيبة الدخول معهن في الغرفة مهما كان السبب .

يربط للنفساء ما يسمى (الكجرة) أمام السرير وهي ستارة ، ويعلق جرس في مدخل الغرفة وذلك كتعويذة من العين . وتوقد كل مساء خارج البيت نار لمدة أربعين أمسية للمولود الذكر فقط ، كذلك هناك تعويذات ونذر لأجل المرأة الوالدة إذا وضعت بالسلامة . ومن العيب أن تصرخ المرأة أثناء الوضع مهما كان الألم شديدًا ، ويذبح لها في ذلك اليوم بهيمة ، وهي بمثابة صدقة . ويستخلص من اللحم حساء يقدم للنفساء ، ولا يقدم لها اللحم وهذا يساعدها على إخراج المشيمة ؛ ولا يسمح للرجال بمقابلتها إلا بعد أن تخرج بعد أربعة أشهر .

ويستعمل الكحل في رسم علامة الخلود لدى الفراعنة على جبهة المولود بعد ثلاثة أيام من ولادته وتسمى **التحميدة** . ويؤذن كبير العائلة في أذن المولود . وإذا تعسرت الولادة تذهب أم الحامل إلى شيخ ديني وتطلب أن يشفي ابنتها بالقرآن الكريم حيث يدعو لها ويعطيها (محاية) (الماء الذي يمحى به لوح القرآن) لنصوص من القرآن الكريم . ولا تذهب الوالدة إلى بيت الزوجية إلا بعد فترة (النفاس) ، ولا بد أن يقدم الزوج ذهبًا أو مالاً أو ملابس ويكافئ المرأة التي قامت بخدمة زوجته ثم بعد ذلك يسمح له بأخذ زوجته إلى بيته .

بعد الوضع تخلع المرأة كل ما ارتدته من زينة وتلبس زينة من السعف (سعف الدوم) ، وبعد ذهابها مع زوجها تقدم وليمة صدقة تكون عادة عصيدة من دقيق الذرة أو

القمح ، وتخرج مع زوجها في جنح الظلام ، وإذا كان المكان بعيدًا يمكنهما الخروج في الصباح الباكر ، وذلك كي لا يراهما الناس وهذا عُرف متبع .

المولود

إذا كان المولود ذكرًا تزغرد النساء سبع زغاريد ، أما إذا كانت أنثى فلا يزغرد لها ، وهناك تفرقة واضحة بين الجنسين من المواليد ، ويلبس المولود أدوات زينة مثلاً من الفضة عند المفاصل والعنق ، ويعتقد بأن الفضة معدن نبيل يقي من الجنون والأرواح الشرِّيرة . وبعد أسبوع من ولادة المولود ، من الجنسين ، يعلق له حجاب وبه آيات من القرآن الكريم . ويعلق به أيضًا مادة خشبية قوية مكسية بالجلد وفي داخل الجلد مادة مُطهرة وذات رائحة زكية وتتكون من نبات (**النقيع**)[١٠٦] والمحلب . والغرض منها أن يعضها المولود حتى تقوى لثته وتنمو أسنانه . وتزين المولودة بالخرز (**السكسك**)[١٠٧] و(**الدبيبريت**) . وبعد أن يرضع المولود أول رضعة له يسقى مادة شديدة المرارة لتساعده على الهضم .

كان أهل القبيلة في الماضي يثقبون أذن المولود الذكر ويلبسونه حلقاً من الذهب بوزن شعره الذي يحلق ، أما الأنثى فينضد لها عقد من حجارة كريمة (**السوميت**) . ويدهن ويمشط شعر المرأة النفساء ويكثروا لها من اللبن والسمن والمديدة[١٠٨] تحت إشراف والدتها . وإذا كانت النفساء لا ترضع تحل محلها الأخت أو إحدى قريباتها . في فترة ما بعد الولادة مباشرة (**الحرُس**) ، فإن الأواني التي تستخدمها النُفَسَاء لا يستخدمها أو يمسها شخص آخر .

هناك بعض الأصوات التي يتشاءمون منها في الأيام السبعة الأولى مثل صوت الحمير والبوم . فإذا حدث هذا تقوم أم النُفَسَّاء بأخذ عصى وتضرب بها شعاب البيت سبع ضربات ، وفي نفس الوقت يتفاءلون ببعض الأصوات مثل صوت الديك . وفي بعض الأحيان ترمي أم النُفَسَاء بشيء من الجلد أو القماش كنوع من الحماية والتفاؤل

---

(١٠٦) **النقيع** : نبات يستخدم في الطب الشعبي ، ويستعمل في حالات الإسهال والتهاب المعدة والأمعاء .

(١٠٧) **السكسك** : خرز زجاجي ملون من كل لون وحجم . ويصنع منها النساء أشكالاً مختلفة من العقود وتوضع علي المعصم وتستعمل بمثابة علاقات للنظارات .كانت تلبسها بعض نساء القبائل .

(١٠٨) **المديدة** : مشروب كثيف من الدقيق والحساء .

للمولود الجديد ، وكانوا في الماضي يكوون المواليد في صدورهم بعد أسبوع أو شهر من الولادة لمداواة السعال ولاعتقادهم بأن المولود سيكون شجاعًا .

ثانياً اختيار الاسم (السماية)

تتم تسمية المولود بمشاركة جماعية من أهل القرية أو المنطقة . وأول شيء يعمل للمولود ، هو حلاقة شعره بالموسى ، وهي سُنة ، وذلك بواسطة أحد الأطفال ، يشترط وجود أبويه على قيد الحياة ، فإذا لم يستطع الطفل الحلاقة لخوفه أو اضطرابه ، يضع الموسى على رأس المولود ، ويجيء أحد الأشخاص الموثوق بدينه ونقاء سريرته فيكمل حلاقة شعر المولود ، ولا يهمل الشعر المحلوق قط ، بل يؤخذ ويوضع في قطعة من الجلد بها سعفة وعود ويعلق على الخيمة أو البيت ، وتنصب العصي إلى أعلى إذا كان المولود ذكرًا ، أما للأنثى فيكتفي بتعليق الشعر فقط .

إذا لم يكن للأب أو الأم اسم معين لمولودهما ، تؤخذ سبع ورقات من شجر العشر[١٠٩] ويكتب على كل منها اسم مختلف ، ثم ينادى على صبي يشترط أن يكون والداه حيين ، فيختار واحدة من أوراق الأسماء ويكون ساعتها الأطفال مجتمعين وأياديهم متشابكة ، ويعطونهم لبنًا وماءً وذرةً وقشًا ، ويرشوها بالأيادي على النار . وبعد أن يختار الصبي الرسم يجري الأطفال في اتجاهات مختلفة معلنين الاسم قائلين – إذا كان الرسم محمد مثلاً – (**محمد لعبيب**) أي محمد كبر ، أما بالنسبة للأنثى فيقولون مثلاً (**فاطمة تعبي**) أي فاطمة كبرت . وفي بعض الأحيان ترجع النسوة إلي الشيخ الديني ، ويسألنه عن الاسم ، فيقول لهن في اليوم كذا سمّوا كذا . وفي الغالب يكون الأب مسئولاً عن التسمية ، ويسمون في الغالب على أسماء الرسول (ﷺ) فنجد أن كل الأخوة في العائلة الواحدة يحملون اسمًا مركبًا يبدأ بمحمد ، مثل محمد سليمان ومحمد علي . . .

---

(١٠٩) **شجر العشر** : (شجرة الجن) معمرة مستديمة الخضرة يصل ارتفاعها إلى خمسة أمتار ، تنتشر في المناطق ذات المناخ الحار ، وتنمو في أنواع مختلفة من التربة . لا ترعى الحيوانات العشر ، ولا يستفاد من خشبها لأنه هش ، والعشر من النباتات التي تستخدم طبيًا ، وجميع أجزائه سامة خصوصًا العصارة اللبنية الموجودة في جميع أجزاء النبات ، وإذا أصابت العصارة اللبنية العين قد تتسبب في فقد البصر ، أما ابتلاع العصارة أو أي جزء من النبات فيسبب تهيجًا في الجهاز الهضمي وألمًا في المعدة مصحوبًا بغثيان وقيء وإسهال وبطء في النبض وزوغان في البصر وضعف عام ، أما إذا كانت الكمية كبيرة فتؤدي إلى نبض سريع غير منتظم وهذيان وتشنجات وهبوط في القلب قد يعقبه الموت .

الخ ، أو يسمون بأسماء الأنبياء الآخرين أو الآباء والأجداد أو الأبطال والفرسان والشيوخ الصالحين . ولا تذكر المرأة اسم والد زوجها احترامًا وتوقيرًا ، حتى ولو سُمي عليه أحد أبنائها فإنها لا تناديه إلا بلقب أو كنية .

تذبح ذبيحتان إحداهما للتسمية والأخرى صدقة . ويذبح خروف التسمية في حفرة ، وكل مخلفاته وعظامه تجمع وتوضع في الحفرة ثم تغطى . ويذهب عادة خروف التسمية إلى النساء ويطهى لحمه لوحده ، ولا يسمح بإلقاء أي عظمة منه خارج الحفرة حتى لا تأكلها الكلاب إذ يعتقدون بأن حفظ العظام حفظ على سلامة المولود ، لذا يقدم خروف التسمية للنساء لأنهن أكثر حرصًا من الرجال على العادات . ويفطم عادة المولود بعد عامين وأول سقاية له تكون من حليب الماعز وذلك في فنجان صغير أول الأمر ، وبالنسبة للمولودة الأنثى فإنه يكتفي بالسماية دون الطقوس الأخرى .

الختان (كشبو)

بدو العلاقي شديدو التمسك بعادة الختان ، وهي عادة غاية في القدم ، وقد ارتبط الختان عندهم بالكثير من المعتقدات ، ويختنون الذكر في يوم ولادته ، أما البنت فيتأخر ختانها ، ويختنون الإناث ختان فرعون ويفضلون ختانها في يوم السبت .

يسمى الختان بالتقرية (كشبو) . ويترك شعر الولد المختون لينمو في كل مساحة الرأس ، أما غير المختون فيحلق الشعر من الأطراف لتترك جزيرة من الشعر في الوسط وتسمى هذه الحلاقة (قست) . وكان الأولاد يختنون في سن الرابعة ، ومنهم من يختن بعد سن البلوغ ، ولكن الآن يتم بعد السماية ، ويختن الولد على ظهر سرج بعد أن يكون قد استحم وفطر من عصيدة الدخن المخلوطة بالسمن لكي يقوى على تحمل ألم الختان .

يحاول الأب والأخوال والأعمام التخفيف على الصبي بوعده بإعطائه ناقة معينة ، وينادونه فارس ، فارس لك (كبيل أو بهيري) وهما نوعان من النوق . وتؤول البهائم التي وهبت للصبي إلى ثروته ويسمها بوسمه . وبعد الختان يُحمل الصبي إلى الخارج ويطرق سبعة أبواب منازل برمحه ، ثم يلبسونه بعد ذلك (تكت) عقد (السوميت) وهو حجر كريم يعتقدون أنه يخفف الألم ويهيل الجراح ، وبه حلى من الفضة وتصنعه النساء .

ترتدي أم الصبي المختون جلدة ختانه في إصبع قدمها الكبير حتى تجف وتسقط لوحدها ، أما البنت فتختلف عادات ختانها ، وتختنها القابلة على الختان الفرعوني الذي يسبب متاعب ومخاطر كثيرة في المستقبل .

يتميز العبابدة والبشارية بنمط من العادات والتقاليد متفرد ، ولاشك أن حياتهم قد تأثرت بمجمل الظروف والمؤثرات التي سبق ذكرها من اعتناقهم للإسلام وتأثير الصوفية وتأثيرات المجموعات التي وفدت للمنطقة من عربية وغيرها ، وقسوة منطقتهم والرعي وكثرة الترحال وضعف انتشار التعليم بينهم .

والبدو يؤرخون لسنينهم بأحداثها ، ويعرفون الشهور بأسمائها وفي لغتهم اسم لكل شهر ، غير أنه يبدو أن أسماء بعض تلك الشهور قد تعرب ، وقليلون هم الذين يعرفون كامل أسمائها الحقيقية الآن ؛ وهم أثناء ترحالهم في منطقتهم ليلاً يسترشدون بالنجوم ويعرفونها بأسمائها ومواقعها ، أما أثناء النهار فهم يعرفون منطقتهم جبلاً جبلاً ويعرفون كل خور وبئر بأسمائها ويعرفون القبائل التي تقطن حولها .

تنشئة المولود

يتغذى الطفل إلى جانب حليب أمه بالزبد والسمن ، ومن العادات تعليق سيف مسحوب قليل من غمده ، فوق رأس الوليد ، ويحتفظ بجرس يدق قرب الطفل الذكر في الصباح والمساء ، وترسم على جبهة الوليد علامة زائد تسمى «قدم الغراب» لمنع الحسد عنه . وعندما يبلغ الطفل السادسة من عمره يرعى صغار الغنم مع أنداده ويلاعبهم ، ويجالس الكبار ليتعلم منهم الرعي والفروسية والحكمة .

ولا يدخل الصبي أماكن النساء ، أما البنت فتكون مع أمها لتتعلم أمور البيت ، ويحلق شعر البنت بحيث يبقى بعضه في مقدمة الرأس والبعض الآخر في المؤخرة على الجانب الأيمن ، وقبيل بلوغها يحلق كل شعرها ويترك لينمو بعد ذلك . ويمشط الشعر عند البلوغ حيث يطلق على البنت (شِنْدَاويايتْ) ، أما الصبي فيحلق له في البداية مثل البنت ، وفي سن العاشرة يترك له شعر في أعلى الرأس ويحلق الباقي ، وعند بلوغه يحلق كل شعر الصبي ثم يترك لينمو ويجدل بعضهم الجزء الخلفي من الشعر .

أهم عاداتهم وتقاليدهم

١- (اتْفايْ واكْ) :

ومعناها : قطع سُرَّة «الوليد» . وبعد نزول الجنين وربط سرته يأتي الأب ليعمد الطفل فيؤذن في أذنه اليمنى وينطق بإقامة الصلاة في اليسرى . تربط (تبيعة) «مشيمة» الذكر في أعلى شجرة أو تدفن قرب المسجد أو ترمى في البحر إذا كان قريبًا ، أما تبيعة الأنثى فتدفن قرب الشعبة الخلفية من البيت دلالة على رغبة الأهل في استقرارها في البيت .

٢- (سِمِلاَيْتْ) أو (لِقُوقْ) :

وهي عبارة معناها أن الرجل عندما يحلب اللبن فإنه لا يشرب منه أبدًا إلا بعد أن يرشف منه ، شرطًا ، رجل آخر ويسمِّي عليه قائلا «بسم الله» . فإذا فعل دون (سِمِلاَيْتْ) فإنه يوصم بذلك ويسمونه : (أودَنابْ) ؛ والمرأة لا تحلب أبدًا ، وذلك عندهم عيب شنيع ، لذا فإن الأطفال يبيتون من غير عشاء إذا لم يكن هناك ثمة رجل يحلب للأسْرَة .

٣- الإبل :

يعتز البدو بإبلهم كثيرًا ، ويهتمون بها اهتمامًا كبيرًا ، فهي المال عندهم ، فالغنى عندهم هو امتلاك الإبل ، والرجل منهم لا يبيع إبله إلا إذا اضطر أشد الاضطرار ، فمن وبر الإبل مساكنهم ومن ألبانها ولحومها غذاؤهم .

والإبل وسيلة انتقالهم الرئيسية ، والجمل ركيزة أساسية في حياتهم وقد دخل ، وبعمق ، في حياتهم الاجتماعية وفي أعرافهم ، ومنذ أن عرفوه ، فإن الجمل كان من أهم مواضيع شعرهم ، والكثير من أغانيهم موضوعة في الجمل . وكان رعيهم الذي يمتهنون يسد جل متطلباتهم ، ومن هنا جاء اعتزازهم برعيهم فهم شديدو التمسك به ولا يقبلون ، بل ويحتقرون ، أية مهنة أخرى .

٤- (مِتْلَوِ)

وهو شراكة بين الزوجين ، وفيه تشارك العروس زوجها في مال إذا رغبت ، وتبدأ الشراكة بأن توافق هي على أن تدخلها بالناقة التي دفعت لها كصداق وتنمو شراكتهما في المرعى .

٥- نشوز الزوجة :

وإذا نشذت الزوجة وطالبت بالطلاق فغالبًا ما يطالب الزوج أن تتنازل الزوجة عن نصيبها في تلك الشراكة ليفترقا ، وغالبًا ما ترفض هي ويجري البحث عن مخرج آخر وهو عندهم الاسترضاء ، ويتم ذلك في مشاكلهم الكبرى ، فالزوج الذي يختلف مع زوجته إذا أراد أن يسترضيها ، أو في الديات أو الجروح والعفو فيها ، فإن التراضي في كل ذلك يتم بأن يدفع الذي عليه الحق إبلاً حسب كل حالة إرضاء لصاحب الحق .

٦- وسم الإبل :

لكل قبيلة علامة خاصة بها على إبلها بها تعرف الناقة في أي أرض ظهرت . وعلامة القبيلة على إبلها هي علامة الأم الكبرى للقبيلة .

٧- (الجَبَنَة) :

تمثل الجبنة ، أي «القهوة» أهم طقوس الضيافة عندهم ، وهم يشربونها في كل وقت ، وهم يحتسونها بفناجيل صغيرة ويشربون - شرطًا- أعدادًا فردية من الفناجيل أقلها ثلاث . ويتشاءمون من شرب فنجال واحد ولقد ارتبط ذلك عندهم بالكثير من المعتقدات ، وهم قد يفضلون البقاء دون طعام لو كان الخيار بينها وبين الطعام .

٨- (تُ مْأَلَوْ) أو (تُ تَلَوْ) :

أي إيقاد النار أمام البيت كل ليلة وحتى الصباح ، ومن معاني ذلك الكرم ، إذ يبتغون من ذلك أن تجلب النار المسافرين ليلاً لاستضافتهم ، ويتفاءلون بذلك

ويعتقدون أنه ما دامت تلك النار مشتعلة فإنه لا خوف عليهم وأنهم سيجدون زادهم ، وانطفاؤها يعني أنهم سيعسرون .

٩- **نايِتّ لُهاسْ :**

ومن قديم عاداتهم في القسم المغلظة أنهم يطلبون من الشخص المتهم بأمر ما إذا أنكر وأراد أن يبرئ نفسه ، رجلاً كان أو امرأة ، أن يلحس النار ، ويسمون ذلك (نايِتّ لُهاسْ) ، وهم لا يقسمون على المصحف لا صادقين ولا كاذبين .

١٠- إذا تقابلت قبيلتان للحرب ولم يكن هناك من يمنع ذلك من غيرهما ، فإن امرأة تبادر وتسير بين الجمعين حاسرة الرأس ، فلا تصطدم القبيلتان ، ولكن يتفرق الجمعان .

١١- **الميراث :**

كانت البجة قبل اختلاطها بالعرب المسلمين تورث ابن البنت أو ابن الأخت دون ولد الصلب ، وكانت هذه عادة متفشية بين الأفارقة الوثنيين وربما يولد البجاوي ولا يسمى إلا بعد أن يبلغ أشده ، فتكون صفته هي اسمه . فلما جاء العرب وانتشر الإسلام تركت التسمية بالصفات وتلاشت إلا الألقاب وأصبح لكل إنسان اسم .

١٢- والرجل مسئول عن رعاية المواشي وسقايتها وزراعة الأرض .

١٣- والرجل في بيته لا يأكل مع زوج ابنته ولا يجلس على فراش زوج ابنته ، وأحيانًا يعامل زوج الأخت بنفس المعاملة .

١٤- وإذا حدث خلاف بين أخوين أو عائلتين فكل رجل يقف بجانب أقاربه .

١٥- **عادات أسرية :** جرت العادة ألا يتعشى الرجل لوحده ، فإذا لم يجد ضيفًا ذهب بعشائه إلى جاره ويأكلان معًا عشاءهما ، وللمرأة أيضًا عادات لا تحيد

عنها ، فهي لا تحلب المواشي إطلاقًا ولا تقابل أي أجنبي وتحتجب عن غير محارمها ، والعروس لا تكلم عريسها إلا بعد أن يدفع لها شيئًا كهدية ولا تقابل زوجها وجهًا لوجه ولا تقابل زوج ابنتها أبدًا وهي محل احترامه دائمًا ، ثم إنها لا تأكل مع زوجها أو زوج ابنتها ، وعليها مسئولية البيت كله ، وتتولى تربية الأطفال . ولهذا فللمرأة احترام خاص عند البدو .

أهم أعرافهم

المقصود بالعرف ما تعارف عليه البدو في معاملاتهم فيما بينهم ، وما توافقوا عليه واتخذوه قانونًا يقوم على أسس أخلاقية يتبناها الفرد منهم ومنذ نشأته .

١- مشهود لهم بالكرم وبالشجاعة .

٢- **قَلَدْ** (العهد) : وهم متشددون في التزامهم بعهودهم ، ويوفي أحدهم حتى بعهد قاتل أخيه ويمهله المدة التي يطلبها ، وغالبًا ما تكون سبعة أيام ، بغرض أن تأتي قبيلة القاتل لحل الإشكال عن طريق العرف (سْلِفْ) . وتحل الغالبية العظمى من مشاكلهم عن طريق العرف ، وهي تنحصر في الأرض والمياه «الآبار» والأنعام والنساء .

٣- (**يايْ هَمادْ**) : والمعنى المباشر للعبارة هو لوم وشكر ، إلا أن مضمونه أشمل وأوسع من ذلك ، فهو اتفاق ضمني فيما بينهم ذو قيمة وحجية ملزمة ، إذ أنه وبمجرد إحساس طرف ما بأن طرفًا آخر قد تظلم منه يسعى الطرف المدعى عليه ، وبشكل يكاد تلقائيًا ، إلى استرضاء الطرف المدعي ؛ وإن ظل أمر المطالبة بالحق بيد المدعي يمكنه المطالبة به عبر أعرافهم . وأساس ذلك هو حرصهم الشديد على الحفاظ على المودة فيما بينهم ، وخرق ذلك الاتفاق أو التعدي علي مضامينه يودي بصاحبه إلى دائرة العيب وموقع الإدانة مما يرتب عليه جزاءات معنوية ومادية تبدأ بحتمية استرضاء صاحب الحق ما أمكن وبكل الوسائل ، وتصل إلى تعويضات مادية حسب كل حالة .

٤- **القصاص في الجروح والإصابات** : فيتم تقييم الإصابة فيها فيما يعرف عندهم باسم : (يويْ واكْ)- حيث إن (يُويْ) تعني دم ، و(واكْ) من معانيها تقييم- وتحل مشاكل ذلك بالتعويض المادي بقدر التقييم الذي يتم للإصابة. وقد تتدخل قبيلة الشخص المدعى عليه بالحق للوفاء بحق المدعي سواء كان استرضاء أو يتحمل المادي في الحق عنه في حالة إعساره .

٥- (دُوزْآرِيتْ) : وفي إطار مفهومهم للشهامة تتشابك منافعهم وتتكامل إمكاناتهم وجهودهم لمواجهة ظروف حياتهم القاسية . ويظهر ذلك جليًا في علاقاتهم للحصول على الأنعام من بعضهم ، ولمختلف الأسباب ، الأمر الذي ينتج ترابطًا فيما بينهم .

٦- (لَهَقِينْ) : وهو تبرعات الأهل والأصدقاء بأنواع الأنعام للزوج حديث الزواج مما يمكنه من امتلاك ما يسد احتياجات الأسرة الجديدة .

٧- (تَيتْ) : نقل ملكية الأنعام على سبيل الهبة الأمر الذي ينتج صداقة متينة بين الواهب والموهوب له .

٨- (دَنْقَيتْ) : وهي استعارة الحيوانات للانتفاع بألبانها ، عند انقطاع لبن بهائم الأسرة عند الإعشار مثلا ، ومن ثم إعادتها إلى صاحبها عندما تحل أزمة المقترض .

٩- (يَهَمُوتْ) : وهي استعارة الأنعام للانتفاع بمنتجاتها .

ويبدو واضحا اليوم أن البدو يشعرون بأنهم مجموعة متميزة سواء كان ذلك باعتبار اللغة أو العادات والتقاليد . ويتضح أيضًا أن لطبيعة حياتهم المذكورة أثرًا في الشخصية ، فالفرد منهم حذر وقد طبعته حياته بما يفسره البعض بالغموض . وهو غالبًا لا يبدأ بالعداء ، غير أنه صارم وعنيف ، تستثيره بوادر الاستفزاز أو العداء ؛ ومن هنا يأتي ضعف اختلاطهم بمن حولهم .

فنون الرقص الشعبي

هو رقص فولكلوري مستمد من حضارة أبناء الصحراء ، والبدو تتمايل قبل صدور اللحن ، فالعريس وعروسه يحضران ليلة الحنّة ويشاركان في الرقص مع الحضور ويستمر الاحتفال إلى ساعات متأخرة من الليل .

والرقص هناك رياضة جماعية يشارك فيها الرجال والنساء والأطفال ، ويصاحب الرقص الغناء ، حيث يرددون أغاني تراثهم على أنغام الموسيقى المنبعثة من آلة الطمبورة ، وهي آلة وترية بها خمسة أوتار فقط أي أنهم يتبعون في موسيقاهم السلم الموسيقي الخماسي ، وفيهم من يتبارى في إلقاء الشعر حول موضوعات الغزل بالمرأة والتفاخر بالأنساب والإبل .

تعتمد فرق الرقص الشعبي علي الموروث القديم ، وتستخدم الآلات الموسيقية التقليدية ويشترك معهم عدد من الهواة يشاركون في حفلات الزفاف التي تقام في منازل الأصدقاء والأقارب ، ويتميز الراقصون بزي متنوع يمثل الملابس التقليدية الفولكلورية المنطقة ، وتستمر الحفلات لمدة أسبوعين عند إعلان الزواج ، وأهم الرقصات الشعبية التقليدية التي توارثها البدو من العبابدة والبشارية في الصحراء المصرية والتي يمكن إجمالها ما يلي :

- **الرقصة الافتتاحية** : وهي مجموعة من المناظر تقدمها الفرق تعود إلي بعض المعاني الفولكلورية .
- **رقصة الأراجيد** : وكلمة «أراجيد» كلمة نوبية تعنى (الرقص) وتتشكل بها نغمات صوتية من الشباب والشابات على أنغام الدف .
- **رقصة التحطيب** : وهذه الرقصة لا تختلف كثيرًا عن رقصات التحطيب التي يشتهر بها الصعايدة في مصر ، فيجتمع الشباب ويقفون في دوائر ممسكين بالعصي في أيديهم ويقومون بالرقص علي أنغام المزمار والربابة ولا تشارك الفتيات الرقص مع الشباب حيث إن التقاليد تمنع ذلك .
- **رقصة التاتا** : وكلمة تاتا كلمة نوبية تعني (تقدم) وهي أغنية معروفة يتغني بها الصغار يصاحبها رقصة فكاهية .
- **رقصة التربلة (رقصة البشارية)** : وهي فن خاص جداً وذو لهجة خاصة بأهل جنوب الصحراء الشرقية من قبائل العبابدة والبشارية ، ويتم الغناء على آلة الطنبورة حيث يقف المشاركون في صف ويقومون بالغناء الجماعي مع الصفقة

على الإيقاعات واللعب بالسيف والترس أو بالكرباج . وتعد رقصة الترابلة من أشهر مظاهر حفلات الزواج التي توارثها البدو من تراث أجدادهم القديم وهي عبارة عن سيف حديد ، ودرع مصنوع من النحاس ، وكان يصنع قديمًا درع من درقة السلحفاء ، ودف من جلد الماعز ، وهذه الرقصة بالغة الصعوبة على من يؤديها حيث يستخدم السيف والدرع لأكثر من ساعة لكل راقص .

- رقصة الكاريج : تغنى في النوبة (الطبق المصنوع من زعف النخيل) والمصنوع بأيدي النوبيين مثل الأطباق التي تزين منازلهم ، والفتيات النوبيات يتراقصن بها أسفل أشجار النخيل وهذه الرقصة تقوم بها صغار الفتيات فقط .

- رقص السُبوع : تحتفل الأسر البدوية ، ولا تختلف كثيرًا عن احتفال سكان وادي النيل ، بمرور الأسبوع الأول علي ميلاد الطفل حيث يأخذ الطفل حديث الولادة في جولة نيلية بالمراكب عند غروب الشمس ، وهذه الرقصة تمثل مجموعة من الطقوس للأطفال وتسميتهم .

- رقصة الأيدي (الكف) : وهذا النوع من الرقص شائع في جزء كبير من مصر العليا في المنطقة المحيطة بأسوان ، وهي رقصة يقدمها الشباب الصغير معتمدين على استخدام أيديهم في شكل متناغم ، وتشارك الفتيات وهن مغطاة الوجوه . والكف تسمية أطلقت على أشكال فنية مختلفة باختلاف المناطق الجغرافية وهو موجود في الجزيرة العربية ، وفي سيناء ، وفي الوادي الجديد في الصحراء الغربية المصرية ، ولكنه يختلف عن الموجود في جنوب الصعيد . وهذا الفن لا يؤدى إلا في الأفراح ، أو العراسة كما يطلقون على الفرح في جنوب مصر ، ويبدأ الطقس بحضور مطربي القرية - ثلاثة فما فوق- معهم ضارب الدف يجلسون على أريكة أو أكثر ومن حولهم المساند ، وهم بالطبع غير محترفين ، أي أنهم لا يتقاضون أجورًا مثلما يحدث الآن ، ثم يأتي (الكفافة) وهم من شباب ورجال القرية ليقفوا صفًا بالتوازي في مواجهة المطربين ، ويبدأ الحفل حيث يقول الكفافة (الخانة) وهي غالبًا عنوان الموضوع الذي سيلتزم به المطربون فيما بعد وهناك خانات افتتاحية شبه ثابتة مثل :

آه يا ليل .. ياالليل يا ليل على حالي يا ليل .. الله الله

وآه يا بوي .. يا بوي يا بوي على حالي يا بوي .. الله الله

يقولون الخانة ويصفقون ، والصفقة هنا تحدد إيقاع الأغنية وسرعتها ، ويلتقط ضارب الدف ذلك الإيقاع ويبدأ في دقاته الرتيبة وفي المقابل يتمايل الكفافة في حركات واحدة على ذلك الإيقاع متبعين قائد (الصف) أمهرهم في الرقص يحركون أكتافهم وأياديهم وأقدامهم في تناغم جميل ثم يبدأ أحد المطربين في الغناء مرتبطًا بموضوع الخانة ، أي أنه سيغني الليل يشكو له أحواله بسبب هجر المحبوب أو المريود وفق اللهجة المحلية وهكذا وبمجرد أن ينتهي المطرب من غنائه يتوقف الكفافة عن الرقص ويميلون بجذوعهم إلي الأمام مرددين الخانة نفسها وهم يصفقون ، ليتسلم بعده مطرب آخر الموضوع ذاته لكن بأبيات مغايرة ، وبعد هذه المقدمات المعتادة تبدأ الإثارة ، إذ يغير الكفافة الخانة والإيقاع وهنا يبدأ دور الارتجال فالكفافة قبل العرس يتفقون على الخانات التي سيطرحونها ولابد من أن تكون جديدة لإظهار القدرة على الإبداع أمام منافسين آخرين ، وفي الغالب فإن من بين هؤلاء الكفافة شاعر شعبي لكنه لا يجيد الغناء أو الارتجال فيكتفي بتأليف الخانة أو كما يقال (يِقَنّنها) ، والخانات لا تقال مرة أخرى في الأفراح التالية إلا إذا كانت مميزة وشاعرة ، وفي وقت قديم كانت الخانة لا تزيد عن بيت أو اثنين من الشعر مثل :

يا حمام ارجع لبروجك يا حمام

لكن يصاحبها أداء قولي يمد من اللحن ومن الكلمة ، أما الآن فهناك خانات في حجم الرواية (شكل ١١-١)! .

The Night (el-Lelia)

1. Night, oh night, oh God's night... night.. oh, night
2. If I bought the girls.. I remember the girl.
3. Oh. it is nothing. 4. Above the man's road the horseman I call
5. Over the generous every day 6. Rises.
7. Night, oh night, oh God's... night... night, oh night
8. You are patient with patience of Hiob and over me, the miserable
9. The prison of Joseph, the prison of the stomach...

شكل (11- 1): افتتاحية يغنيها العبابدة (الكفافة) في مطلع رقصة الأيدي (الكف).

(عن Zbigniew Kosc, 2002 – Amsterdam)

فن الموال

الموال بيت من الشعر المقفى الموزون ، وهو على أربعة أشطر وخمسة وسبعة وتسعة ، فإذا كان خماسيًا ، يكون الشطران الأولان من قافية واحدة مع اختلاف في المعنى . والثالث والرابع من قافية أخرى مع اختلاف في المعنى . ويلي ذلك الشطر الخامس وقافيته يجب أن تكون من قافية الشطرين الأولين مع اختلاف في المعنى . وإذا كان سباعيًا ، اتحدت الأشطر الثلاثة الأولى بقافية واحدة ، وهكذا الأشطر الثلاثة الأخرى فإنها تتحد بقافية ثانية وترجع قافية الشطر السابع إلى قوافي الأشطر الثلاثة الأولى ، مع اختلاف المعنى ، وهكذا . .

برع كثير من أبناء العبابدة والبشارية في فن الموال ، وأشهر المواويل اللي تقال في جلسات الطرب :

يا ريت أنا وانت يا حبيبي في جزيرة
ما يغشاها غير الشمس وبحورها غزيرة
نحكى سوا قصة هوى ما بينا جميلة
وما يجينا عزول لا في هورى ولا في فلوكة ولا قطيرة

احتفال الحنّة

يتم إحضار صينية مليئة بالحنّة الجاهزة للاستعمال ويوضع بداخلها شموع وتغطى الصينية بحنّتها وشموعها بقماش التل ويتم إشعال نار في وسط صينية الحنّة ويلتف حولها الشباب وأثناء الغناء يقوم أصحاب العريس وأقاربه من الرجال بالتجمع حول العريس وتخضيب يديه وقدميه بالحنّة .

و(الدف ، أو الأراجيد) هو سمة ليلة الحنّة في أفراح الأهالي ، وهو آلة تشبه الطبلة تصاحب غناء المطربين والأشخاص الذين يحيون الفرح . تتم كل موسيقى ليلة الحنّة من خلال الضرب باليد على (الأراجيد) . والرقص هو شعار الجميع رجالاً ونساء وأطفالاً ، ولا يمكن أن يأتي أصحاب الفرح براقصة لأنهم في أفراحهم لا يحبون وجود راقصة . وعلي العكس يكون إحياء ليلة الحنّة بحضور مطرب شعبي ينشد قصائد في حب الرسول ، ﷺ ، وهؤلاء المطربون اسمهم «المدّاحون» وفى أسوان يكون الاحتفال من خلال فنون الكف الجنوبي والنميم (من أقدم الفنون) .

الوفاة

ينشر خبر إعلان الوفاة بواسطة المناداة من على قمم الجبال حيث يتناقله الأفراد من قمة إلى أخرى . وقد تمتد فترة الحداد من أربعة أشهر إلى عام يمشي فيها بعضهم حفاة الأقدام ، كما يؤجلون أي زواج لعام كامل ، ويقوم بعضهم بزيارة القبور وتوزيع الصدقات .

والوفاة لها طقوس تحددها سن المتوفى ، وأهم ما يميز مراسم الوفاة الابتعاد عن الأجواء الجنائزية المتشددة الشبيهة بمراسم أهل الصعيد في مصر ، فالسيدات لا يحضرن إلي المقابر لمتابعة الدفن ولا يخرجن إلي الجنازة أصلاً ، بل يذهبن لزيارة المتوفى في يومه الثالث حاملين الزعف والصبار بالإضافة إلي زيارات متقطعة في الأعياد . أما يوم الجنازة فالرجال يجلسون ليأخذوا واجب العزاء في اليوم الأول والثاني ويأتي دور عزاء السيدات في اليوم الثالث ، بالإضافة إلي أن البنات اللاتي لم يتزوجن بعد لا تذهب إلي العزاء ، ومن يعزي يمشي فلا مبيت في بيت المتوفى إلا للأقارب القادمين من مناطق بعيدة فقط . أما الأكل في منزل الميت فلمدة ثلاثة أيام بواقع ثلاث وجبات كاملة في اليوم تكون مسئولية تحضيرهم علي الجيران ، فأهل بيت المتوفى لا يطبخون ، فكل بيت من الجيران والأهل والأصحاب عليه مسئولية وجبة كاملة بكل مستلزماتها .

تتم مراسم تحضير الجثمان للدفن وفق الشريعة الإسلامية ، ولا تخلو من عادات قديمة جداً ، إذ يحرصون في بعض المناطق على الغسل بلحاء السدر (النبق) . وأثناء ذلك إذا كان المتوفى ذكراً ، تجهز النسوة قدحاً كبيراً من نبات القرع وتطرق النسوة عليه وينتحبن وينثرن التراب على رؤوسهن ويعددن مناقب المتوفى ، وتلبس قريباته ملابسه . وتستمر المراسم ثلاثة أيام حيث ترقص قريبات المتوفى بالسيوف وهن يرتدين ملابسه . وإذا كان المتوفى شخصاً له أهمية خاصة ، تضاف النقارة للمراسم ، وفي المأتم لا تقدم القهوة أولاً كعاداتهم ، بل يقدم الطعام ثم بعده القهوة . ولا تبارح الأرملة بيتها ، فترة العدة الشرعية ، وترتدي ثوباً أبيضاً وحذاءً قديمًا ولا تتطيب ولا تستحم إلا أيام الجمع ، وتصفف شعرها في ضفائر غليظة . ومن عاداتهم ألا يبكون ولا يفرشون على من مات مقتولاً ، حتى يُقتل قاتله ، ويهدمون بيت المتوفى ويعيدون بناءه بعد الأربعين وبعد قلب بروشه .

يذكر كثير من البدو البشارية الموت طوال الوقت لإيمانهم بأنه حق آت ، ويقومون بتجهيز الأكفان ووضعها على أهبة الاستعداد لأنهم في حالة ترحال دائم . ولديهم مقابر جماعية ومن النادر أن يدفن متوفى بمفرده . ويتم تحضير الجثمان والدفن وفق الشريعة الإسلامية ، وأثناء المأتم ، تقوم النساء بالنحيب والعويل ، ويهلن التراب على رؤوسهن ، ويحلق بعضهن شعورهن ، كما يرتدين الخيش ، وترقص بعض النساء بالسيوف وهن يرتدين ملابس المتوفى على إيقاع طبول النساء ، وتخرج الجنازة من الباب الخلفي ، وتتبعها النساء النادبات من بعيد .

علاقة البدو النفسية بالموسيقي

للعبابدة والبشارية علاقة وثيقة بالربابة وهي تمثل لهم كتابهم المفتوح الذي يقرأون فيه ومنه تواريخهم ومواقفهم وبطولاتهم وبيئتهم وغير هذا من وجوه أخرى وقد ألفوا هذا الكتاب وعشقوه وألموا بأسراره .واستطاعوا استنطاق الربابة لدرجة إدراجهم حتى ألغازهم فيها ومن أغرب الممارسات للربابة استخدامها أيام العزاء في الميت ، فبعض القبائل وهي تتقبل العزاء ، تضرب مقطوعات موسيقية ذات تصاوير حزينة تعبيراً عن الحزن ، والجدير بالذكر أن لكل قبيلة أنغامها الخاصة على الربابة أي ضرباتها والمسماة كل واحدة منها (وتر) .

طبيعة الوتر

والوتر عبارة عن قطعة موسيقية خاصة بالقبيلة ،وهي تمثل عزة القبيلة وشعارها ، ومعزوفات القبائل الواقعة بدائرة الوتر لا تعزف إلا في مناسبات القبيلة . والأوتار نوع من أنواع الموسيقى والغناء المرتبط بالفروسية .

- يشاي : تعزف فيه مقطوعات رائعة ، توحي دائمًا بالفروسية والإقدام والتضحية والإيثار وطبع الأحداث الجسيمة والمواقف البطولية للأبطال السابقين ومعارك عظيمة .
- دوارباي : يرسم المواقف الجميلة وفيه مقطوعات رائعة تعرض جمال البيئة .
- شمبر : وتر رقيق ، تطع فيه أنغام رقيقة كأصوات العصافير وأصوات الحيوانات الرقيقة ، وترسم بتلك الأنغام لوحات عذبة للبيئة بما فيها من خرير المياه وشقشقة العصافير . الخ .

وهم يتخذون النقارة[١١٠] والوتر النحاس شعاراً للعزة والكرامة ، فحياة البجا ترتبط بالفروسية والرجولة والشهامة والكرم ، ويظهر ذلك من تخصيصهم لأنواع من الموسيقى للرقص الاستعراضي لإبراز القوة ، وهي مرتبطة بوصف الحيوانات والطيور والمواسم ، وجمال المرأة وغيرها ، والفروسية (الشجاعة والكرم) وتدور حولها معظم قيم الثقافة المنتمي لها العبابدة والبشارية ، وهي الثقافة الرعوية ، فلا يزال كثير من جوانب حياتهم متأثراً بتلك الجذور ، ففي عزاء البجا لأهل الميت يقولون (تويات تسماك *Toyate Tesmcane*) أي «الموت قد اختار خير خرافك وأفضلها» .

والأحداث المتعاقبة ساهمت في اهتمام بدو الصحراء بالطبول والموسيقى ، وذلك لما لها من أثر في إذكاء الروح القتالية ، كما ساهمت البيئة في تشكيل وجدان البدوي وجعلته إنساناً شديد التحمل ، قادراً عليه ، لذا فإن كل أساليب التعبير لديه على اتصال بالبيئة المحيطة به .

والإيقاع *Rhythm* هو أول مظهر للموسيقى كما أنه يعطي الموسيقى قوة واندفاعاً ، وقد أثر ذلك حتى في ألعابهم الشعبية ، ومثال ذلك لعبة البيبوب . والبيبوب لعبة غنائية ، تؤدى بالإيقاع المنظم الراقص ويمارسها الشباب في الصباح الباكر أو الأمسيات المقمرة ، والأدوات المستخدمة هي أدوات إيقاعية ، ويكوّن الشباب دائرة ، ويدخل الدائرة شابان أو أكثر ويبدءون بالوثب إلى أعلى مع الإيقاع ، ومجال التنافس بينهم هو الوثب أعلى بأكبر قد ممكن ، ويكون تحديد الفائز عن طريق التقدير النسبي .

---

(١١٠) النقارة : هي (النحاس) وكل من يستولى على نقارة من أي قبيلة عنوة له الأحقية أن يكون ناظراً للقبيلة ، ولا يعترف بسلطة أي شخص إلا بعد الحصول على النقارة رمز السلطة والهيبة ؛ والنقارة تضرب لأغراض السلم أو لموت كبار شخصيات القبيلة ، وإشهاراً لملاقاة العدو في الحروب ، يرسلون عبرها نغمات صوتية طبلية عبارة عن رموز إشارية .

١٢- مستقبل وادي العلاقي

كالبدر من أين اتجهت رأيته ... يهدي إلى عينيك نوراً ثاقباً
كالشمس في الفلك البعيد وضوؤها ... يغشى البلاد مشارقاً ومغارباً

(شاعر نوبي)

يوجد عدد كبير من المشاكل تواجه التنمية الاقتصادية لوادي العلاقي ، وبعضها عبارة عن أعراض لمشاكل أكبر بكثير ، ومن أهمها الفقر وانخفاض المستوي الصحي لسكان الوادي بسبب نقص الغذاء والدواء ، والحفاظ علي الصحة العامة يعتبر من الصعوبة بمكان وخاصة بالنسبة إلي عدم وجود رعاية بيطرية كافية . والحصول علي الماء والاعتماد عليه يعتبر من المشكلات الحرجة للغاية ، وعلي المستوي الاقتصادي الاجتماعي فقد ظهرت ثلاث مشاكل هي :

١ . **التمايز الطبقي** : بالرغم من أن حوالي ٣٠٠ بدوي فقط يعيشون في الوادي إلا أن هناك تمايزاً طبقياً كبيراً بينهم ، فهناك بيوت غنية جداً وتملك عدداً كبيراً من الإبل وتتحكم في عمليات النقل التجاري ولها وضع اجتماعي متميز ولهم علاقات قوية مع قادة قوافل الدابوكا ، ولعل دراسة هذا المجتمع الصغير وتوزيع السلطة فيه أمر بالغ الأهمية فهو جزء هام ومتكامل من إستراتيجية تنمية الوادي .

٢ . **صعوبة النقل** : من وإلي أسوان ، فكل بيت يعمل علي الاحتفاظ بجمل واحد علي الأقل لاستخدامه في النقل إلا أن غالبيتهم يعتمدون علي غيرهم في نقل بضائعهم ، وليست هذه المشكلة السبب الوحيد لارتفاع التكلفة ولكنها عامل مؤثر في آليات السوق ، والطريق البري الوحيد بين العلاقي وأسوان لم يفد كثيراً في غيبة وسائل النقل العامة .

٣ . **نقص العمالة** : ولعل العائق الرئيسي في التوسع في الزراعة هو نقص العمالة التي تعمل في الرعي ، فحاليا تروي الأرض بواسطة الجرادل (١٥ لتراً) المربوطة بقطعة من الحبال مع صب الماء في مجري ضيق ؛ والري بهذه الطريقة عمل مرهق ويحتاج إلي وقت وجهد كبيرين ، وقد استخدم البعض ماكينة ديزل ولكن

التجربة أثبتت أنها مكلفة في تشغيلها وصيانتها مما يستدعي التفكير في وضع نموذج أكثر كفاءة وأقل تكلفة بحيث يناسب ظروف أهالي وادي العلاقي . والسؤال الذي يطرح نفسه هو : هل مستقبل وادي العلاقي الاقتصادي سوف يعتمد علي الأراضي الزراعية أم علي التوسع في المراعي والإنتاج الحيواني لرفع مستوي معيشة أهل الوادي وخدمة قوافل الدابوكا؟

وقد وصلت عائلات البشارية إلي مصب وادي العلاقي عندما بدأت المياه تغمر جزءاً كبيراً من الوادي وتصاهرت القبيلتان ، وبالرغم من أن البشارية يُعتبرون ضيوفًا في المنطقة فهم يقيمون في الجزء الجنوبي الشرقي ، والسلام وحسن الجوار هما السمة الغالبية بين القبيلتين ولا يوجد بينهما أي خلافات أو مشاحنات علي الأرض والمياه كما كان سابقًا . وتعتمد تحركات القبائل وانتقالاتهم علي تذبذب مياه البحيرة ووفرة الأماكن المناسبة للمرعي وجمع الخشب لعمل الفحم .

ولعل التغير الدرامي الذي حدث في الآونة الأخيرة ، ألا وهو وجود المياه في منطقة شديدة القارية مما دفع قبائل العبابدة والبشارية إلي الاستقرار والإقامة شبه الدائمة بجوار الماء . وهم يستعملون الماء لأغراضهم الحياتية وسقي ماشيتهم ، ولكنهم لا يصطادون الأسماك ولا يأكلونها بل ويحتقرون من يمتهن صيد السمك ، ولا يستخدمون الماء في تنقلاتهم ، ولعلهم الشعب الوحيد علي وجه الأرض والذي يعيش بجوار الماء ولا يستفيد منه الفائدة المرجوة سواء كانت مياه البحر (الأحمر) أو النهر (بحيرة ناصر) ، وقد كانت هناك محاولات سابقة لمحاولة الزراعة ولكنها لم تنجح كثيراً إلا أن هناك محاولات جديدة لتعويد البدو علي الزراعة .

أضرار التطور على الرعي

إن تاريخ التطور الرعوي في الصحراء الشرقية والغربية كان محل دراسات مستفيضة من علماء الانثربولوجيا الأجانب والعرب ، وفهم هذا التاريخ هام جداً عندما نشرع في توطين البدو والعمل علي استقرارهم وخلق نمط جديد للحياة لهم ، ونحن نخطئ كثيراً إذا نظرنا إلى الرعاة من العبابدة والبشارية (البجة) بوصفهم مجتمعات منعزلة ، وليسوا ضحايا للسياسات العامة ، ويمثلون «الماضي» وينسحبون من المجال العام ومن نسيج المجتمع ، والواجب علينا أن نراهم في صورتهم الحيّة وهم يتابعون مصالحهم ، ويساهمون

في الحياة العامة أخذاً وعطاءً ، وينسحبون منها عندما يشعرون بالمخاطر تحدق بهم نتيجة لمشروعات التطور التي لا تضع في حسبانها عوامل بقائهم .

وحتى تكون الثروة الحيوانية ذات فائدة اقتصادية للبلاد لابد من أن يتم التخطيط لها تخطيطاً علمياً صحيحاً وأن تشرف عليها هيئة تعاونية أو حتى شركة مساهمة يساهم فيها المواطنون .

وحتى يتسنى إيجاد مراع غنية تقام السدود في الأودية لزراعة نبات المرعى المحسن بطريق نشر المياه ، كذلك يجب المساهمة في محاربة الزحف الصحراوي الذي أضر بالمراعي والحيوانات وذلك عن طريق زراعة نباتات المراعي والأشجار التي تتحمل التقلبات المناخية في البلاد .

التحضر وتغيير الثقافة والمفاهيم

الشرط الأساسي للمشاركة في طريقة الحياة الشريفة لبدو العلاقي هو الإقامة والتكيف التقليدي البدوي ، فعبر المشاركة يصبح الفرد عضواً كاملاً . والبدوي له أسلوب حياة مثالي ، ويرتبط هذا الأسلوب بالشرف ، ومن ناحية أخرى يرتبط بالحياة بعيداً عن الجبال والبادية ، وفي المدن بالتحديد ، إذ ينظر للحياة الحضرية بوصفها تحوي مبادئ وسلوك مناف لمبادئ وسلوك حياة القبيلة . فالمدينة تحوي رذائل تتناقض مع قيمهم ، ولا يعتبر سكان المدن قبيلة بل هم أخلاط من البشر في شكل تجمع ، وتمثل المدينة أيضاً العالم الغريب غير البدوي لأن الحكومة تسيطر عليها ، وهي نفس القوة التي تحاول السيطرة على البدو ، وتجبرهم على التبعية وتستغلهم وهذا - من وجهة نظرهم- يتناقض مع فكرة الشرف .

ويري علماء الاجتماع أنه بالرغم من كل هذا فإن عمليات التحضر والروابط الأقوى بأسواق العمل في الحضر والاعتماد الاقتصادي المتزايد على المدن لها دور هام لساكن الصحراء وأن حياتهم التقليدية يتم تهميشها مع مواردهم المتواضعة ، بالإضافة إلى ظروف الجفاف وعلاقات السوق غير المواتية . ويعني هذا أن عدداً متزايداً منهم يتحركون بين العالمين كوسيلة للبقاء . وهذا يتيح مناخاً مناسباً لتغيير محتمل وفرصة للحصول على بدائل للقيم والأعراف القبلية .

يتفاوت تمسك العبابدة والبشارية بالقيم القبلية ، ويشكل المهاجرون منهم إلى المدن مجموعة تعتنق باضطراد أنماطًا جديدة من القيم ، مثل الزواج من خارج القبيلة ، وعدم احترام الاستشارة المحلية وإرسال الأبناء للمدارس الحكومية لا إلى الخلاوي.[١١١]

وقد يتيح هذا التغير فرصة جديدة للنساء أيضًا . وقد يؤدي هذا للطلاق ووجود عائلات على رأسها نساء ، ثم دخول النساء في معترك الحياة العملية . وهكذا يخلق التحضر أنماطًا أخرى تقود إلى تغير اجتماعي - ثقافي بين البدو . ويظهر التزاوج من خارج القبيلة وتختفي الخيمة ليحل محلها المنزل المستقر ، وتهجر الخلاوي لمدارس الحكومة مما يحد من نفوذ شيوخ الدين .

والتطور الخطير هو في القيادة ، فالزعيم التقليدي الذي هو رجل مبجل في الريف والجبال ، سوف يصبح رجلاً مهمشًا في المشهد الحضري ، غير متناسق مع قواعد السلوك المطلوبة في البيئة الجديدة . وسوف تظهر أنماط جديدة من هاتين الثقافتين (ثقافة البادية ، وثقافة المدينة) . ولابد من ظهور أشكال جديدة من القيادات والتي يعلم الله لمن سيكون ولاؤها!

وكما تختفي استراتيجيات التكيف القديمة ، فسوف تتغير الخصائص الاجتماعية - الثقافية الأساسية . ويبدو أن الناس الذين يعيشون داخل التكيف التقليدي القائم على الرعي الزراعي في المناطق الريفية سوف يخسرون باستمرار .

السياحة في وادي العلاقي

تقع محمية المحيط الحيوي لوادي العلاقي في منطقة نائية في الجنوب الشرقي من الصحراء الشرقية والتي يحتاج الوصول إليها إلي مجهود شاق ولا بد من الحصول علي تصريح من الحدود لزيارة المنطقة سواء للمصريين أو للأجانب ، ومن أسوان - أقرب مدينة لوادي العلاقي- تحتاج الرحلة إلي قيادة السيارة ثلاث ساعات علي الطريق الأسفلتي .

(١١١) الخلاوي : دور لحفظ القرآن الكريم وشرح الدين الإسلامي أنشأها العرب الذين هاجروا إلي بلاد البجة والنوبة .

ويمكن نظريًا أن يكفي العائد الناتج من السياحة للصرف علي حماية وحفظ التنوع الحيوي في المنطقة والحفاظ علي الموارد الطبيعية التي تجذب السياح لزيارتها ، وفرص السياحة البيئية يمكن حصرها فيما يلي :

١- مراقبة الطيور والحياة البرية والتصوير .

٢- السياحة الجيولوجية والتاريخية ، وكثيرًا ما يود السائح أن يري آثار الحضارات القديمة وحضارات ما قبل التاريخ مثل الحصون وأطلال وحصون الطوابي القديمة والرسومات علي جدران هذه الكهوف والتي تجدها شائعة في وادي العلاقي .

٣- اختراق الصحراء إلي جبل علبة - مثلا - عن طريق وادي العلاقي .

٤- السياحة الصحية والتي تعتمد علي النظافة والهدوء التام ووفرة الأعشاب الطبية .

٥- السياحة العلمية لدراسة التنوع الحيوي من نباتات وحيوانات وتوضيح أهمية السياحة البيئية لطلاب الجامعات والأهالي سواء بسواء .

وحاليًا لا توجد سوي أنشطة سياحية بيئية محدودة في وادي العلاقي يمكن حصرها فيما يلي :

- رحلات سفاري تنظمها شركات خاصة .
- تنظيم رحلات تشمل الصحراء الغربية ومنها يزورون الصحراء الشرقية . وبالرغم من ندرة هذه الرحلات إلا أنها قد تعمل علي تدمير التنوع الحيوي في المناطق المركزية في محمية وادي العلاقي ، وقد تؤثر علي ثقافة البدو المقيمين والذين يجدون أنفسهم يُنظر إليهم كحيوانات تجارب بالنسبة للزوار الأجانب .
- سياحة علمية ترويحية لبعض العلماء الذين سبق لهم زيارة المنطقة من قبل فيأتون ومعهم عائلاتهم الصغيرة ويعملون علي نشر الوعي البيئي .
- عقد المؤتمرات العلمية والتعليمية ، وهؤلاء يقومون بتعريف المنطقة للعالم الخارجي .

السياحة البيئية

نبعت فكرة السياحة البيئية عندما تنبه متزعمو حركة المحافظة على البيئة (الخضر) لإمكانات الدمج ما بين اهتمام الأفراد بالبيئة وحرصهم عليها خاصة وأن هذه الفكرة تطورت خلال العشر السنوات الماضية بناء على رد فعل السياحة الجماعية من جهة والاهتمام بالتنوع البيئي من جهة أخري .

وتعتبر السياحة البيئية ذلك النوع الترفيهي والترويحي عن النفس والذي يوضح العلاقة التي تربط السياحة بالبيئة ، أو بمعني أخر كيف يتم توظيف البيئة التي حولنا لكي تمثل نمطًا من أنماط السياحة التي يلجأ إليها الفرد بغرض الاستمتاع ، فالسياحة البيئية ما هي إلا متعة طبيعية بما يوجد حولنا في البيئة البرية والبحرية .

وفي هذا الصدد فإنه وقد ورد تعريف – من قبل الصندوق العالمي للبيئة – للسياحة البيئية بأنها :

«السفر إلي مناطق طبيعية لم يلحق بها التلوث ولم يتعرض توازنها الطبيعي إلي الخلل وذلك للاستمتاع بمناظرها ونباتاتها وحيواناتها البرية وحضاراتها في الماضي والحاضر» .

فالسياحة البيئية في منطقة وادي العلاقي تعتمد في المقام الأول علي الطبيعة بمناظرها الخلابة ، والأنشطة التي ترتبط بالسياحة البيئية يمكن تلخيصها فيما يلي :

- الصيد البري للطيور والصيد النهري للأسماك .
- تسلق الجبال .
- الرياضات المائية .
- تأمل الطبيعة واستكشاف كل ما فيها .
- الرحلات في الجبال ومراقبة الطيور والحيوانات البرية .
- رحلات السفاري واستكشاف الوديان والجبال والصحراء .
- إقامة المعسكرات .
- تصوير الطبيعة .

ولعل أهم عنصر تقوم عليه السياحة البيئية هو عدم إحداث إخلال بالتوازن البيئي الناتجة عن تصرفات الإنسان والتي تتمثل في تصرفات السائح ، وما قد يحدثه من تلوث فيها ومن هنا ظهرت علاقة أخري ولكن بين السياحة البيئية ككل وبين مفهوم التنمية المستدامة *Sustainable Development* ، حيث تعتبر التنمية احدي الوسائل للارتقاء بالإنسان ، ولكن ما حدث هو العكس تمامًا حيث أصبحت التنمية هي احدي الوسائل التي ساهمت في استنفاد موارد البيئة وإيقاع الضرر بها وتعريضها للتلوث .

وتنطوي السياحة علي إبراز المعالم الجمالية للبيئة فكلما كانت البيئة نظيفة وصحية كلما ازدهرت السياحة وانتعش الاقتصاد ، ولكنه بالرغم من الجوانب الايجابية للسياحة البيئية إلا أنها قد تشكل مصدرًا رئيسيًا من مصادر التلوث في البيئة والتي تكون من صنع الإنسان ، لذا فإنه لابد من تحقيق التوازن بين السياحة والبيئة من ناحية وبينها وبين المصالح الاقتصادية والاجتماعية من ناحية أخري ويمكن إيجاز مضار السياحة البيئية فيما يلي .

الآثار السلبية للسياحة البيئية

بالرغم من تواجد الآثار الايجابية للسياحة البيئية إلا أنه توجد أيضًا آثار سلبية لهذا النوع من السياحة ممثلة في :

- الزيادة المقررة في أعداد السياح والتي تمثل عبئًا علي مرافق الدولة من وسائل نقل وفنادق وخدمات مثل الكهرباء والمياه .
- إحداث تلفيات ببعض الآثار لعدم وجود ضوابط أو تعامل بعض السياح معها بشكل غير لائق .
- ممارسة السياح لبعض الرياضات المائية أدي إلي الإضرار بالأحياء البحرية .
- ازدياد تلوث الغلاف الجوي .
- انتشار القمامة والفضلات فوق القمم الجبلية حيث تمثل الجبال مناطق جذب سياحي لممارسة رياضة تسلق الجبال والمشي .

والسائح ليس وحده هو المسئول عن هذه الكوارث وإتلاف المناطق السياحية والأثرية ولكن هناك عوامل أخري هي الطبيعة والسكان الأصليين لها دخل كبير في ذلك منها :

- **المصادر الطبيعية التي تؤدي إلي إتلاف المناطق السياحية والأثرية والتي تتمثل في :**
  - o الكوارث الطبيعية وتشمل :
    - الاهتزازات والزلازل
    - الأمطار والسيول
    - العواصف والرياح
    - الانهيارات الأرضية
  - o التغيرات المناخية : تغير في درجات الحرارة – الرطوبة – الأمطار
  - o المياه الجوفية .
- **أما المصادر البشرية فهي تشمل :**
  - o تلوث التربة
  - o تلوث الهواء
  - o تلوث المياه
  - o الزحف العمراني
  - o وسائل الصرف الصحي غير المتقدمة
  - o تزايد عدد السكان .

السياحة العلاجية

يستخدم النوبيون والبدو أسلوب العلاج بالطمر في الرمال الساخنة أثناء سطوع الشمس للعلاج من التهابات المفاصل وتنشيط الدورة الدموية ، حيث يشرف على العلاج شيوخ متخصصون في هذا النوع من العلاج الطبيعي . ويتخذ العلاج مظهرًا

احتفاليًا بهيجًا ، إذ يتجمع أقارب المرضى وأهالي المنطقة الذين ينشدون الأغاني الفولكلورية المخصصة لهذه المناسبة وذلك لرفع الروح المعنوية للمرضي .

وبعد أن ينتهي الزمن المحدد للطمر بالرمال يُلف المريض في أغطية ثقيلة لحمايته من التيارات الهوائية ، ثم ينقل سريعًا إلى مكان مغلق حيث يقدم له شراب الدمسيسة أو الحلف بر الساخن . كذلك يستخدم هؤلاء الشيوخ لبخة الطمي النيلي (الدميرة)[١١٢] لعلاج الصداع النصفي وآلام الأسنان والتمزق العضلي .

التفسير العلمي للعلاج البيئي

يرجع التحسن الملموس في الآلام الروماتزمية إلى سخونة الرمال التي تؤثر تأثيرًا إيجابيًا على النهايات العصبية المختصة بالألم وعلى الدورة الدموية ، وتعمل علي الشفاء السريع من آلام المفاصل وهو ذاته أسلوب العلاج الطبيعي المعاصر المعروف بالـ (*Biotherapy*) أو الـ (*Physiotherapy*) الذي يعتمد على استخدام الطمي الساخن أو الرمال الغنية بعناصر معدنية مثل اليود والكربونات ذات النشاط الإشعاعي في الحدود المسموح بها ، والتي تمتص عن طريق الجلد .

ولبخة الطمي النيلي (الدميرة) هي ذاتها أسلوب الـ *Pleoma* المستخدم في المصحات العالمية التي تمزج الطمي بالمياه المعدنية الطبيعية لأغراض علاجية استنادًا إلى خاصية السخونة الرطبة .*Humid Heat*

وقد أظهرت نتائج التحليل فى معامل البحث المصرية احتواء الرمال السطحية في منطقة أبو سمبل على عدة عناصر مثل السيلت والكربونات ، كما أظهرت البحوث أن النشاط الإشعاعي بهذه الرمال في الحدود الآمنة ذات الفائدة العلاجية .

(١١٢)الدميرة : وهو الاسم الذي كان المصريون يطلقونه علي فيضان النيل في الصعيد ، وهو نفس الاسم الذي يطلقه علي الفيضان أشقاؤنا السودانيون في جنوب الوادي . والدميرة ربما هي الاسم الفرعوني للفيضان ، وأقرب وأصدق وصف للدميرة وما كانت تفعله في حياة القرى وأهل الريف يمكن قراءته في أعمال الأديب السوداني المبدع الطيب صالح ، والكاتب المصري عصمت سيف الدولة . كانت مياه الدميرة تغمر الأرض وتحاصر السكان لمدة تزيد علي الشهرين ، وكانت حياة الفلاحين تنحصر داخل أسوار القرى المحصنة بالجسور العالية التي يجتهد أهل القرية قبل وأثناء الدميرة في إقامتها أو تعليتها وتعزيزها خشية الغرق .

كلمة أخيرة

رغم أن مصر كانت هدفًا سياحيًا حيويًا منذ قرون ، حيث كان يزورها الفلاسفة والعلماء والتجار والرحالة بل والمغامرون ، إلا أنها لم تبدأ فى التحول إلى السياحة الترويحية فضلاً عن السياحة التخصصية إلا مع بداية عهد الرئيس محمد حسنى مبارك الذي تميز باستقرار السلام ، وتحققت طفرة ضخمة في مرافق البنية الأساسية ، سمحت لرأس المال المصري والأجنبي بالعمل في تنمية سياحية سريعة خاصة على سواحل البحر الأحمر وخليجي العقبة والسويس – ولقد شيدت مجموعة رائعة من المنتجعات الشاطئية بفضل ضمانات وحوافز الاستثمار ، وحالة الأمن والاستقرار المتصلة التي تنعم بها مصر – وبدأت منذ عام ١٩٨٢ أول عملية إثراء وتنوع في المنتج السياحي المصري ، لتضم إلى جانب السياحة الأثرية التاريخية السياحة الترفيهية في تلك المنتجعات التي توافرت لها عناصر النجاح والجاذبية ، ومناخ معتدل طوال العالم وخدمات فندقية وسياحية على المستوى العالمي .

وقد تواصلت عملية تنوع وإثراء النشاط السياحي المصري ليشمل أيضًا السياحة البيئية ، والمزارات الدينية وسياحة السفاري والمغامرات الصحراوية ، والحوافز ، والمؤتمرات والمعارض الدولية وسياحة المناسبات . لقد آن الأوان أن يوضع وادي العلاقي وباقي منطقة التكامل المصرية والسودانية (منطقة النوبة) على خريطة مصر السياحية لما حباها الله من طبيعة خلابة وإمكانات متنوعة أثرية وتاريخية وبيئية .

تتمثل الأهداف طويلة المدى لتنمية وادي العلاقي والمناطق المحيطة في ضمان الاستخدام الأمثل والمستدام للموارد فضلا عن إقامة منطقة جذب للسكان الأصليين ، أما الأهداف قصيرة المدى فتشمل إنشاء منطقة استرشادية رائدة ، وهذه المنطقة سوف تكون متاحة لنقل التكنولوجيا الملائمة للسكان وإنشاء وتنمية حياة قروية للسكان المقيمين واستخدام هذه المنطقة الرائدة كمنطقة تدريب للمزارعين والخريجين لمساعدتهم في حل مشاكلهم لاستزراع وإدارة الأراضي القاحلة وتشجيع استكشاف الموارد الطبيعية مثل الثروة المعدنية والتي تبشر بخير كثير .

المراجع باللغة العربية واللغات الأجنبية

الإدريسي، أبو عبد الله محمد (1864): صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس. طباعة ليدن، هولندا.

الأسواني، ابن سليم (؟): المواعظ والاعتبار، جزء 1. في مصطفي مسعد (1960).

ابن الأثير (.؟.): النهاية في غريب الحديث والأثر. المجلد الأول، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

ابن بطوطة، أبو عبد الله م حمد بن عبد الله الطنجي (1967): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (جزآن) والمعروف (برحلة ابن بطوطة)، المكتبة التجاريّة الكبرى، القاهرة، مصر.

ابن الياس، أبو البركات محمد بن أحمد (1982): بدائع الزهور في وقائع الدهور، الجزء الأول، القسم الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (1966): العبر وديوان المبتدأ والخبر. المجلد الأول، الطبعة الثالثة، المجلد الثاني، بيروت 1967.

أبو زيد، الشحات نصر (2000): النباتات والأعشاب الطبية. الطبعة الثانية.الدار العربية للنشر والتوزيع، 577 ص.

باز، كرم الصاوي (2006): ممالك النوبة في العصر المملوكي: اضمحلالها وسقوطها وأثره في انتشار الإسلام في سودان وادي النيل. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 621 ص.

البلاذردي، أبو العباس أحمد بن يحيي: فتوح البلدان. طبعة بيروت، الجزء الأول "أنساب الأشراف"، تحقيق محمد حميد الله، بالاشتراك مع دار المعارف بمصر، 1959.

بن ضيف الله، محمد نور (1974): كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان. تحقيق وتعليق يوسف فضل حسن. دار التأليف والترجمة والنشر. جامعة الخرطوم. الطبعة الثانية، الخرطوم.

اللوحـــات

Geology and Mineral Potential: Preparatory Assistance. Unpublished Report, New York, 261 p.

UN (1988): Transitional Project on the Major Regional Aquifer DP. UN/RAB-82-013. Proceedings of Project Workshop held in Khartoum, Sudan.

Zbigniew, K. (2002): Ababda Music (photography + MP3 recording, Amsterdam. Internet.

شبكة الإنترنت

http://en.wikipedia.org/wiki/Wadi_Allaqi

http://www.sciencedirect.com/science?

http://touregypt.net/parks/wadialaqi.htm

http://archive.idrc.ca/library/document/

http://www.unesco.org/mabdb/br/brdir/directory/biores.asp?

http://www.springerlink.com/content/vt64r117u604v53n/

http://www.infomine.com/

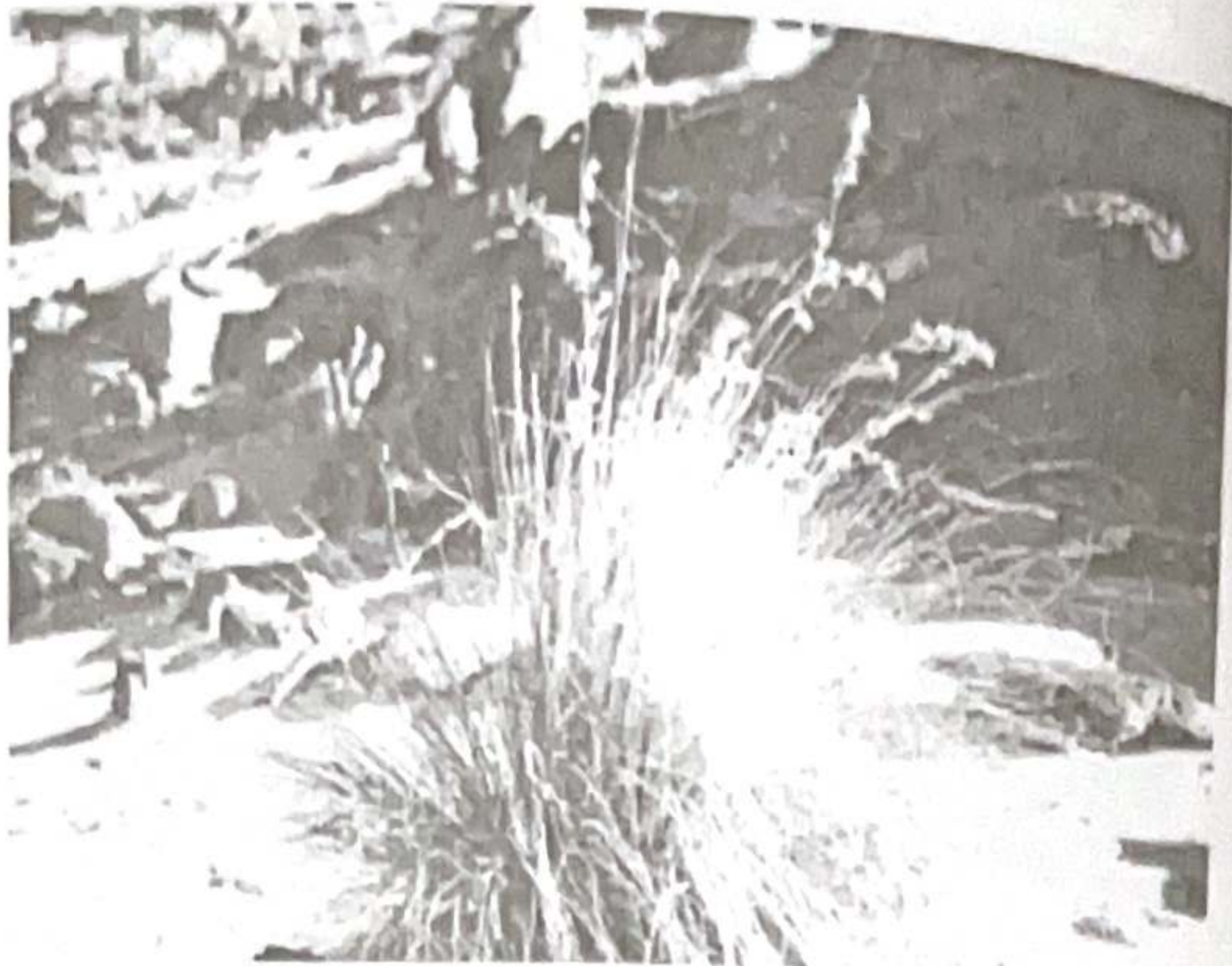
http://www.nobaa.com/bb/viewtopic.php?f=5&t=35237



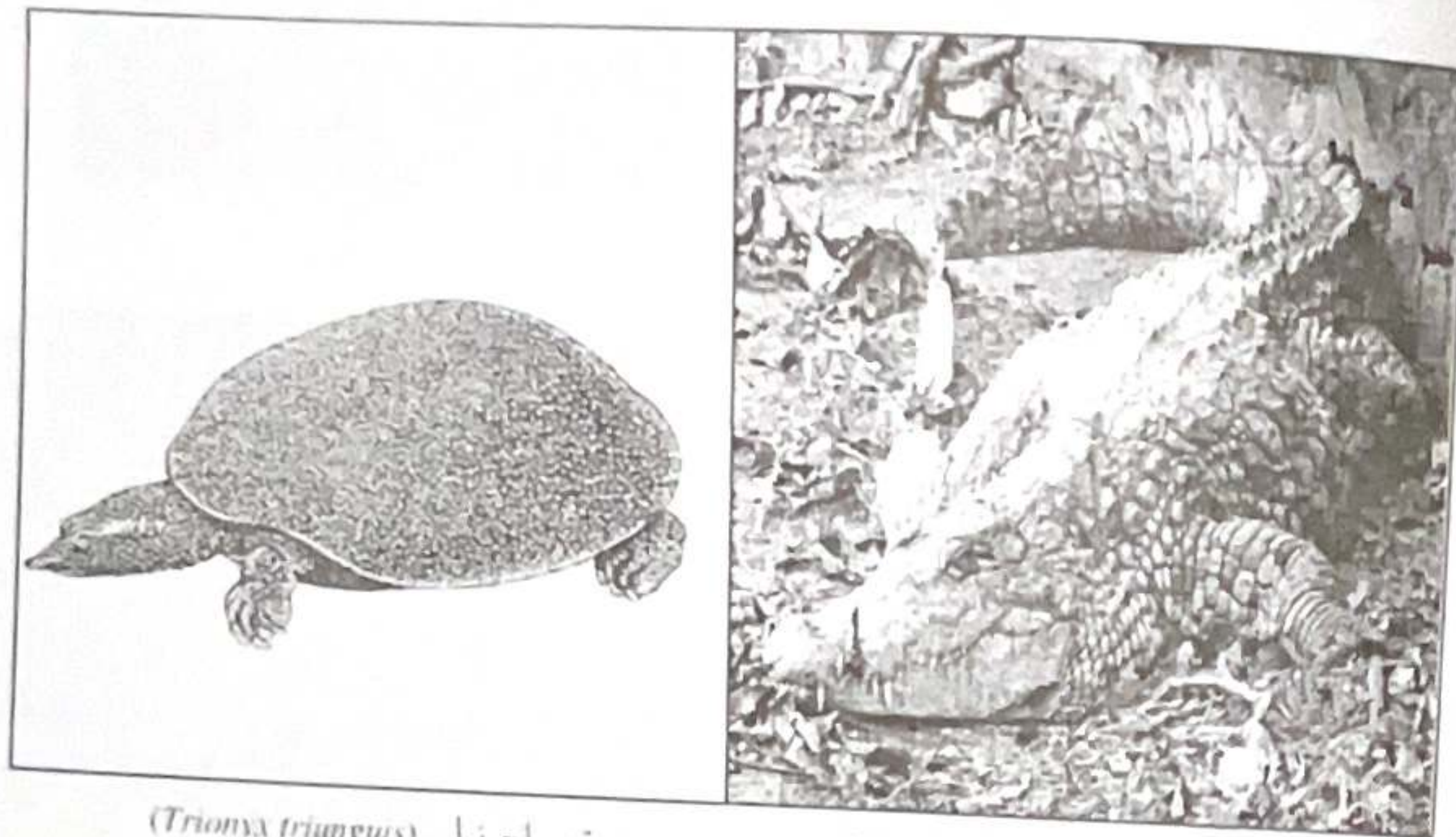
١- صورة جوية لقرية العلاقى الجديدة (عن جوجل ، الانترنت)



٢- المناطق التى غمرت بمياه بحيرة ناصر أسفل وادى العلاقى



٣- شجرة حلف بر وحيدة أعلى مجرى وادى العلاقى

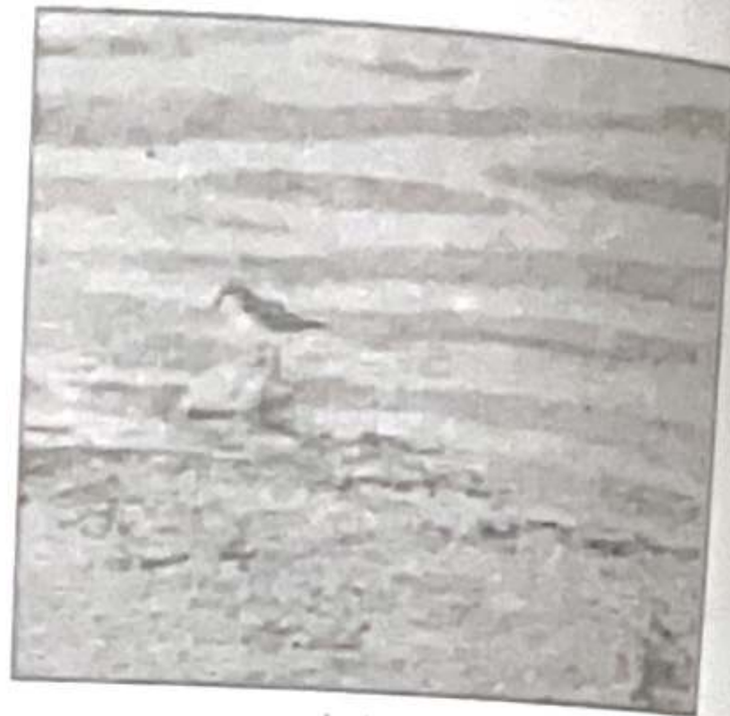


تمساح نيلى (*Crocodylus niloticus*)   تمساح نيلى (*Trionyx triunguis*)

٤- زواحف من مصر العليا (بحيرة ناصر ، مصب وادى العلاقى)



٥- الأطيش البنى



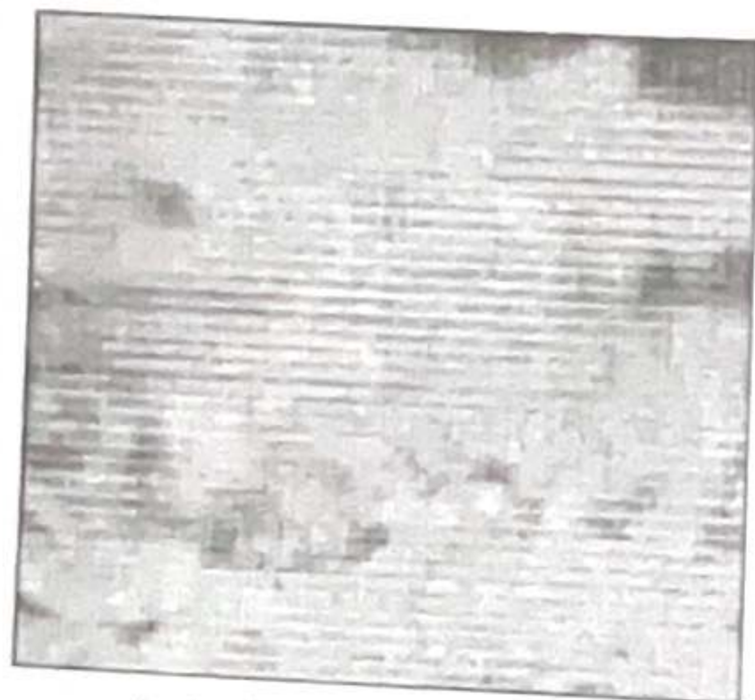
بلبول



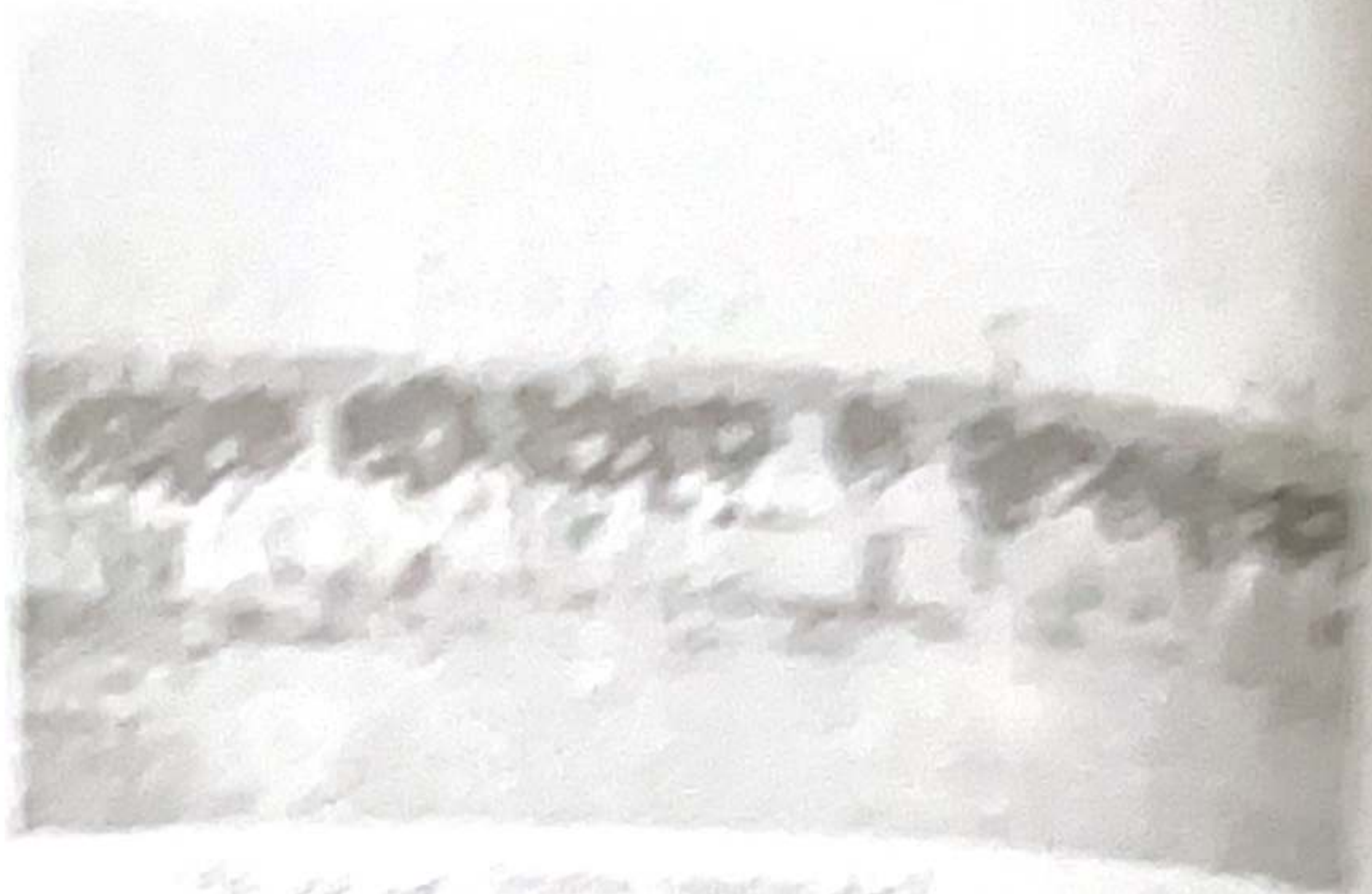
عصفور التوت



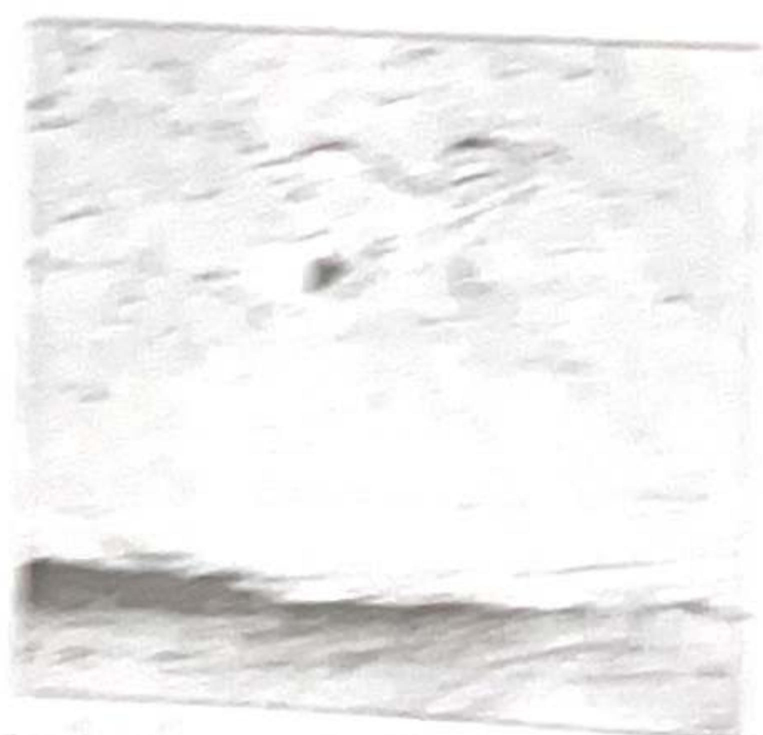
الرخمة المصرية (مقيم)



العصفور ذو الرقبة الزرقاء (مهاجر)









(١٠) نساء بشاريات مع أطفالهن بجوار منازلهن المبنية من أشجار الطلح



(١١) إمرأة من قبيلة السيديناب تروى مزرعتها الصغيرة من بئر ماء
(تصوير *Solway*)



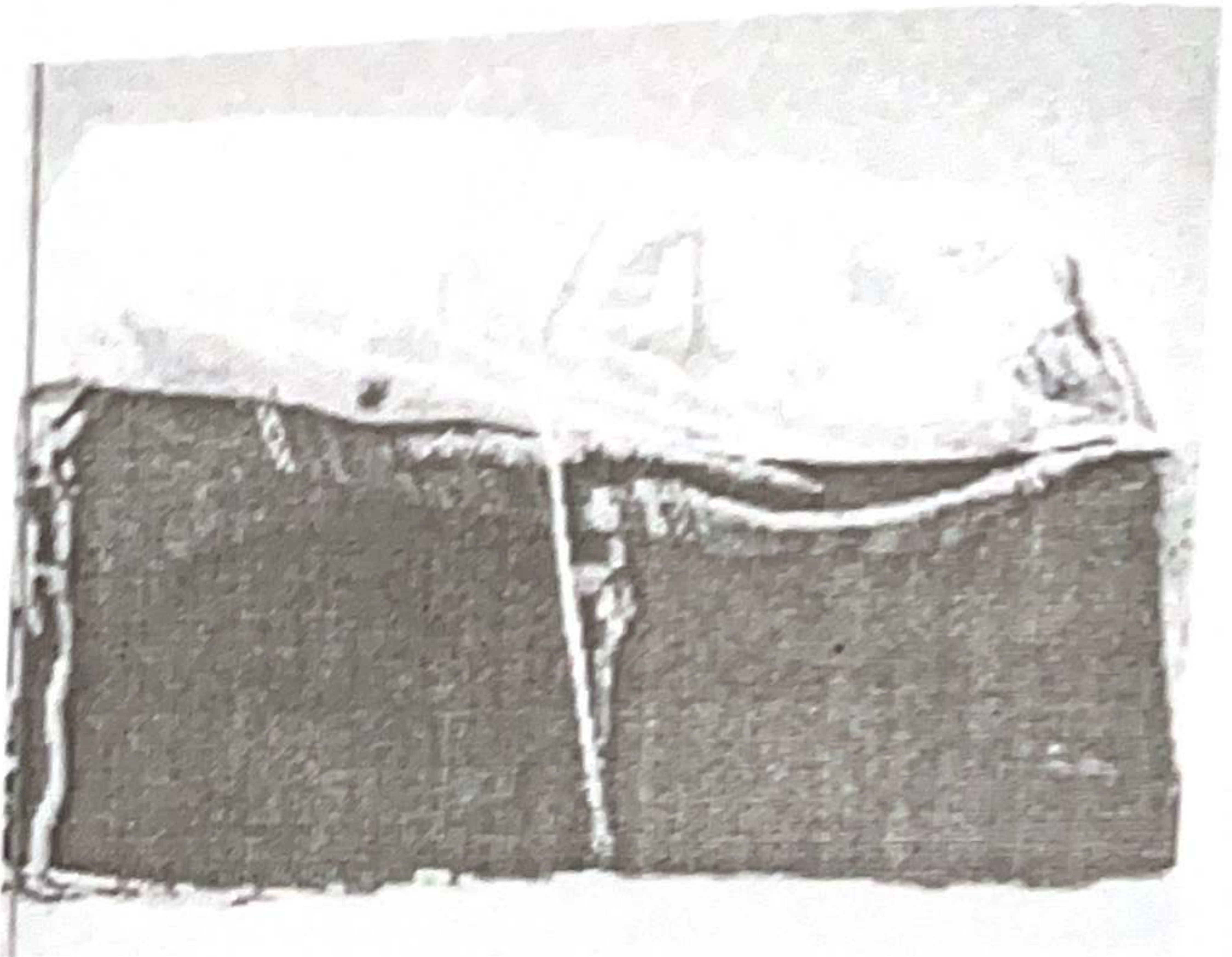
(١٢) مساكن العبابدة أسفل وادى العلاقى



(١٢) لوح من الصاج أعده البدو لتخزين متعلقاتهم وللراحة أثناء النهار
(تصوير *Springuel, 1997*)



(١٤) - عبادى يجلس أمام عشته ، وأمامه مستلزمات الجبنة (القهوة البدوية)



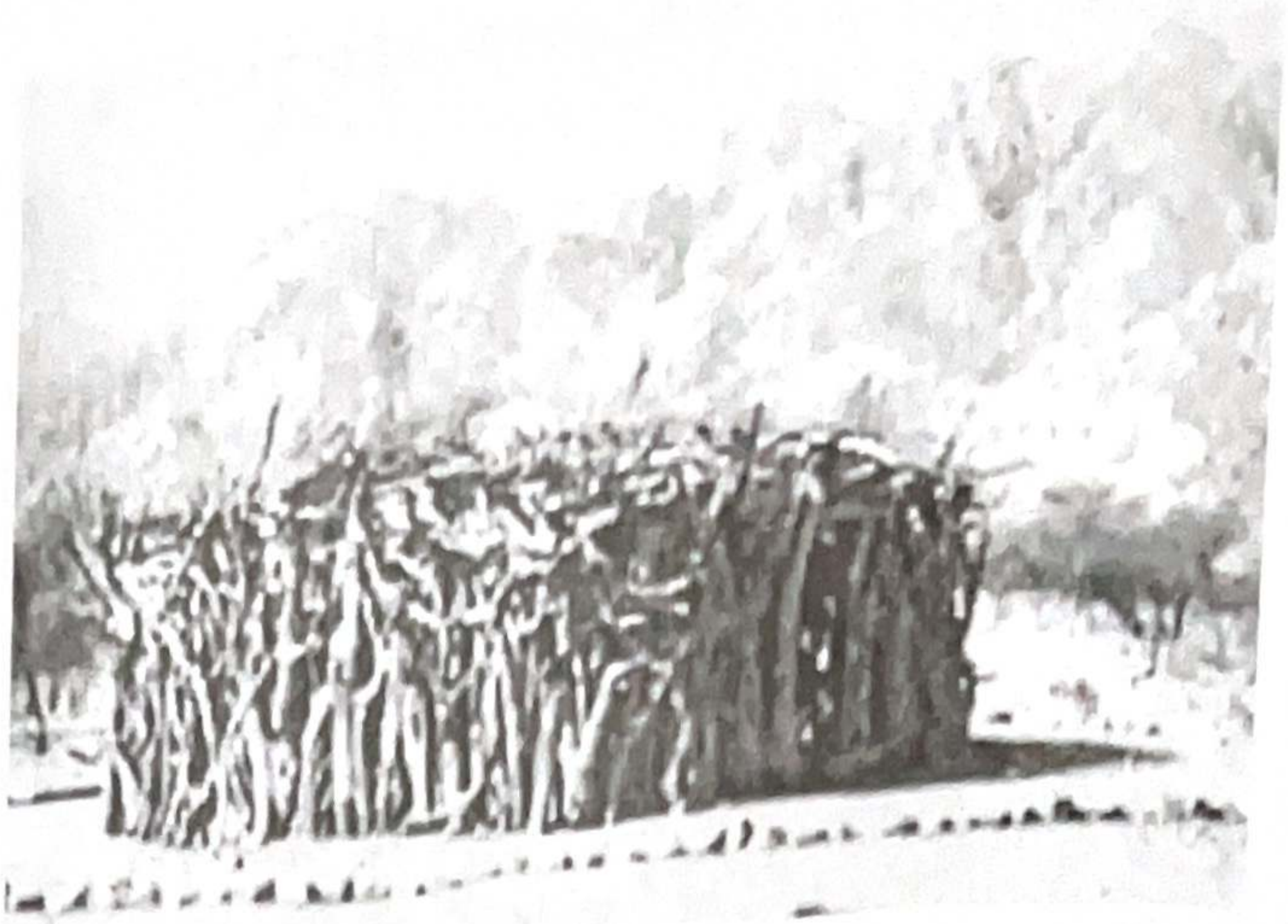
(١٥)- خيمة جديدة مصنوعة من خشب الأثل وصوف الماعز والخراف



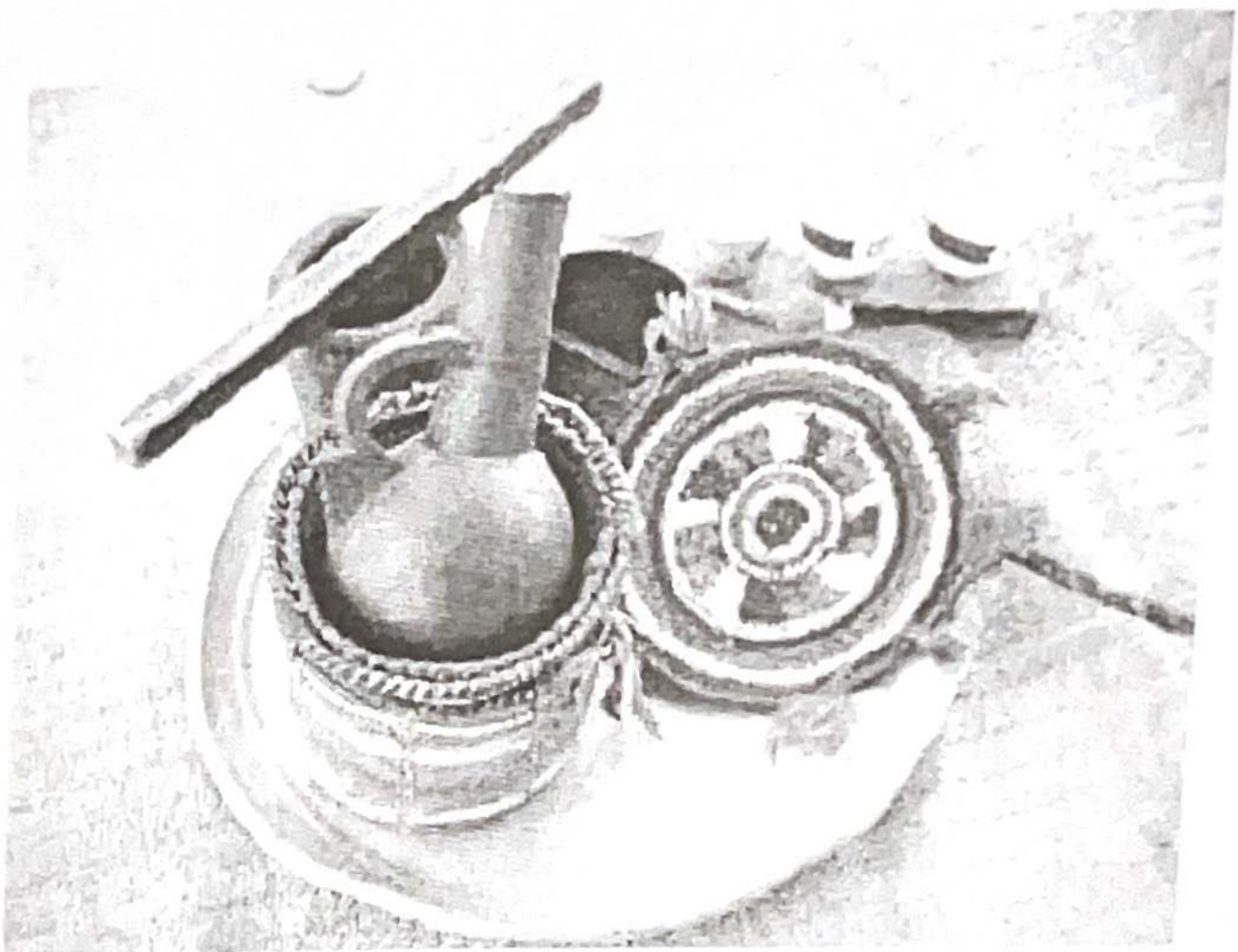
(٢٦) الداوكا (قوافل الجمال) تخترق وادي العلاقي



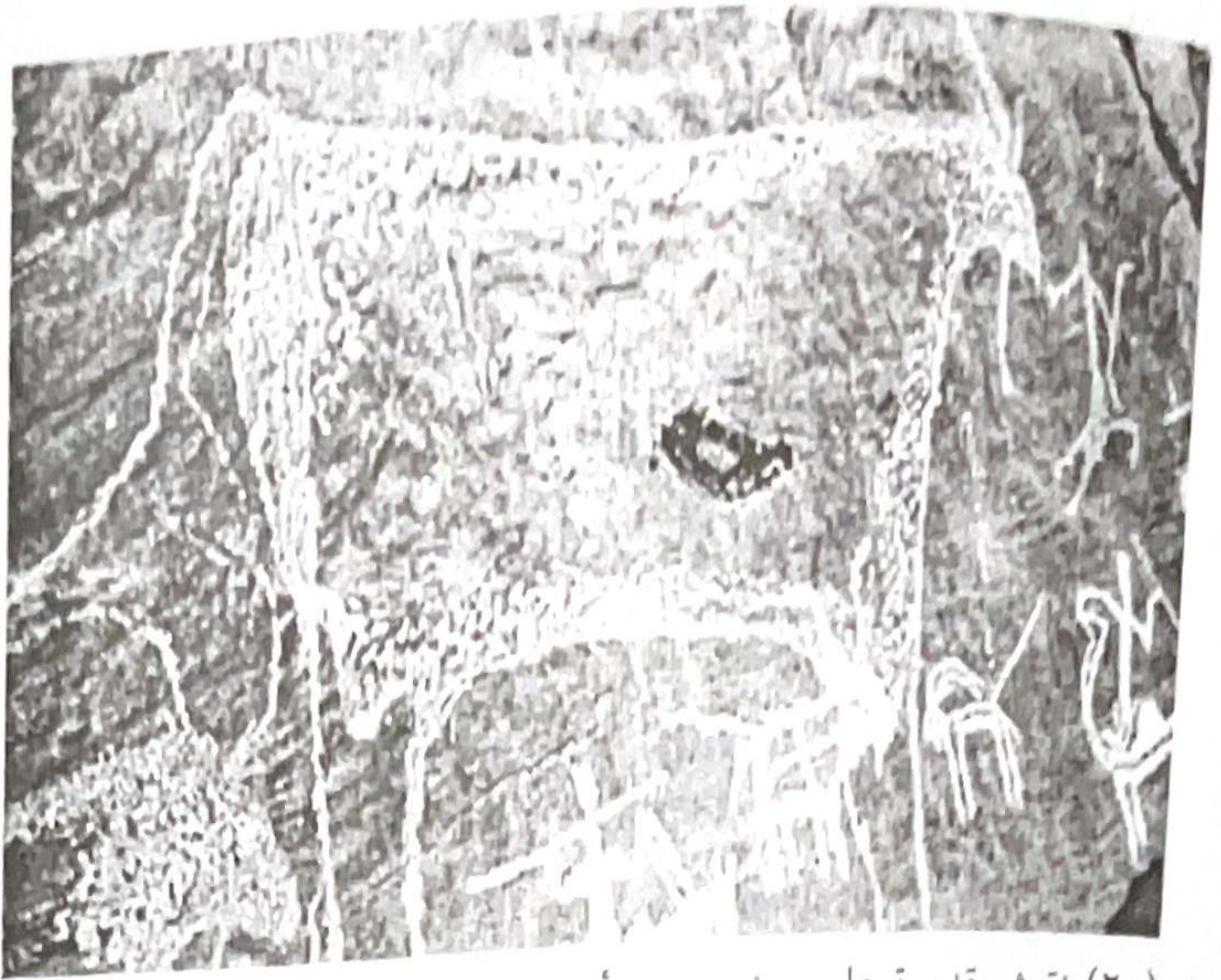
(٢٧) رجل بشاري يصنع الفحم النباتي من شجرة الأكاسيا



(١٨)- الكوخ الخشبى



(١٩) طاقم الجبنة (المشروب الرسمى عند قبائل وادى العلاقى) .



(٢٠) نقوش قديمة على صخور منجم أم جرايات ، المجرى الرئيسى لوادى العلاقى



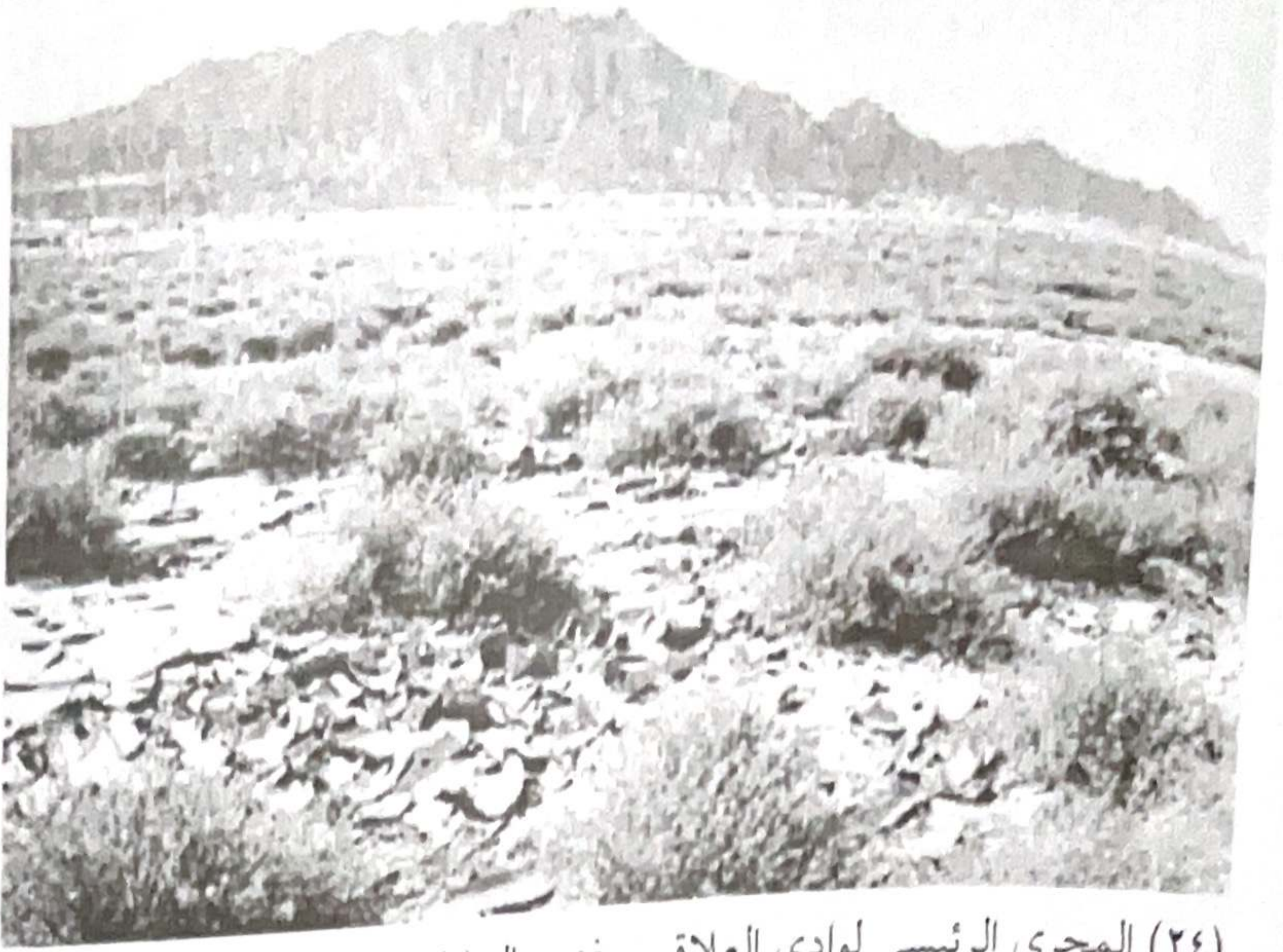
(٢١)- ماعز وادى العلاقى



[illegible]



(٣٣) امرأة من عبابدة وادي العلاقي تتعرف على حرفة النسيج اليدوية
(مجلة Egypt's Today)



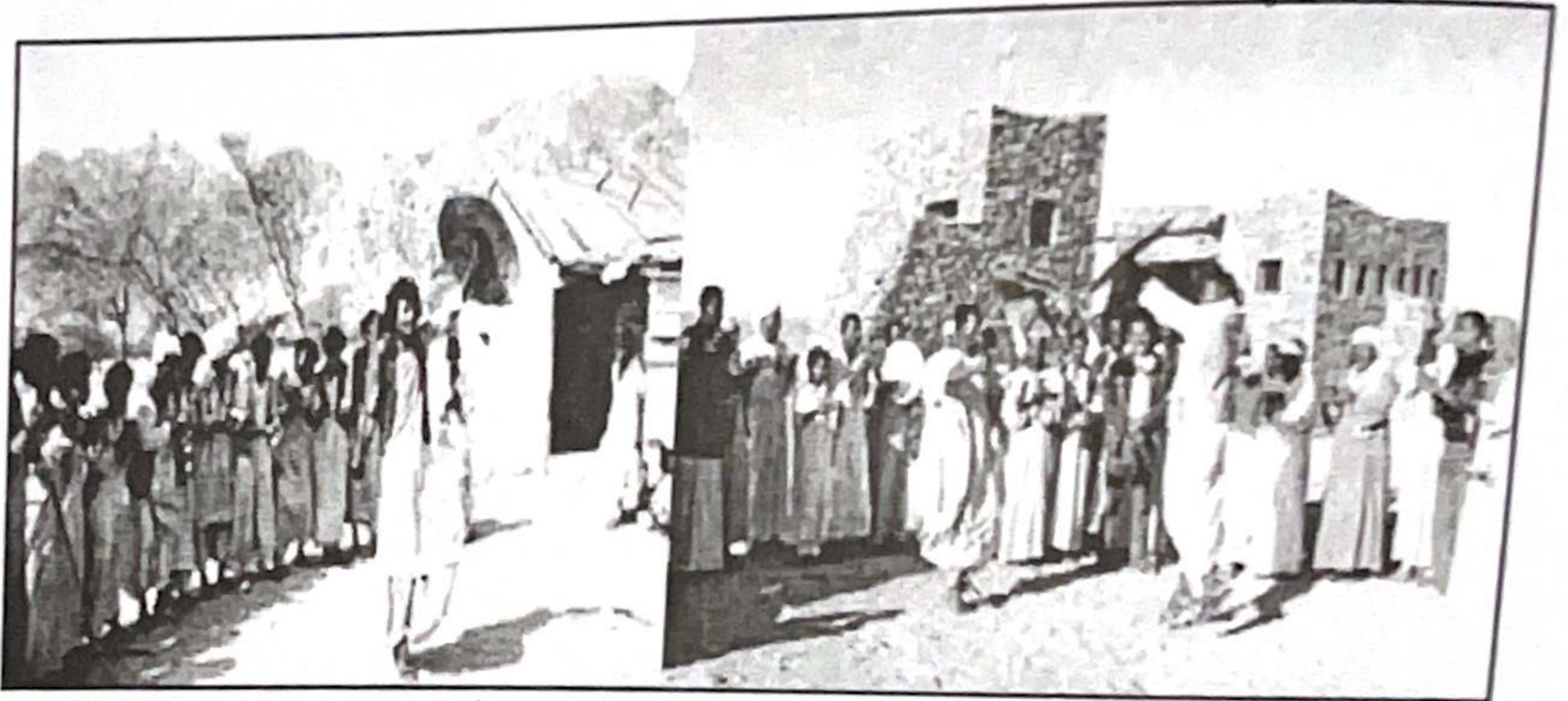
(٢٤) المجرى الرئيسى لوادى العلاقى ، غنى بالنباتات السنوية بعد هطول الأمطار .



(٢٥)- شجرة لالوب (بلح العبيد) ، صغيرة ، أعلى وادى العلاقى



(٢٦)- نقوش ومبان فرعونية فى مناجم ذهب أم جرايات بوادى العلاقى



(٢٧)- رقصة «التربلة» ، الرقص بالسيوف



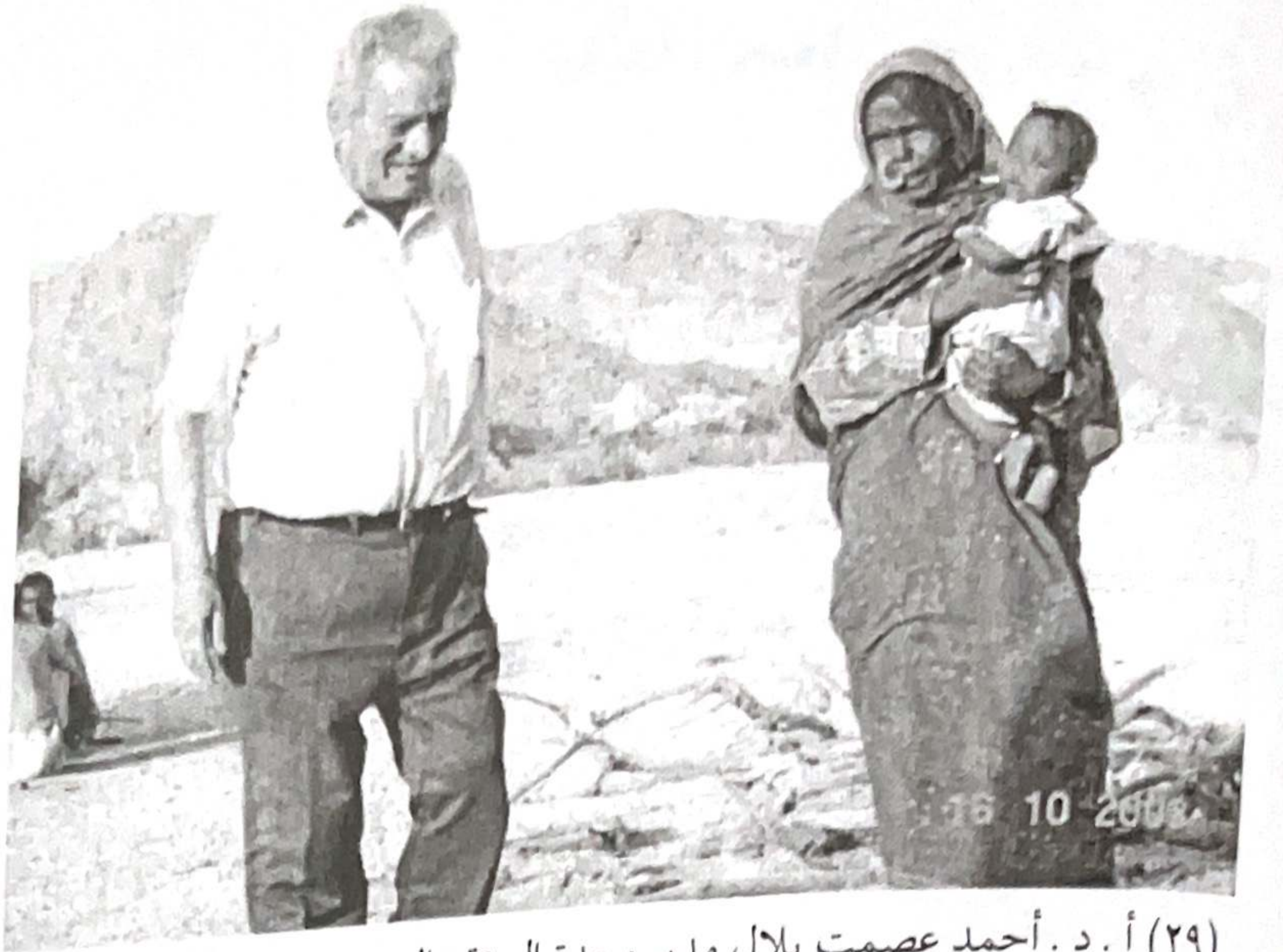
إعداد الحفرة

دفن الأجزاء المصابة من المريض

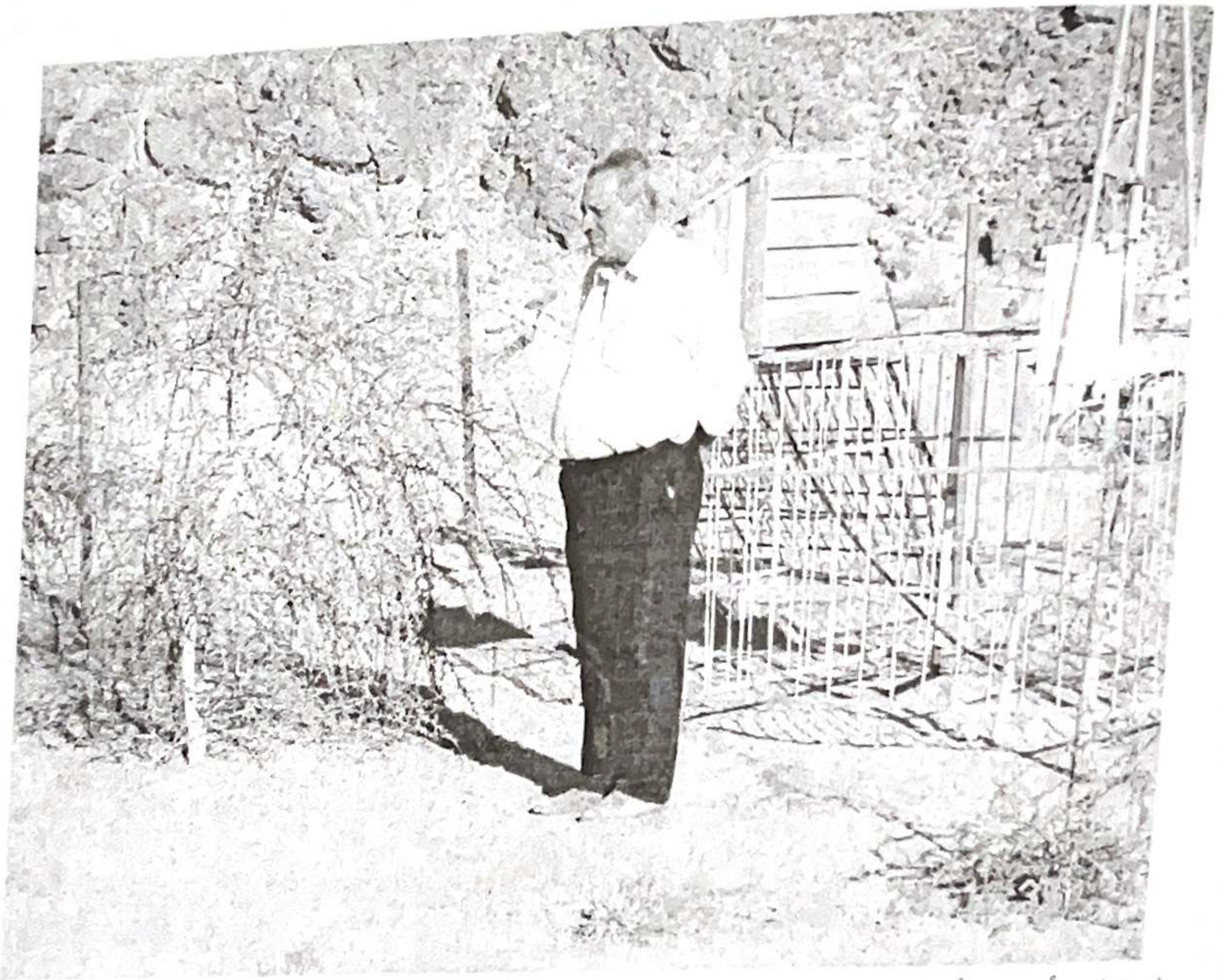
أ- الحفرة التى يوضع فيها الأعضاء المريضة



(٢٨)- العلاج البيئى بالدفن فى الرمال الساخنة .



(٢٩) أ . د . أحمد عصمت بلال مدير وحدة البيئة والتنمية مع بدوية من العبابدة تحمل طفلها



(٣٠)- أ . د . أحمد عصمت بلال يتفقد إحدى المحطات الزراعية فى المحيط الحيوى

المحتوى

الأشكال

الجداول

اللوحات










مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة